دار طيبة الخضراء

مجموع آثار سماحة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

المقدمة

المجلد الأول



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله

رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

ط 1 - مكة المكرمة ، 1446 هـ

23 مج ، 383 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1446/9287

ردمك: 978-603-8506-00-4 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8506-01-1 (ج 1)

مجموع آثار سماحة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

المقدمة

المجلد الأول

رئيس مجلس القضاء الاعلى

عبد الله بن محمد بن حميد

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس القضاء الاعلى

عبد الله بن محمد بن حميد

الإشراف العام

معالي الشيخ د. صالح بن عبدالله ابن حميد

المستشار بالديوان الملكي وعضو هيئة كبار العلماء

إمام وخطيب المسجد الحرام

معالي الشيخ أ.د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام

فرق العمل بمجموع آثار سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله

فريق المراجعة

م	الاسم
١	د. وليد بن صالح با صمد
٢	د.أحمد بن فهد الشويعر
٣	د.عبدالرحمن بن سعد الشهري
٤	عبدالله بن حمد الصولي
٥	د.هاني بن منير السويهري
٦	د.صلاح بن عيد الطفيحي
٧	صادق بن بركات السويهري
٨	د.عمر بن عثمان رمضان

فريق الإعداد

م	الاسم
١	د. خليل بن يوسف أحمد الأركاني
٢	محمود بن سيف الدين العروسي
٣	حامد بن عبد الشكور العروسي
٤	محمد بن مولوي عبد السلام
٥	عبد الرحمن بن عبد الله المطوع
٦	علي بن أحمد عطا

تقديم

«مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله»

لمعالي الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحمد لله خلق الإنسان وعَلَّمه، ورفع قدرَ العلم وعظَّمه، وخصَّ به مِنْ خلْقِه مَنْ كَرَّمه، وأصلِّي وأسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ عبدِ الله ورسوله أُوتي جوامع الكلم، أنقذنا الله به من الظُّلْم والظُّلَم، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين بذلوا في العلوم المهجَ والهِمم؛ فكانوا البدورَ والقِمَم، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ من ذوي الرُّشد والحِكَم، ما تعاقبت الأنوار والظُّلَم.

أما بعد: فإنَّ الحديث عَنِ العِلْم والمصنَّفات، والعُلَمَاءِ والموسوعات، عَذْبٌ فوَّاح، مُبْهِجٌ للأرواح، تتَمَلاَّهُ الأفئدة المَشُوقَة والأسْمَاع، وتَرْنُو لِفَحْوَاه هِمَمُ ذَوِي التَّمَيُّز والإبْدَاع، كيْف والعِلْمُ صَيْقَل الأفكار وجِلاء المُقَل، وبه انْدِفَاع المعضلاتِ وفَكُّ العُقَل، وعَلى مَدَامِيكِهِ اشْمَخَرَّت الأمْجَاد والحضارات، وبه هِيبَت الدُّول والمُجْتَمَعَات، فلا غروَ أنْ كان العلم من أعظم المطالب، وأشرف المكاسب، وبه تُنال أعلى المراتب، وأسنى المناقب، وهو شرف الدُّهور، ومجد العصور، وفخار الزَّمان، وإكسير الأمن والأمان، وضمانة التقدُّم والازدهار والسعادة والاطمئنان.

أمَّا العُلَمَاء الأجلَّاء، فهم مِن الإسْلام أبَرُّ أبْنَائه، وشَادَةُ بِنَائه، وأقوى أعْضائه، بما خَلَّدَت آثارَهُم الطُّرُوسُ المُسَطَّرَة، وسَرَت بجَلائِل أعمالهم الأنْفُس المُعَطَّرَة، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فحَيَاتُهم بين مُؤَلَّفَاتٍ أعْلاقٍ خَلَّابة، ذاتِ مَسَائل محرَّرة سَكَّابة، وبين دُروس ومحاضرات

نَفَّاعَة جذَّابة، قال عَزَّ اسمه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾؛ لذا لا عجب أن كانوا مشاعل الهدى، ومصابيح الدُّجى، وهم النُّجوم الساطعة، والكواكب اللامعة؛ في سماء العلوم والمعارف النَّافعة، وهم المصابيح المتلألئة، والشُّموع الوضَّاءة؛ التي تحترق لتضيء الطريق للأجيال الصاعدة، والنَّاشئة الواعدة، وهم حماة مشكاة النُّبوة وأخبارها، وحملة العلوم وآثارها.

أيُّها القرَّاء الأكارم: وإنْ يكن العلماء بهذا المحلِّ الأسنى والمقام الأعلى؛ فإنَّ لعلماء الحرمين الشريفين من الشرف أعلاه، ومن الفضل أزكاه، كيف لا! وقد شرَّفهم الله فجعلهم حرَّاس المنبعين، وأساطين المسجدين، ولذلك كانت لهم في العالم الإسلامي مكانة لا تجارَى، ومنزلة لا تبارَى.

وإنَّ من هؤلاء العلماء الأجلاء والقضاة الفضلاء والحكماء النُّبلاء، سماحة الشيخ العلامة الفقيه/ عبدالله بن محمد بن حُميد رحمه الله، حيث كان أول رئيس تولَّى الرئاسة العامة للإشراف الدِّيني بالمسجد الحرام، كما كان رئيسًا للمجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، ورئيسًا للمجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ولا غروَ في ذلك؛ فقد اشتهر علمه وصيتُه اشتهار الشمس في رابعة النَّهار، وسار ذكرُه الأرِجُ المعطار، في مشارق الأرض ومغاربها من الأقطار، كيف وقد قضى كثيرًا من عمره المبارك في رحاب المسجد الحرام يدعو إلى الله تبارك وتعالى بلسانه ومِزْبَرِه: تربيةً وتعليما، إرشادًا وتفهيما، وذلك بما خصَّه الله -سبحانه- بالمكارم الفريدة الحُسْنى، والمناقبِ الموشَّاة بهجةً وحُسْنا: فعقلٌ موفورٌ

راجح، وقولٌ نديٌّ ساجح، مع طيب المعشر، وكرم النِّجار، ومجادة النَّحيتة، عزَّز ذلك وعضَّده في ميدان العلوم والمعارف: صفاء الذهن، وقوَّة العارضة. فكان -رحمه الله وأكرم مثواه- طيلة حياته في رياض الجدِّ والدأب مسيرُه، والعلم ديدنُه وسميرُه، وحبُّ الخير حاديه ومُثيرُه، إلى أنْ غدا في القضاء والفقه - خصوصًا الحنبلي - طوده الأشم، وبدره الأتم، الذي تلألأت في العالم الإسلامي بوارقُه، وسرَى منه عذبُه ورائقه، مع دقَّة التدليل، وجزالةِ التأصيل.

أيُّها الإخوة النُّبلاء: لقد حرصت رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ضِمْن رِسَالتها العالمية على نَشْر العُلُوم الشرعيَّة، والدُّروس العلميَّة، والخُطب المنبريَّة، والتِّلاوات القرآنيَّة، والمواعظ الأخلاقيَّة؛ خِدْمَة للدِّين، والعِلْم، والمعرفة، والأُمَّة، والأَجْيَال، وبما يواكب التَّطلُّعات الميمونة الرضيَّة، والآفاق المديدة السنيَّة لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سُعود، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمَّد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سُعود -حفظهم الله ورَعَاهم- في خِدمة الحرمين الشَّريفين: عمارةً، وتوسعةً، وتطويرًا، وتاريخًا، وتراثًا، وثقافةً، خدمة رِسَاليَّة عالمية، تَنْشُر الحقَّ في الخافِقَين، ودين الإسلام في العالمين.

أحبَّتنا الأماجد: وحتَّى لا نُطيل أرسان كَلَامِنَا، نَعْدِل إلى بُلُوغ مَرَامِنَا، ونُيَمِّم مَطَايَانَا صَوْبَ المَعْلَمة النَّفيسةِ المَاتِعَة، والمَوسُوعَة العِلْميَّة الرَّائعة، ذاتِ الإطلالَة المَهيبَة، والإشراقةِ الرَّغيبة، عَنَيْنَا «مجموع آثار سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله»، إِحْدَى كنوز الحرمين الشَّريفين الذَّهبيَّة، مَنْهلِ العلماء والفقهاء، مَكْنزِ الشَّريعة الغرَّاء،

نَهر الوعظ في رقَّةِ الأنداء، بَذْرِ الفُهُوم في حُلك الظلماء، طِلْبة النُّبغاء، ونَشِيدة الحُكماء، مَفْخرة النُّبلاء والأزكياء.

أيُّها الإخوة الأكارم: إنَّ هذه المجموع العلمي عُنوانُ البرِّ والوفاء، والتقدير المتوَّج بمديد الاحتفاء، بسماحته رحمه الله الذي يُعدُّ أحد أبرز علمائنا الكِرَام النُّجباء، والأعلام الخِيَرة الفُضَلاء؛ وذلك بِنَشْر آثاره العلمية، وشروحه المتينة، وفتاويه السديدة، التي شَنَّفَت الأسماع، وجرت في الأصقاع، وأوجبت عَلينا أماناتُنا العِلميَّة، ومسؤوليَّاتُنا التراثيَّة: حفظَها عن النِّسيان والضَّياع، وتفريغ الصوتيات منها وخدمتها توثيقا وتخريجًا وجمعها دون الشَّتات والاتِّضاع، أو أَنْ تنقضي هَدَرا، ولا تُبْقَ في العالمين رَسْما ولا أثرا !! فحمدًا لله حمدًا، أن أعان على تحقيق هذا الأمل وأرشد، ووفق وسدَّد.

وبحمد الله قد بلغ هذا المجموع الأثير (٢٣) مجلدًا، واشتمل على مؤلفات وشروح ومحاضرات لسماحته في علوم متعددة وفنون مختلفة: كالتفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، وسيغدو هذا المجموع -إن شاء الله- مَطْمَحًا لِلْهِمَم العَلِيَّة ومَرْقاها، ومَجْمَعًا للدروس والشروح والمحاضرات الرَّصينة ومُلتقاها، ولِمَا حَوَى مِن نُخْبة الفتاوى المَنهَجِيَّة، والمراسلات والوثائق، والرسائل والمقالات ومُنْتَقَاها.

وهذا المجموع ليس مجرد علم يُجمع، بل هو: علم وتربية وتزكية وتجربة وخبرة، بل هو مجموع متكاملٌ في شتى العلوم والمعارف.

فيا بشرى لطلاب العلوم والمعارف وهُداتها، ورُوّاد الفكر والثقافة وشُداتها؛ هذا المَعلمَة الجامعة، في شتى العلوم النافعة.

وختامًا: يطيب للرئاسة أن ترفعَ الشُّكرَ لِلَّهِ أولًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا، على عظيم توفيقه وسوابغ فضله، ثم نرفع من الدعاء أوفره، ومن الشكر أعطره؛ لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله ورعاه-، ولسمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز -حفظه الله ورعاه- على ما تلقاه الرئاسة؛ من اهتمامٍ ورعايةٍ، ودعمٍ وعنايةٍ، والشكر موصول لمستشار خادم الحرمين الشريفين، سمو أمير منطقة مكة المكرمة الأمير/ خالد الفَيْصَل، ولسمو أمير منطقة المدينة المنورة الأمير/ سلمان بن سلطان بن عبدالعزيز، وسموِّ نائبيهما -وفَّقَهم الله- على المتابعة المستمرة، ونسأل الله تعالى أن يجزيهم عن ذلك خير الجزاء، ووافر العطاء؛ إنه جواد كريم.

كما نتوجه إلى الله بالدعاء أن يسبغ على سماحة الشيخ/ عبدالله بن محمد بن حميد، واسعَ رحمته وعظيم مغفرته؛ كِفاء ما قدَّم في خدمة الإسلام والمسلمين وما قدَّمه للحرمين الشريفين، وأن يجعل هذا العمل المبارك في ميزان حسناته وصالح أعماله؛ إنه جواد كريم.

كما تقدِّم الرئاسة الشكرَ الجزيلَ والتقديرَ الكميلَ لأبناء سماحته الكرام، وخصوصًا معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حُميد، العالِم الجليل، والأديب النَّبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام، والمستشار بالديوان الملكي، وعضو هيئة كبار العلماء.

والشكر موصولٌ لجميع الزملاء الكرام الذين بذلوا جهدهم في هذا المجموع وأخص منهم فريق الإعداد الموفق، وفريق المراجعة المبارك، على جهودهم الملموسة في جمع هذه الموسوعة المتميزة وخدمتها ومراجعتها وإخراجها في حلة قشيبة وطبعة فاخرة؛ ليرتوي منها الصَّادي، ويشدو بإمتاعها الحادي، فبوركت جهودهم، وسُدِّدت أقوالهم وأعمالهم، وحقق الله بها المقصود، والهدف المنشود، راجين من المولى -جلَّ اسمه- أن تكون هذه المعلمة من العمل الخالد الباقي، الذي لا يعروه انفصال أو انقطاع، أو دروس واتِّضاع.

كما نسأله -سبحانه- أن يديم على بلادنا المملكة العربية السعودية، بلاد الحرمين الشريفين، رموز حُكمها، ورموز علمها، ورموز أمنها، وأن يحفظ لها عقيدتها وشريعتها وقيادتها وقيمها وأصالتها وأمنها واستقرارها وعزَّها ورخاءها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

وإمام وخطيب المسجد الحرام

تقديم

"مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله"

لمعالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله ابن حميد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فإن كل مسلم يسَرُّ بما يقدمه علماء الإسلام من جهود علمية وعملية تُعنى بترسيخ الشريعة عقيدة وفقها، على المستوى التنظيري والتطبيقي، الذي ارتسم من خلال مدونات العلماء، ومواقفهم، واجتهادهم، وصبرهم في بيان العلم، وبنائه على أصوله وقواعده.

والقارئ يطالع بين يديه هذا المجموع المتعلق بأعمال سماحة الوالد الشيخ العلامة عبدالله بن محمد ابن حميد رحمه الله والتي سعت مشكورة رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ممثلة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي إلى نشر ما تيسر لها جاهدة من أعمال سماحة الوالد العلمية، وهي تستشرف بذلك إبراز دور علماء الحرمين الشريفين وغيرهم من العلماء.

وفي مقدمة هذا المجموع تفصيلاً ومسرداً لأهداف المجموع وأبعاده، وهو لا يحتاج إلى تكرار لكفايته وشموله.

لذلك رُئي أن تكون هذه المقدمة مقدمة تكشف المنهجية العلمية الفقهية في شخصية سماحة الوالد رحمه الله ومدى استدامته للتفقه حتى تكّون لديه ملكةٌ علميةٌ وفقهيةٌ.

وسيكون الحديث عن ذلك من عدة جوانب، وهي على النحو الآتي:

الجانب الأول: مفهومه للفقه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يرى الفقه كما هو ظاهر في نظره وتقريراته الفقهية أن الفقه: هو الفهم والعلم والفطانة، ومعرفة بواطن الأمور والوصول إلى أعماقها، فمن لم يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يسمى فقيهًا؛ ولذلك فهو كثيرا ما يمحص في المقولات الفقهية والمنقولات، ويحرص على معرفة مبانيها من الدلائل والتعليلات وعللها الظاهر منها والمنضبط، ويستصحب القواعد الكلية الفقهية، والأصولية، والمذهبية، ويستحضرها في التقرير والنقد الفقهي، وهذا ظاهر في تعليمه قال في شرحه رَحِمَهُ اللَّهُ على الروض المربع بعد ذكر المصنف لباب زكاة بهيمة الأنعام: "وما تقدم قبل هذا الباب كله كقواعد وتمهيد لما سيأتي، كالشروط الخمسة، وكنتاج السائمة، وربح التجارة، والدَّين إذا كان له دين، أو عليه دين، وكذلك وجوب الزكاة في عين المال ولها تعلق بالذمة، وحكم النماء بعد وجوب الزكاة، وإذا مات الإنسان وعليه زكاة وديون أخرى، كالقواعد الكلية"(١).

قال العلامة ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكان هناك تلاميذ ينتقدون العلماء والفقهاء في إيراد مسائل دون أن يكون عليها دليل، فكلما طرحت مسألة سألوا: أين الدليل؟ فكان -أي سماحة الشيخ ابن حميد- يقنعهم بما يحفظ من الأدلة والأقيسة"(٢).

(١) ينظر: شرح الروض المربع من المجموع ٢/ ٤٢٦.
(٢) ينظر: اختيارات الشيخ عبدالله بن حميد، د. محمد المقرن، ص ١٠٢.

وهذا المفهوم لدى سماحته شكل أصلَين معرَّفيين في فقهه:

الأصل الأول: أن التفقه لا يقصر على الاستكثار من المحفوظ دون فهمه.

الأصل الثاني: أن الممارسة العملية تعزز فهم منقولات الفقهاء للأحكام وإدراك أدلتها ومآخذها وأسسها.

الجانب الثاني: دواعي التفقه في مسيرة سماحته العلمية:

ثمة دواعي ظاهرة في تفقه الشيخ، ومن تتبع مسيرته العلمية وتكوينه الفقهي من مراحله الأولى أدرك تلك الدواعي، منها:

الأول: أن التفقه هو الأصل المُعين على تحصيل علم الشريعة، والعمل بها، والدعوة إليها، والمدد بعد الله في الصبر الذي يجب أن يتحلى به العالم الرباني.

الثاني: أن التفقه مسلك يُعرِّف طلاب العلم بالله عز وجل وما يجب في حقه من حسن المعرفة وتحقيق التعبد واجتناب الطرق المؤدية لمعصيته سبحانه، وما يجب من شكر الله على إنعامه وتوفيقه وامتنانه.

الثالث: أن التفقه ينضج عقلية المتفقه نحو التعامل مع السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وإدراك مقامها من القرآن ومدى التكامل بين نصوص الكتاب والسنة، كما يسدد الفقيه في معرفة مقامات النبي عليه الصلاة والسلام ودرجة التشريع في كل مقام، وهذا بلا شك كان ظاهراً في تقريرات سماحته من حيث إدراك العام منها والخاص والمطلق والمقيد، وتلمس أسباب الورود للسنة في الأحوال والمواقف.

الرابع: أن التفقه يكشف جواد الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين، وهذا الكشف يعزز التأصيل العلمي لدى المتفقه من خلال استيعاب فهم الشريعة من خلال تقريراتهم في فتاويهم وأقضيتهم ومواقفهم في السياسة الشرعية وغيرها، ومعرفة فقه الموازنة التي اتسم بها هؤلاء الأئمة الكبار رحمهم الله تعالى.

الخامس: أن التفقه وسيلة كاشفة لطبيعة العلاقة بين الفقيه وأفراد المجتمع من الحاكم والمحكوم، والعالم والمتعلم وغير ذلك، وفهم قدر التكامل والتعاون بينهم الذي يجب أن يحقق في واقع الناس.

السادس: أن التفقه يكشف الواقع، وما يجب فيه من تحقق الواجب الشرعي فيه بتنزيل الشرع على أحداثه ومستجداته.

الجانب الثالث: أصول استدامة الفقه لدى سماحته:

تميز سماحته بأنه لا ينفك عن التفقه مما جعل الملكة الفقهية صبغة حاضرة في أغلب أحواله، وهذا الفقه المستدام لدى سماحته – بعد توفيق الله- قام على جملة من الأصول، منها:

الأصل الأول: التأصيل:

فهو رحمه الله دائماً يحرص على تأسيس وبناء فقهه على الدلائل الشرعية، والقواعد، والكليات، وهو بهذا يرسخ ويعمق فقهه في كل العلوم المساندة له في ذلك، وهو في تقريراته الفقهية يعززها بالأصول التي بنى عليها ذلك التقرير وما اشتمل عليه من أحكام في عمله الفقهي على كرسي الإفتاء أو منصة القضاء، أو مجلسه للدرس الفقهي.

والتأصيل طبيعته في عمل سماحته يتكون من اللفظ الشرعي وهي الدلائل الشرعية، ومن المعاني الشرعية من جهة أخرى، فهو يبني تأصيله على النص الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع، وعلى القياس، وأقوال الصحابة، وغيره من الأدلة المختلف فيها، وهذا البناء كما أنه على دلالات تلك النصوص فهو كذلك على معانيها المتكونة من جملتها الكلي منها والجزئي، وهو يراعي بذلك الجواد المطروقة للفقهاء والمحققين من الأئمة وأصحابهم، ومن شواهد ذلك وهي كثيرة، ما جاء في شرحه - رحمه الله - للروض المربع كتاب الحج: "أنت كاشف لرأسك، ومنها ما جاء عجاج، وأردت أن تغطي وجهك، ماذا نقول؟

المذهب: لا بأس، يجوز له أن يغطي وجهه، قالوا: لأن الوجه غير الرأس، فالوجه فرضه في الوضوء الغَسل، والرأس فرضه في الوضوء المسح، قالوا: وهذا مروي عن زيد بن ثابت، وعدد من الصحابة، بأنه يجوز للمحرم تغطية وجهه، بخلاف تغطية رأسه، لكن الرواية الثانية عن أحمد أنه لا يجوز تغطية الوجه، بل هي تابعة للرأس، مستدلين بحديث: (ولا تُخمِّروا وجهه ورأسه)، أي: لا تغطوه، في قصة الذي وقصته راحلته"[(١)].

وآلية هذا التأصيل لدى سماحته التي يحققه بها، هي الآتي:

الأولى: الحفظ: فهو يشكل قدراً كبيراً في بناء سماحته وتأصيله، فكل من عرف سماحته وجالسه ودرس عليه واستمع له في برامج الإفتاء سيلحظ وبدون تكلف حافظة سماحته والدقة التي يحظى بها في عرضه العلمي والفقهي، فهو يحفظ

---

(١) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ٣/ ٥٩.

القرآن عن ظهر قلب وكثير من السنة ويستظهرها، ويعرف مواضعها ومواردها في دواوين السنة، بل يستحضر المذهب في الفروع الفقهية بطريقة ملفتة، قال رحمه الله بعد ما عرض جملة من الأحكام حول نبش القبور للمصلحة وغيرها: "...هذا هو مذهب الإمام أحمد في المسائل كلها"،[١] كما أنه ينقل من الأقوال والمنقولات، الشعر منها والنثر، بل والروايات التاريخية بحروفها أو يقارب ذلك، وينضم لذلك سرعة في الاستحضار وفي المقام المناسب بذكاء وفطنة.

الثانية: الفهم: مما منَّ الله به على سماحته الفهم الدقيق للدلائل والمسائل والوقائع، وهذا يبرز في فتاويه وأقضيته، وقد عني جملة من الباحثين بتتبع فقه ومواطن فهوم سماحته في ميدان الفتوى والقضاء، وتحصل لهم مدى الفهم والفراسة العلميين عند سماحته، ومن انعكاسات ذلك على المنهجية لديه - رحمه الله - استيعابه للنظائر، وحسن التفريق بين المسائل، وإدراك مواطن الإلحاق للأحكام، قال رحمه الله في موضع من شرحه للروض المربع في معرض حديثه عن مسألة لحوم الإبل وهل يقاس عليها لحم الخنزير: "لا يقاس الخنزير، ذاك محرم نهائيًّا، والقياس عليه أو مقارنته لا وجه له، وليس فيه شيء أبيح وشيء ممنوع مثلًا، بل هذا كله يباح لحم الإبل، مصارينه وكله، إنما الكلام في مسألة الوضوء فقط، فقياس ما هو محرم بالكتاب والسنة بجميع أجزائه على ما أباح الله لنا قياس مع الفارق، لا يصلح هذا القياس"[٢].

---

(١) **ينظر**: فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد، جمع د. محمد المقرن، ٣/ ١٨٩

(٢) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع، ١/ ١٧٧.

الثالثة: المهارات الفقهية: استجمع سماحته جملة من المهارات الفقهية التي استعان بها في تكوين عقليته الفقهية، في دراسة المسائل وبنائها والتنزيل الموفق على الوقائع، قال رحمه الله في أثناء بيانه للمجتهد معدِّدا جملةً من المهارات: "... وكيف يستنبط الأحكام من أدلتها، ويعرف الاستدلال، واستصحاب الحال، والقدرة على إبطال شبه المخالفين، وإقامة الدلائل على مذهبه إلى غير ذلك"(١).

وقد امتاز سماحته بجملة من المهارات من تلك المهارات:

أولاً: مهارة التصور للفقه ونوازله، ومعرفة حقائق المسائل، وطبيعة الأقوال للفقهاء في المتون العلمية والتحريرات الفقهية.

وهذا جعل كثيراً من أقضيته محل إعجاب وثناء من المتخصصين والدارسين.

ثانيًا: مهارة التصوير، وهذه حاضرة في درس سماحته الفقهي فهو يتقن تصوير المسائل في الشرح والبيان للمسائل المجردة في المتون الفقهية، وفي مقولات الفقهاء ومنقولاتهم، وهذا التصوير يعين على بناء المتفقه وإعداده لفهم المسائل. جاء في شرحه - رحمه الله - للروض المربع: "المرأة فلا يصح أن تؤمَّ الناس، فلذا لا يسجد لقراءتها، فلو سمعت والدتك، أو زوجتك، أو أختك، أو بنتك تقرأ؛ فلا تسجد لسجودها، هذا بناء على أن سجدة التلاوة صلاة، لكن المرأة قالوا: إنها تؤم الناس، فالمرأة يجوز أن تؤم الرجال في صورة مخصوصة، فهل يسجدون في تلاوتها من تلك الصورة التي استثنوها؟

---

(١) **ينظر**: فتاوى الشيخ عبدالله ابن حميد، ٣/ ٢٦٥-٢٦٦.

الصورة التي استثنوها يقولون: يجوز للمرأة أن تصلي بالرجال إذا كانت أعلم منهم، وأقرأ منهم، تصلي بهم التراويح فقط، وكذلك تكون خلفهم، وهم أمامها، ففي التراويح فقط تؤمهم، يعني: المرأة، وإمامتها تكون خلفهم، تصلي بهم التراويح، وتكون خلفهم، لكن هذا من المفردات، وهذا قول ضعيف"(١).

ومن مثاله كذلك: ما جاء في شرحه للروض المربع: "وإن أحرم الإمام الراتب بمن أحرم بهم نائبه، وعاد النائب مؤتمًّا بأن صار مأمومًا؛ صحت الصلاة، كما في قصة أبي بكر رضي الله عنه، فإنه صلى بالناس، ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام، فتأخر أبو بكر فصار مأمومًا، فأكمل بهم النبي عليه الصلاة والسلام.

صورته: لو أن الإمام الراتب لم يُصَلِّ، وقام نائب الإمام يصلي بهم، فصلى ركعتين، ثم جاء الإمام الراتب وتقدم، فلا بأس، ونائبه يتأخر ويصير مأمومًا، لكن ماذا نعمل مع الإمام الراتب؟، مثلًا: صلى معك الركعتين، وبقي له ركعتان، ماذا نعمل؟

هنا المأمومون مخيرون، إن شاؤوا سلموا لأنفسهم، وإن شاؤوا انتظروا حتى يسلم الإمام ويسلموا معه"(٢).

ثالثا: مهارة التفريع الفقهي، لقد اعتنى سماحته بذلك كثيرا في تفريع المسألة وربطها بأصولها وكشف ذلك في تعليمه، قال رحمه الله في شرحه للروض: "فإذا دخل وقت الصلاة عندك الطهور وعندك المسجد، وقبل أن تدركك الصلاة

---

(١) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ٢/ ٤٦.
(٢) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ١/ ٤٢٦.

لا طهور عندك، هذا وجه الدلالة، قالوا: إذا دخل الوقت بطل التيمم الأول، فإذا كان التيمم يبطل، فإذا وُجد الماء بطريق الأولى، لا بد أن يخلعها، وهذا الكلام هو تفريع على كلام الحنابلة". وقال في موضع آخر في شرحه لقول صاحب الروض "ولا يسجدُ المستمعُ قُدَّامَ القارئِ، ولا عن يسارِه مع خلوِّ يمينِه":

(الشرح): كل هذا تفريع على أن سجدة التلاوة صلاة، فإذا قلنا: إنها صلاة نزَّلنا أحكام الصلاة منزلة سجود التلاوة، سواء بسواء، يعني: نزَّلنا سجدة التلاوة منزلة أحكام الصلاة، فكما أنك لا تقف عن يسار الإمام مع خلو يمينه، فكذلك لا تسجد إذا كنت عن يساره مع خلو يمينه، أو مثلًا صرت قدَّامه لا تسجد؛ لأن المأموم يكون محاذيًا له، أو خلفه، فلا يجوز للمأموم أن يتقدم إمامه، فلو كان القارئ يقرأ هنا، وأنت تستمع أمامه في الصف الأول إلى هناك، فسجد، ما تسجد معه لأنك قُدامه، والمأموم لا يمكن أن يسجد أمام الإمام.

القارئ يقرأ مثلًا في محلِّنا، وأنت جالس هناك تستمع لقراءته، فليس فيها شيء إلا إن كنت عن يمينه محاذيًا له، أو عن يساره إذا كان يمينه مشغولًا، فيه ناس"[1]. وهذا التفريع حقق لدى الشيخ معرفة مآخذ الفقهاء ومدارك الأحكام لديهم ومباني التعليلات وضبط العلل.

رابعًا: مهارة التفريق والجمع، امتاز فقه الشيخ بهذه المهارة فهو يفرق بين المسائل وأن ظهر تشابه بينها في الصور، ويجمع بينها وإن ظهر اختلاف بين صورها، وهذه المهارة مبناها في تأصيل سماحته على تضلعه في معرفته لعلل

---

(١) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ٢/ ٤٦.

الأحكام ومدارات الجمع وموارد الإلحاق. قال رحمه الله في شرحه لقول صاحب الروض "وَكَذَا التَّرتِيبُ بين مسْحِ الوجهِ واليدين":

(الشرح): يعني: إذا أردت أن تتيمم لا يجوز لك أن تقدم اليدين على الوجه، بل لا بد أن يكون الوجه الأول، ثم اليدين.

لكن قد تقول: حديث عمار فيه أنه مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه، ووجهه، نقول لك: هذا في الجنابة، لأن الجنابة لا يشترط فيها ترتيب، ولا موالاة، أما هنا في الوضوء فالتيمم قائم مقام الوضوء، والوضوء توضأ النبي عليه السلام مرتبًا، وقال: (ابدؤوا بما بدأ الله به) وفي رواية:(أبدأ بما بدأ الله به). وقال سماحته مجيباً على إشكال أحد الطلاب وهو: الحديث واحد، والحكم مختلف، حديث عمار واحد، وقضية واحدة، كيف نفرق بين الترتيب في مسألة الجنابة وفي مسألة الوضوء، كما في الحديث الآخر، الحديث واحد؟، كيف نفرق، عندنا دليل، يعني عن التفريق؟

قال الشيخ رحمه الله: "ليس بينهما منافاة، هم يقولون: إذا كان جنابة، مثل ما وقع لعمار، فلا مانع، يسقط الترتيب لقضية عمار، هذا إذا كان جنابة، لأن عمارًا جُنب، وأما إذا كان وضوءًا فنحن نبقى على الآية، فالله جعل التيمم بدلًا من الماء، والوضوء معلوم أنه يجب فيه الترتيب، فحينئذ التيمم لا بد فيه من الترتيب، قياسًا على الوضوء، ما عدا الجنابة، فكما أن الغُسل بالماء لا يشترط له موالاة، ولا ترتيب، فكذلك التيمم في محل جنابة لا يشترط له الترتيب.

(طالب): أحسن الله إليك، كيف نقيس ونفرق، عفا الله عنك؟

(الشيخ): يقول: هذا للجنابة خاصة.

(طالب): هل دلَّ عليه دليل أنه خاص؟

(الشيخ): الواقعة تقتضي أنه خاص بالجنابة، والوضوء فيه الترتيب"[١].

خامسًا: مهارة الاستدلال، وهي أصيلة في عرض تقريرات سماحته في العقيدة والفقه، وهذا الاستدلال ليس قاصراً على ذكر الدليل الشرعي، بل يصحب ذلك القواعد الاستدلالية في تقريراته، وهي جادة مطروقة في فقه الشيخ في سياقات الإثبات والنفي والنقد الفقهي، وهذه المهارة تتبعها في شروح الشيخ وتعليقاته ورسائله متجلية، وامتاز بحسن ظاهر وتمكن في ذلك، مثال ذلك: ما جاء في شرحه للروض المربع من كتاب الحج: "ودليل من قال: إنه ركن، لا يصح الحج إلا به، دليلهم حديث عروة، فإنه لما قال للرسول: أكللت راحلتي، وأتعبت نفسي، فقال له: (من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك...) إلى أن قال: (فقد تم حجه وقضى تفثه)، فدل على أن من لم يشهد الصلاة، ولم يقف مع النبي ﷺ، أن حجه غير تام، فيكون غير صحيح، فهذا من جملة ما استدلوا به.

واستدلوا بأن الرسول بات بها، وقال: (خذوا عنِّي مناسككم)، وعند المالكية قالوا: سنة، إذا مر بها ومكث، ولو قليلًا كفى.

أما المذهب، ومذهب الشافعي، فقالوا: يجب أن يبيت بها، إلا أنه يجوز له الدفع بعد منتصف الليل.

---

(١) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ٣/ ٢٤١.

الحنفية يقولون: لا يجوز له الدفع منها إلا بعد الفجر.

فإذا كان هذا محصل أقوال العلماء، هؤلاء يقولون: ركن، وهؤلاء يقولون: واجب إلى منتصف الليل، وهؤلاء يقولون: واجب إلى طلوع الفجر، إذًا ينبغي للإنسان ألا يبارح مزدلفة، وأن يبيت بها، ويصلي بها الصبح؛ اقتداء به ﷺ، حيث صلى بها الصبح في أول وقتها، وقد قال: (خذوا عنّي مناسككم)، ولحديث عروة، وخروجًا من الخلاف.

أما العلامة ابن القيم فهو يرى أنه لا يجوز لك أن تدفع من مزدلفة إلا بعد غيبوبة القمر، وقبل أن يغيب القمر لا يجوز لك، هذا هو الذي مال إليه، مستدلًا بما في الصحيحين، من خبر أسماء بنت أبي بكر، فإنها لما بقيت في المزدلفة قامت تصلي، فلما مضى ساعة قالت: (أَيْ بُني، أغاب القمر؟، قال: لا، فمضت فصلت مقدار ساعة، فقالت: أَيْ بُني، أغاب القمر؟، قال: لا، فمضت تصلي، ثم قالت: أَيْ بُني، أغاب القمر؟، قال: نعم، قالت: ارحلوا بنا، هكذا فعلنا مع رسول الله ﷺ - يعني: بعد غيبوبة القمر -، قال: فارتحلنا، ورمت، ثم عادت إلى منزلها منى، فقال لها: يا هنتاه، إنك فعلت شيئًا لم يفعله الناس، قالت: أي يا بني، هكذا فعلنا مع رسول الله ﷺ)، يعني: أذن للضعفة أن يرحلوا منها بعد غيبوبة القمر، وهذا الذي مال إليه ابن القيم.

أما حديث أم سلمة الذي رواه أبو داود، والذي استدل به الحنابلة، والشافعية، ومحصله: (أن النبي ﷺ أذن لها بأن تدفع بعد نصف الليل، فمضت فرمت، ثم أفاضت، وكان ذلك اليوم يومها)، وحاصله أن الرسول أذن لها بالدفع من مزدلفة بعد منتصف الليل، يقول ابن القيم: (إن هذا الحديث منكر)، لا يصح، وإن رواه

أبو داود؛ لهذا أخذ بحديث أسماء كما تقدم، أما المذهب فهو على هذا"[(١)].

الأصل الثاني: التحصيل:

من الغايات في أصل التحصيل في منهجية سماحة الوالد: توسيع المدارك العلمية والمعرفية التي تشارك في صقل خبرته في المجلات التي تولاها من بداية التعلم وحتى منصات التعليم، وهي لا تقتصر على الجوانب الشرعية فهو مطالع مستمر على الأطروحات في جوانب متعددة في المعارف العلمية والاجتماعية والفكرية والحراك السياسي في العالم الإسلامي، وهذا أضاف على بياناته العلمية قبولاً ظاهراً لدى الخاصة والعامة، وحتى في حديثه مع الحاكم والعالم والمتعلم وعامة الناس، هذا في الشأن العام، أما فيما يتعلق في الجانب الشرعي، فقد كان كثير المطالعة على الخلاف في داخل المذهب والخلاف العالي مع المذاهب الأخرى، ولذلك حوت مكتبة جمهرة من كتب المذاهب المطبوع والمخطوط.

ومن غاياته - رحمه الله - في التحصيل: ما يتعلق بتتبع الكليات والقواعد المنظمة للمسائل في الفقه الفروعي، والقواعد الحاكمة في المنهج العقدي عند أهل السنة والجماعة، وهذا التتبع للكليات في الفقه يتسم بالوقوف على القواعد المجموعة والمنثور في مدونات الفقهاء، ويؤصل ذلك باستحضار الأمثل الفقهية مبثوثة في صفحات المتون والشروح الفقهية؛ لذلك تجده يستصحبها كثيراً في تعليمه وتحريراته وأحكامه في القضاء. وهذا انعكس على سماحته في مسالك الفتوى لدية حيث يرد كثيراً من المسائل على تلك الكليات الفقهية.

---

(١) **ينظر**: شرح الروض المربع من المجموع ٣/ ١٤٣.

وتبرز غاية التحصيل في منهج سماحته: في تتبعه للفروع الفقهية ومدارات بنائها وجواد الفقهاء في تخريجها من خلال الشروح والحواشي والتعليقات في فقه المذهب وغيره، وقد يطالع في المسألة والفرع الواحد عدة كتب ليتبين له سلم التفريع والبناء الذي درج عليه فقهاء المذهب من الأصحاب.

ومن الغايات التي يسعى سماحته للعناية بها من خلال التحصيل: تكامل العلوم الشرعية، فتكامل العلوم الشرعية لدى الشيخ يتضح في تنوع الفنون التي قرأها ويُقرؤها، وجمع في مكتبته جملة من المراجع في فنون شرعية عدة، وهذه العلوم شرعية أصلية ومكملة، فقد اعتنى بكتب التفسير وعلوم القرآن، والحديث ومصطلحه، والتراجم والتاريخ والسير، والأدب والشعر، والمجلات العلمية والفكرية.

ويدلى إلى تلك الغايات وغيرها في المنهج التحصيلي لدى سماحته جملة من الوسائل، من تلك الوسائل:

الوسيلة الأولى: القراءة الفقهية، وهذه القراءة: منها التأصيلي المبنية على الآتي:

أولاً: سرد المطولات وتتبعها والتركيز على مواطن الأدلة وقواعد الاستدلال وتنوع التعليل والتقعيد.

ثانيًا: قراءة يصدق أن يطلق عليها بالقراءة المذهبية وهو تتبع المسألة في المذهب من نشوئها وحتى استقرارها في مدونات المذهب، وتتسم تلك القراءة بتراتيب طبقات الأصحاب، وتلمس مواطن الزيادات لتلك المسائل في جوانب الأدلة أو التعليلات ونحوها، ويحرص على تلمس أسباب تحول القول

والتفريع عليه في كتب المذهب؛ ولذلك يعنى الشيخ برجوعات الإمام أحمد ومفرداته، وتعدد الروايات عنه.

ومن القراءة الفقهية لدى سماحته القراءة البحثية وهو تتبع المسألة بعد تصورها، والنظر في مورد النزاع وتحريره، ثم يتتبع الأقوال لدى الصحابة إن كان للصحابة أو التابعين فيها قول ثم أقول الأئمة من الفقهاء الأربعة وغيرهم من المذاهب وما استقرت عليه من الأحكام، ويتمعن في الأدلة والردود بين أصحاب الأقوال في الخلافات العالية، وهذا النوع من القراءة جعلت سماحته يراعي الخلاف في بعض الوقائع والمسائل في فتاويه وأقضيته.

بل وسعى إلى تعزيز ذلك في درسه الفقهي في المسجد، قال الشيخ العبودي في مقام متعلق بذلك:

وكانت له طريقة خاصة في البحث، وذلك أنَّه أول شخص أعرف من العلماء الكبار، كان يحرص على أن يُحْضر المرجع العلمي الذي يتناول المسألة التي تُبحث، يُحضره في حلقة الدروس، ويُمرِّن به الطلبة على استخراج المسألة من المرجع الذي أحضره، كانت دروسه على وجه الإجمال في الجامع الكبير في بريدة، وكانت في الجامع مكتبة لا بأس بها من الكتب النفيسة، ولكن العدد ليس كبيرًا بمستوى ما تعارفنا عليه الآن، فكان يطلب إحضار المرجع من المكتبة إلى حلقة الدروس، ويبحث أمام الطلاب هذه المسألة، ويربيهم على استخراج المسائل من المراجع، ولذلك تعلمنا عليه كيفية البحث، وكيفية عدم إرجاء الموضوع الذي يستحق البحث إلى زمن لاحق؛ لأنَّه كثيرًا ما يتأخر

البحث، وربما تفوت الفائدة منه إذا تأخر البحث فيها.

كان رحمه الله يشجع النابهين من الطلاب، وكان يُعلن ذلك لهم وللناس، أذكر أن أحد الطلبة من الذين كانوا يدرسون عليه، وكنا ندرس معهم مع ذلك الشخص، كنا ندرس ألفية ابن مالك، فعرضت في الدرس مسألة عويصة تحتاج إلى بحث، فالشيخ رحمه الله طلب من أحد الطلبة أن يبحث هذه المسألة، بمعنى أن يُبين للشيخ كيف نحل هذه المسألة، وكيف نهتدي إلى الصواب فيها، فعجز أحد الطلاب، وطلب آخر لم يستطع أن يعرف المسألة، والشيخ كان يكلمهم واحدًا واحدًا، فالثالث حلَّها بسهولة وبوضوح، وقال له الشيخ أمام الطلبة: أنت ذكي يا فلان؛ لأنَّ النحو يحتاج إلى ذكاء، ولا نعرف شخصًا متميزًا في النحو إلا وهو ذكي"[(١)].

الوسيلة الثانية: البحث الفقهي المذهبي والنازلي، وهو يعنى جداً بذلك وخاصة في المسائل التي تعرض عليه في الهيئات والمجامع الفقهية، وفي حال عنايته بموضوع عام وللفقهاء فيه أقوال، وبعض القضايا التي تحتاج تحرير فقهي متين، فبحثه العلمي يتحصل به إثارة المعلومة التي يحتاج سماحته معرفتها، أو فحصها، أو استكمال الجوانب الفقهية لبحثها.

لذلك برز في فكر الشيخ رحمه الله وعقليته المتفتحة، ما حُفظ له من اجتهادات في بعض المسائل الفقهية، وخاصة النوازل والمستجدات.

---

(١) **ينظر**: مقال شخصيات في الذاكرة لعبد الله بن سالم الحميد. صحيفة الجزيرة.

والشيخ رحمه الله كغيره من علماء عصره، بل ما هو معروف من طبيعة الطلب في العلم الشرعي، إذ يبدأ الطالب بالتلمذ على كتب المذهب السائد في بلده، فيحفظ الطلاب المتون، ويقرؤون الشروح والحواشي، حنفيًا كان السائد أو مالكيًا أو شافعيًا أو حنبليًا.

والشيخ رحمه الله حفظ من متون مذهب الإمام أحمد، وقرأ الشروح والحواشي مما جعله متبحرًا في المذهب، متخصصًا فيه، حتى لقبوه بحافظ المذهب وإمامه، إلا أن ذلك كله لم يُحجّم من عقلية الشيخ المتفتحة، ولا من روحه الاجتهادية، وفكره النيِّر، فالشيخ كما اطلع على كتب المذهب وتبحَّر فيها، فقد اطلع على كتب السنة، وكلام أهل العلم وأصول الاستنباط وقواعد الاستدلال، قرأ في فقه السلف من الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين ومن بعدهم من العلماء المجتهدين، وعلماء المذاهب الأخرى، كما كان للشيخين الإمامين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والحافظ ابن القيم، وأئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلاميذه وتلاميذهم، واهتمامه باجتهادهم وآرائهم ومؤلفاتهم، ويتجلى هذا في تدريسه لطلابه، وما يقرره لهم من مسائل، وما يصدره من فتاوى وأحكام، فعلى سبيل المثال:

- له فتوى في جواز نقل الدم، قال بها قبل عام ١٣٩١م.
- كلام في الاشتراكية، وبسط للمراد منها وتاريخها، ثم حكمها.
- الإفطار على خبر الراديو.
- حكم استعمال مكبرات الصوت.

- إذا وقع اصطدام بين سيارتين، فكيف تُحسب نسبة الحوادث.

الوسيلة الثالثة: السؤال، وهذه الوسيلة درج عليها سماحة الوالد في أول مراحل الطلب، وهذا السؤال من سماحته يحقق به جمل من المصالح، منها الوقوف على مظان بعض المسائل، توسيع المدرك بالتعرف على آراء غيره، التعرف على مدى الرجحان لبعض ما توصل إليه. وهو متقن في عرض السؤال؛ لذلك قد يلاحظ من تابع حلقاته في برنامج الإفتاء" نور على الدرب" كيف يلخص سؤال السائل ويأتي به مباشرة، وهذا نوع من التحرير ليشعر بأن الجواب الآتي هو لهذا السؤال، لذلك تجد المطابقة واضحة في إجابات الشيخ.

الأصل الثالث: التطبيق:

امتاز فقه سماحته بالجمع بين النظرية والتطبيق، وهذا الجمع ناشئ وتعزز بجملة من القواعد منها:

القاعدة الأولى: حسن تصوره – رَحِمَهُ اللهُ – لعلاقة الفقه النظري بالفقه العملي، وقد أعانه بعد توفيق الله أنه زاول مقامات الفقه ومراتبه وهي: الفقيه المعلم، والفقيه المفتي، والفقيه القاضي، فإن للعلماء مدارج في الفقه، قال السبكي رَحِمَهُ اللهُ: "العلماء الكاملون المبرزون يجيئون من الفقه على ثلاث مراتب:

إحداها: معرفة الفقه في نفسه، وهو أمر كلي، لأن صاحبه ينظر في أمور كلية، وأحكامها، كما هو دأب المصنفين، والمعلمين والمتعلمين، وهذه المرتبة هي الأصل.

الثانية: مرتبة المفتي، وهي النظر في صورة جزئية وتنزيل ما تقرر في المرتبة

الأولى عليها، فعلى المفتي أن يعتبر ما يسأل عنه، وأحوال تلك الواقعة، ويكون جوابه عليها فإنه يخبر: أن حكم الله في هذه الواقعة كذا بخلاف الفقيه المطلق المصنف المعلم، لا يقول في هذه الواقعة بل: في الواقعة الفلانية وقد يكون بينها وبين هذه الواقعة فرق، ولهذا نجد كثيرا من الفقهاء لا يعرفون أن يفتوا.

وأن خاصية المفتي تنزيل الفقه الكلي على الموضع الجزئي، وذلك يحتاج إلى تبصر زائد على حفظ الفقه وأدلته، ولهذا نجد في فتاوى بعض المتقدمين ما ينبغي التوقف في التمسك به في الفقه، ليس لقصور ذلك المفتي، معاذ الله، بل لأنه قد يكون في الواقعة التي سئل عنها ما يقتضي ذلك الجواب الخاص، فلا يطرد في جميع صورها.

وهذا قد يأتي في بعض المسائل ووجدناه بالامتحان والتجربة في بعضها، ليس بالكثير والكثير، أنه مما يتمسك به فليتنبه لذلك، فإنه قد تدعو الحاجة إليه في بعض المواضع، فلا نلحق تلك الفتوى بالمذهب إلا بعد هذا التبصر.

المرتبة الثالثة: مرتبة القاضي وهي أخص من رتبة المفتي، لأنه ينظر فيما ينظر فيه المفتي من الأمور الجزئية، وزيادة ثبوت أسبابها ونفي معارضتها وما أشبه ذلك.

وتظهر للقاضي أمور لا تظهر للمفتي فنظر القاضي أوسع من نظر المفتي ونظر المفتي أوسع من نظر الفقيه"[١].

وهذه المراتب والمقامات اجتمعت في تفقه وفقه سماحة الوالد، وبهذا

---

(١) **ينظر**: فتاوى السبكي، ٢/ ١٢٢.

استشرب سماحته الفقه ومناطات تنزيله واستيعاب ظروف ذلك، وهنا تتضح جدارة التفقه المستدام بالتطبيق.

القاعدة الثانية: التعلم المذهبي لقد تغذى أصل التطبيق في تفقه الشيخ بذلك النوع من التعلم حيث إن جادته في الطلب درجت على مذهب له أصوله وقواعده، وهو المذهب الحنبلي، فكان يتعلم المذهب من خلال الأحكام المجردة ثم يباشر إعمالها وفق القواعد في تنزيل الأحكام في أقضيته وفتاويه، وهو بهذا يستند للقاعدة العلمية منطلقا منها إلى الواقع العملي، مع أنه يلاحظ مقامات التعلم المذهبي الفروعي التي في الدرس ويراعي المتغيرات في الواقع العملي التي تجعله يخالف المذهب في بعض الأحكام لورود معتبر مرجح في الاجتهاد الفقهي الموزون في أصول المذهب وغيره من المذاهب.

القاعدة الثالثة: التمكن من المهارات العملية الفقهية، مما كون له ملكة فقهية في تفسير النصوص الفقهية، ومظان التعليل، وطرق التدليل، وتصور الوقائع، واستيعاب الأحكام، وقواعد استنباطها، وتقعيد نتائجها؛ لتحقيق المناطات الملاقية لمقصود الشارع، والمراعية للصحيح من مقاصد المكلفين، وقد أشير إلى جملة من تلك المهارات تحت آلية التأصيل في فقه سماحته.

ومما يحسن الإشارة إليه في هذا السياق، أن سماحته لم يكن من المغلبين لجانب التنظير على التطبيق، أو التفقه على الكليات دون الجزئيات ولا العكس كذلك، بل كان متوازنا جداً في ذلك فهو يجعل لكل مقام ما يحتاجه من التقرير، فهو قد ينطلق من الكلي لبناء الجزئي من الأحكام، وقد ينطلق من الجزئيات

لتصدير المعنى الكلي منها، وهو بذلك يعزز التطبيقات الفقهية على القواعد والضوابط، ويشير لذلك في درسه الفقهي، وتحرير الحكم القضائي وتسبيبه.

الأصل الرابع: التواصل:

يعتبر التواصل في بناء فقهية المتفقه سبب في الرسوخ العلمي، وهذا التواصل يأتي من عدة جوانب:

الجانب الأول: الاتصال بالله جلا وعلا بحفظ وحيه الكتاب والسنة، ومعرفة الله والسعي للعمل بها، بتحقيق العبادة، واجتناب طرائق الباطل التي حذر منها، وشكر الله على إنعامه وتوفيقه.

الجانب الثاني: التواصل مع الذات والنفس، من خلال تطوير الذات وصقل مسالك العقل بالاستنارة بشريعة الله ومنهج السلف القائم على قول الحق والعمل به ونشره، ورحمة الخلق، وتربية النفس وكبحها حتى لا تستبد على العقل وعمل الجوارح، وتهذيبها بتعزيز عبادة القلب وعمله. مع تجنب آفة التعالم والتعالي التي تنمو بالاغترار بما لدى المتفقه من أثرة علم، والغياب عن حقيقة ما لديه من جهل، وفورة كبر، فبهذا يرد المتفقه الحق ويسلب دوام التفقه، ويركب مراكب الزيغ.

الجانب الثالث: التواصل مع المعلم بمد جسور العلم والخبرة العلمية، والتعرف على ما يتقن من المعارف واستشفاف ذلك وتعزيزه في المطارحات العلمية، وكشف الإشكالات ومعالجتها.

الجانب الرابع: التواصل مع الأقران بمجالس المذاكرة والمطارحة

العلمية ومراجعة المحفوظات، هذا في مراحل الطلب، وأما في مراحل العطاء فيجب ألا ينفك الفقيه عن أترابه وأصحابه في الطلب فمطارحة العلم في حال النضج العلمي يتحقق به ومنه عمقاً في التصور للمسائل ومعالجة النوازل.

الجانب الخامس: التواصل مع المتعلم بتربيته العلمية، وتعزيز أصول العلم، وصقل مهاراته: بطرح السؤال، وافتراض الإشكال، وتنمية نوافذ التكوين العلمي وتغذيتها لديه.

الجانب السادس: التواصل مع الكتاب بمراجعته، والعناية بجمع الكتب وفق الاحتياج الفعلي الذي يبني به الفقيه قاعدته الفقهية والعلمية عموما، يقول الاستاذ سليمان بن عبدالله الرواف متحدثا عن مقصد سماحة الوالد من إنشاء المكتبة في القصيم: "والقصد من إيجاد هذه المكتبة، أنه لدى الاختلاف في مسألة ما؛ وقت الدراسة تُحضر الكتب، ويُنظر ما ورد فيها من الخلاف، وبهذه المكتبة الصغيرة نسبيًا، فقد استفاد الطلبة فائدة كبرى، بحيث صارت في متناولهم وقت الدراسة، ومرجعًا لهم للمطالعة في أوقات فراغهم، وخاصة في ذلك الظرف الذي لا يُوجد فيه مكاتب عامة وغيرها، هذه الخطة التي رسمها الشيخ - رحمه الله - أعني البحث في الخلاف بينه وبين الطلبة في البحث عن الدليل أو الخلاف- هذه الطريقة نمَّت روح البحث بين الطلبة أنفسهم، وبينهم وبين شيخهم، وكان لها أعظم الأثر في توسيع مدارك الطلاب"[(١)].

وبجملة هذه الجوانب تحرك فقه سماحة الوالد وارتسمت معالم تفقهه، فقد

(١) **ينظر**: مجلة الدعوة، العدد ٨٦٣.

كان يراعي كثيرا منها، في خاصة نفسه ويزرعها فيمن حوله، وقد تعامل مع أشياخه وأقرانه وطلاب بأدبيات التفقه العالية، فكان يتواصل بفقهه ليتغذى ويغذي رحمه الله فقد عرف عنه في درسه العلمي حبه للمطارحات العلمية بإثارة الأسئلة، بل بينه وبين طلبة العلم مراسلات يكون فيها مسؤولا أكثر من كونه سائلاً.

الأصل الخامس: التكامل:

التكامل الفقهي ظاهر في مسيرة الشيخ العلمية من خلال ترأسه عدد من اللجان الشرعية، ومشاركاته في الهيئات والمجامع الفقهية والمجالس القضائية، فهو يعنى بالاجتهاد الجماعي في تلك المواطن ويرسخه ويدعو له؛ لما يلمسه من أثر على الواقع الخاص والعام، ولما فيه من تبادل الخبرات العلمية والوقوف على جوانب عميقة في تداولات الفقهاء، وفيه تكامل مع أهل الاختصاص في تصور الوقائع والمتغيرات.

والتكامل يعزز لدى المتفقه والفقيه سعة في الأفق العلمية والعملية لمشاهدة الأحداث والمتغيرات من عدة زوايا، فيترسخ لديه فقه الموازنة، وإدراك جوانب المصالح والمفاسد ويتقن تراتيبها في سلم الأولويات، قال - رحمه الله- في أثناء بيان حول حكم تمثيل الأنبياء والصحابة موازناً بين التحريم وبين دور الفن في خدمة الإسلام ومبادئه: "إن في الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق لميداناً فسيحاً للفن والتمثيل فليتجه إليها الفن ما شاء الله له الاتجاه، وليبتكر ما شاء له الابتكار، وليدع أنبياء الله ورسله الكرام محفوفين كما حفهم الله تعالى

بالجلال والوقار، وليعمل على أن يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر"[١].

وسماحة الوالد تعزز له ذلك من تلك المجالس والهيئات، ومن تكامله مع ولاة الأمر مما جعله أكثر إلماماً بمسائل السياسة الشرعية وقواعدها في إدارة الناس والتعامل مع أقضيتهم، والإفتاء في الشأن العام، فكان محلاً لأنظار الفقهاء والمتفقهة في ذلك الوقت، وقد حضي بتقدير لدى ولاة الأمر رحم الله من مات منهم وحفظ من بقي.

وهنا فليعذر القارئ الكريم إن عجز القلم أو قصرت العبارة أو ضعف التصوير عن إعطاء صورة واضحة عن هذه الشخصية العلمية الفقهية المتميزة بالتحصيل والتأصيل، والبناء الفقهي الموفق.

والمقام لا يتسع للحديث عن كل جوانب هذه الشخصية، وقد يظهر للقارئ الكريم والناظر في هذا المجموع ما يفوق ما قرر هنا وما ذُكر، سائلاً المولى أن يكون فيما ذكر نفع للفقهاء والمتفقة من طلاب العلم والسالكين طرقه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتب نجله

د. صالح بن عبد الله ابن حميد

المستشار بالديوان الملكي وعضو هيئة كبار العلماء

إمام وخطيب المسجد الحرام

---

(١) **ينظر**: فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد، ٣/ ٣٣٤

مقدمة مركز البحث العلمي

الحمد لله يخلق ويختار ما يشاء، رفع بالعلم قدْر العلماء، والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وسيّد الحنفاء، حثّ على طلب العلم وأثنى على العلماء، فشبّه فضّلهم على الجهلاء بفضل القمر على كواكب السماء، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واقتفى أثره ما تعاقب الجديدان وانقشعت بالنور الظلماء.

أمّا بعد:

فإنّ للعلماء الربانيِّين مكانة كبيرة ومنزلة عالية رفيعة، قال الله تعالى منوِّهًا بهم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، وذكرَ شرفهم ومكانتهم نبيُنا وسيدنا محمد ﷺ فقال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، رواه أبو داود.

قال ابن القيِّم رحمه الله: (العلم هادٍ وهو تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم وورّاثهم)، وذلك لأنه منطلق الدين وركاز الدعوة الثمين، ونبراس الأئمة المجتهدين؛ ولأهمية العلم و شرفه وعُلوِّ مكانته أمر الله نبيه المصطفى ﷺ بالاستزادة منه فقال عزّ من قائل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وإذا كان العلماء بهذه المكانة العالية في الدّين، وهذا الشرف المكين عند المسلمين، فما بالك بعلماء الحرمين الشريفين الذين شرُفوا بنعمة الجوار فنهلوا من أصفى وأزكى معين، وفازوا بالعطاء الجزيل ومضاعفة الأجور؛ كفاءَ ما علّموا ودرسوا وأفادوا طلاب العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي وضيوف الرحمن من زوّارٍ وحجّاجٍ؛ فبذلك كانت لهم من نفوس المسلمين مكانة لا تجارى، ومنزلةٌ لا تُبارى.

ويأتي في مقدِّمة هؤلاء الأئمة الأعلام في زماننا المعاصر الإمام العلامة سماحة الشيخ/ عبدالله بن حميد الذي ذاع صيته واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، وتفقّه على يديه الجمُّ الغفير من طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، كيف وقد قضى عمره داعيًا ومدرسًا ومفتيًا في المساجد وفي رحاب بيت الله الحرام، ومشرفًا على شؤون التدريس فيه، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ أول من تولى رئاسة" الرئاسة العامة للإشراف الديني بالمسجد الحرام"، باختيارٍ من الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، فرحم الله سماحة الشيخ عبد الله وأجزل مثوبته جزاء ما قدّم لطلاّب العلم وزوّار وعمّار وحجاج المسجد الحرام من تعليم وتدريس وإفتاء وتوجيه.

وبعد عُمْرٍ مليءٍ بالعطاءِ والعلم المبارك، ورَّث سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ تراثًا علميًّا ضخمًا ما بين مؤلفات علميةٍ، ودروسٍ صوتية في شتى العلوم الشرعية، في التفسير والتوحيد والحديث وعلومه والفقه وأصوله، إضافة إلى فتاويه الخاصّة والعامَّة المشتركة، وأقضيته البارعة الباهرة، ومراسلاته

ومقالاته الفائقة، وشروحه الباهرة لمجموعة من المتون العلمية المتخصِّصة، إلاَّ أنَّ جزءًا من التراث العلمي لسماحته يرحمه الله لم يكتب له الانتشار والظهور؛ وذلك يعود إلى أنّ غالبه عبارة عن تسجيلات في أشرطة صوتية، ومقاطع مسجلة، أو وثائق ومراسلات ورقية، تحتاج إلى جهد منظم وفريق متخصص متفرِّغ لتحقيق هذا التراث وإخراجه في صورة تليق به.

ومن هنا تأتي أهمية جمع هذه الحصيلة العلمية، والنتاج المزهر الفائق، الذي تركه هذا العالم الجليل والحبر الأصيل، فهو ليس مجرّد علم، بل هو: علم وتربية وتزكية، وتجربة وخِبرة، بل هو موسوعة متكاملة في شتّى العلوم والمجالات.

ولقد كان من فضل الله على مركز البحث العلمي البدء والشروع في جمع هذا التراث الضخم من جميع مظانِّه، ومن ذلك صوتياته المحفوظة بالمسجد الحرام، وجميع تسجيلات دروس وفتاوي سماحة الشيخ الموجودة، كما تم التواصل مع أبناء سماحته رحمه الله، وفي مقدمتهم معالي الشيخ صالح، والذين بادروا بتزويد مركز البحث العلمي بكل ما لديهم من تراث سماحته رحمه الله.

وفور اجتماع هذه المواد العلمية من صوتيات ووثائق ودروس ومؤلفات، تمَّ وضْعُ خطَّةٍ متكاملة، اشتملت على: تفريغ التسجيلات الصوتية وكتابتها على الحاسب الآلي، وكذلك الوثائق والمراسلات والفتاوى، وبعد الانتهاء من تفريغها بدأت مراجعتها وتدقيقها وتحقيقها وفق أعلى المواصفات وأحدث المناهج العلمية الأصيلة، وبفضل الله ومنِّه وكرمه تم الانتهاء من هذا العمل المبارك بإذنه سبحانه، والذي أثمرَ موسوعةً مترامية الأطراف متكاملة الحسن

والجمال، حاويةً لجميع تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في أغلب العلوم الشرعية المباركة، وتقع هذه المعلمة المباركة في ثلاث وعشرين مجلدًا، تحوي نحو (٩٤٠٠ صفحة)، وهي على النحو التالي:

- المقدمة مجلد واحد (٣٨١ صفحة).
- تفسير آياتٍ من القرآن الكريم مجلد واحد (٤٧٣ صفحة).
- شرح سنن أبي داوود مجلد واحد (٤٤٦ صفحة).
- شرح كتاب التوحيد مجلدين (٨١٢ صفحة).
- شرح كشف الشبهات مجلد واحد (١١٩ صفحة).
- شرح تأسيس التقديس مجلد واحد (٢٣٦ صفحة).
- شرح الروض المربع ثلاث مجلدات (١٥١١ صفحة).
- شرح الرحبية مجلد واحد (٢٩٤ صفحة).
- شرح الآجرومية مجلد واحد (٢٤٢ صفحة).
- الرسائل والمقالات مجلدين (٨١٤ صفحة).
- المراسلات والوثائق مجلدين (١٠١٦ صفحة).
- الدروس والمحاضرات مجلد واحد (٦٢١ صفحة).
- الفتاوى الخاصة ثلاث مجلدات (١٧٤٥ صفحة).
- الفتاوى المشتركة مجلد واحد (٣١٦ صفحة).
- الأقضية مجلد واحد (١٤١ صفحة).
- الفهارس مجلد واحد (٢٤٠ صفحة).

وختامًا: لا يسعنا إلا أن نلهج بالشكر والثناء الجميل لله رب العالمين، فله تبارك وتعالى الفضل أولًا وآخرًا، ثم نزجي من الثناء أجمله ومن الشكر أجزله لمعالي رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السديس، والذي كان له شرف التوجيه بالبدء في جمع تراث علماء المسجد الحرام وأئمته، وإخراجه لطلاب العلم في أبهى صورة وأجمل حلّة، وأشرف على هذا المجموع من بدئه وحتى طباعته ونشره.

سائلين المولى سبحانه أن يتقبل هذا العمل وأن يثقِّل به موازين علمائنا وولاة أمرنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي

توطئة

أهمية الموضوع ودواعي اختياره:

إن من أهم ما ينبغي أن تضطلع به المراكز العلمية بناءُ حلقة تواصل بين السلف والخلف، وهذا لن يتحقق إلا ببث علومهم ومآثرهم، ولذلك عُني مركز البحث العلمي بنشر تراث العلماء الذين تركوا أثرًا جليًّا في ميادين العلم والدعوة والبر، ولهم صلة وثيقة بخدمة الحرمين الشريفين خاصة، ونفع المسلمين عامة، فكان من أعظم هؤلاء العلماء مكانة وأثرًا:

سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله

وذلك لكونه عالِماً أثرياً موسوعياً، شهد له علمه وعمله، فهو من أبرز علمائنا المعاصرين، وأرسخهم علماً، وأعظمهم أثراً؛ فكان من الواجب العناية بآثاره العلمية، وكنا -في مركز البحث العلمي- الأولى بذلك.

- **فوائد من ترجمة سماحته:**

إن من أحسن ما يجب أن يُعتنى به، ويُلم بجانبه بعد الكتاب والسنة، معرفة الأخبار، وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه، وتنويهٌ بأهلِ العلم الذين يجب أن تُتبع آثارهم، وتُدون مناقبهم وأخبارهم؛ ليكونوا كأنهم ماثلون بيننا، ومخاطبون لنا، نتعرف على ما هم به متصفون، ونشاهد مآثرهم وإن لم نعاين صورهم، ونعايش محاسنهم وإن لم نعش معهم.

ومما تميز به سماحة الشيخ فكان دعيًا إلى نشر علمه، ما يلي:

١- أنه عالم ومفت ومدرس بالمسجد الحرام، وأشرف على الشؤون الدينية فيه حتى ذاع صيته وعلمه من ساحاته ومنابره إلى الآفاق.

٢- أنه معلم فسّر كتاب الله الكريم، وشرح السنة النبوية، وكتب العقيدة، والكتب الفقهية.

٣- أن سماحة الشيخ رأس القضاة والفقهاء، وعلى يديه كانت تحل القضايا المستعصية المتعلقة بمحاكم المملكة العربية السعودية.

٤- كونه عالمًا ربانيًا واصل ليله بنهاره في خدمة الدين الإسلامي في المساجد والجامعات والمؤتمرات والندوات.

٥- أن الشيخ ترأس محاكم المملكة العربية السعودية، والمجلس الأعلى للقضاء، والمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، والإشراف الديني بالمسجد الحرام، وهيئة كبار العلماء.

٦- أن سماحة الشيخ كان يتتبع أحوال البلاد الإسلامية، وقنواتها، وصحفها؛ ليصحح ما يطرأ عليها من مخالفات عقدية أو شرعية.

٧- كون الشيخ عالمًا مجتهدًا بالنظر في الكتاب والسنة النبوية وهدي السلف الصالح، يملك القدرة على إفهام الآخر الحقَ وإقناعه به.

٨- كونه عالمًا ألف كتبًا جامعة نافعة وترك آثارًا علمية يصلح بها شأن العباد والبلاد.

المنهج المتبع في إعداد "مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن حميد":

• جمع ما كتب عن سماحة الشيخ، أو سجل له، وما كتب عنه، أو نشر له في الصحف والمجلات والإعلام والإذاعة، وما قدمه من خدمة علوم الدين وخدمة أهله.

• إن كان في شيء من ذلك غرابة أو غموض فيوضح بالرجوع إلى مظانه من حيث المصادر المسجلة له.

• تعزى آيات القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

• يخرّج الحديث أو الأثر؛ فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتُفي بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن لم يكن في أحدهما فيُبحث عنه في مظانه.

• يَعتمد هذا المجموع على المصادر والمراجع الأصلية والثانوية التي اقتبس منها، حسب الطبعة المبينة في فهرسة المصادر والمراجع.

خطة ترجمة سماحة الشيخ ابن حميد، وهي بعنوان:

سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد ابن حميد ومآثره العلمية

الفصل الأول: الحالة السياسية والفكرية في عصره

المبحث الأول: الحالة السياسية في عصره

المبحث الثاني: الحالة الفكرية في عصره

المبحث الثالث: أثر الحالة السياسية والفكرية في شخصيته

الفصل الثاني: اسمه ومولده ونشاته وأسرته وصفاته

المبحث الأول: مولده واسمه ونشأته وأسرته

المطلب الأول: مولده

المطلب الثاني: اسمه ونشأته وأسرته

المبحث الثاني: صفاته الخَلقية والخُلقية.

المطلب الأول: صفاته الخَلقية.

المطلب الثاني: صفاته الخُلقية:

- هيبته ووقاره وقوة شخصيته.
- تواضعه.
- ابتلاؤه وصبره.
- ورعه وزهده.
- ذكاؤه وقوة حفظه.
- صدعه بالحق وقوته فيه، ورجوعه له.
- فراسته ونور بصيرته.
- كرمه وحسن ضيافته.
- سعيه في قضاء حوائج الناس.
- اهتمامه بالمصالح العامة للمسلمين وغيرته على أحوالهم.
- حبه للنصيحة وقيامه بها.

الفصل الثالث: حياته العلمية

المبحث الأول: نبوغه المبكر

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

المطلب الثاني: طلابه وتلاميذه

المبحث الثالث: عنايته بالتوحيد والعقيدة الصحيحة

المطلب الأول: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين كتبه:

المطلب الثاني: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين دروسه:

المطلب الثالث: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين فتاواه:

المطلب الرابع: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين مقالاته:

المبحث الرابع: اطلاعه على التيارات الفكرية الوافدة وردوده عليها وتحذيره منها

المطلب الأول: اطلاعه على التيارات الفكرية

المطلب الثاني: متابعة الشيخ رحمه الله للتيارات الفكرية وتحذيره منها

المبحث الخامس: قوته في الحوار والمناظرة

المطلب الأول: حواره مع العلماء:

المطلب الثاني: حواره مع المدعي من عامة الناس:

المبحث السادس: **تجرده من العصبية المذهبية**

المبحث السابع: **منهجه مع النص ورده على من يخالفه**

المطلب الأول: النص ومكانته في الاستدلال لدى الشيخ

المطلب الثاني: تقريره للمسائل بالإجماع والاحتجاج به

المطلب الثالث: احتجاجه بفتاوى الصحابة رضي الله عنهم

المطلب الرابع: تقرير الشيخ للقياس واحتجاجه به

المطلب الخامس: طريقة عرضه للأدلة والخلاف

المطلب السادس: ملكته في الاستنباط

المبحث الثامن: **مكانته العلمية**

المطلب الأول: قوته القضائية

المطلب الثاني: ثناء العلماء والأعيان عليه

الفصل الرابع: مؤلفاته وآثاره العلمية

المبحث الأول: **منهجه في مؤلفاته**

المبحث الثاني: **منهجه في دروسه العلمية**

المبحث الثالث: **آثاره العلمية الموسوعية**

وجلُّ آثاره العلمية ضمها هذا المجموع «مجموع آثار سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله» حسب الخطة المعدة[1] له، وكما تبينه جداول مجموعات الموسوعة وأقسامها فيما يلي:

اسم المجموعة	عناوين الكتب	عدد المجلدات	الرقم التسلسلي
المجموعة الأولى	المقدمة	١	١
المجموعة الثانية	تفسير آياتٍ من القرآن الكريم	١	٢
	تعليقات على سنن أبي داود (من أوله إلى نهاية باب في الاستعاذة)	١	٣
	شرح كتاب التوحيد (١)	٢	٤
	شرح كتاب التوحيد (٢)		٥
	شرح متن كشف الشبهات	١	٦
	شرح كتاب تأسيس التقديس	١	٧
	شرح كتاب الروض المربع (١)	٣	٨

(١) هذه الآثار العلمية لسماحته رحمه الله التي تيسر الوقوف عليها ونشرها، وإن وجدت غيرها ستخرج في ملاحق خاصة أو طباعة ملحقة بها بمشيئة الله تعالى.

الرقم التسلسلي	عدد المجلدات	عناوين الكتب	اسم المجموعة
٩		شرح كتاب الروض المربع (٢)	
١٠		شرح كتاب الروض المربع (٣) (شرحه من أول الكتاب إلى نهاية باب عقد الذمة)	
١١	١	شرح متن الرحبية (من أول المتن حتى باب الحجب، ثم أكمل نجله معالي الشيخ صالح شرح المتن حتى نهايته)	
١٢	١	شرح متن الأجرومية (من أول المتن حتى باب التمييز، ثم أكمل نجله معالي الشيخ صالح شرح المتن حتى نهايته)	
١٣	٢	الرسائل والمقالات (١)	المجموعة الثالثة
١٤		الرسائل والمقالات (٢)	

اسم المجموعة	عناوين الكتب	عدد المجلدات	الرقم التسلسلي
المجموعة الرابعة	المراسلات والوثائق (١)	٢	١٥
	المراسلات والوثائق (٢)		١٦
المجموعة الخامسة	الدروس والمحاضرات	١	١٧
المجموعة السادسة	الفتاوى الخاصة (١)	٣	١٨
	الفتاوى الخاصة (٢)		١٩
	الفتاوى الخاصة (٣)		٢٠
المجموعة السابعة	الفتاوى المشتركة	١	٢١
المجموعة الثامنة	الأقضية	١	٢٢
المجموعة التاسعة	الفهارس	١	٢٣

الفصل الخامس: وظائفه الرسمية وجهوده الدعوية وأعماله الخيرية ورحلاته العلمية

المبحث الأول: الوظائف الرسمية التي تقلدها

المبحث الثاني: جهوده الدعوية

المطلب الأول: مجالاته الدعوية

المطلب الثاني: منهجه في الدعوة إلى الله وتضحياته لها

المبحث الثالث: أعماله الخيرية وسعيه في قضاء حوائج الناس

المطلب الأول: استقباله للناس لقضاء حاجاتهم

المطلب الثاني: أعماله الخيرية

المبحث الرابع: رحلاته

المطلب الأول: رحلاته في داخل المملكة العربية السعودية

المطلب الثاني: رحلاته إلى خارج المملكة العربية السعودية

الفصل السادس: وفاته ومراثيه

المبحث الأول: مرضه ووفاته

المبحث الثاني: مراثي الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله

١. مرثية الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٢. مرثية الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن بن جبرين.

٣. مرثية الشيخ محمد بن عبدالله السبيل.

٤. مرثية أحمد الغنام من دولة الكويت.

٥. مرثية إبراهيم المديفر.

٦. مرثية الشيخ عبد العزيز بن محمد النقيدان.

٧. مرثية الدكتور رضا بن نعسان معطي.

٨. مرثية الدكتور ناصر بن سعد الرشيد.

٩. مرثية الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى.

١٠. مرثية الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سبيل.

١١. مرثية الشيخ سعد بن عبد العزيز الرويشد.

١٢. مرثية الشيخ حمد بن محمد بن فريان.

١٣. مرثية الأستاذ حمد بن صالح الفهاد.

١٤. مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط.

١٥. مرثية الأستاذ إبراهيم بن محمد السيف.

١٦. مرثية الأستاذ عبد العزيز بن محمد بن حمد الفارس.

١٧. مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام.

١٨. مرثية الشيخ محمد بن أحمد سيد.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

فريق الإعداد

سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن محمد ابن حميد

ومآثره العلمية

الفصل الأول

الحالة السياسية والفكرية في عصره

المبحث الأول: الحالة السياسية في عصره

المبحث الثاني: الحالة الفكرية في عصره

المبحث الثالث: أثر الحالة السياسية والفكرية في شخصيته

مُقَدِّمَة

تعد فترة الحكم العثماني مرحلة مهمة في تاريخ العالم العربي، حيث امتدت سيطرة الدولة العثمانية على المشرق والمغرب لفترة زمنية طويلة، تاركة آثارها على مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية، ولم تكن الجزيرة العربية بمنأى عنه، حيث امتد نفوذها إلى الأحساء والحجاز وعسير واليمن وعدن ومسقط، إلا أن البلاد النجدية سلمت منه؛ إذ لم تعن للعثمانيين شيئا لطبيعتها القاسية، فكان الأمراء والشيوخ يحكمونها، وتشكلت فيها إمارات صغيرة، يسودها الجفاء والصراع.

وكان النفوذ الإنجليزي منافسا للنفوذ العثماني، حيث قام الإنجليز بمحاولات عديدة للسيطرة على الخليج منذ أوائل القرن السادس عشر، وتبلور نفوذهم من خلال عقد عدة اتفاقيات تمكنوا عبرها من السيطرة على تلك الأقاليم، وذلك مثل: توقيع سلطان مسقط والساحل العماني اتفاقا مع بريطانيا سنة ١٧٩٨م؛ مهَّد للحملة البريطانية على الساحل سنة ١٨٠٦م، وكعقد اتفاقية مع سلطان لحج المسيطر على عدن، وكان هذا الاتفاق تقدمة لتمدد النفوذ الإنجليزي على سواحل جزيرة العرب، كما اقترن النفوذ الإنجليزي في جزيرة العرب باحتلال مصر سنة ١٨٨٢م، وكان كل ذلك تمهيدا لتوسع النفوذ الإنجليزي وتسلطه على المشرق العربي.

وهكذا تقاسم الإنجليز والعثمانيون نفوذهم في جزيرة العرب لفترة طويلة، مما أورث الجزيرة بشكل عام تخلفًا وتأخرًا عن البلدان والأقاليم

المجاورة، إلا أن الله هيأ للأمة إمامين مباركين، سخرا ما أنعم الله به عليهما من العلم والسلطة لعودة الأمة إلى العقيدة الصحيحة، وهما: الإمام محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود رحمهما الله.

ومن هنا عملت الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والمنكرات ومظاهر الظلم والفساد، التي استشرت في ربوع الجزيرة العربية، وأدت إلى تردي أحوالها السياسية والاجتماعية والعلمية إلى أسوأ الأحوال.

يقول عبد الله العجلان عن أحوال البلاد النجدية آنذاك: "كان أهلها في غاية الفُرقة والشتات والتطاحن وسفك الدماء.

فالقبائل العربية التي تنتقل حيث الماء والكلأ والمرعى يُغير بعضها على بعض في وضح النهار، ويعيشون على السلب والنهب بغزو بعضهم بعضا ويقتلون ويأسرون ويغنمون.

والبادية يغزون الحاضرة المقيمين في المدن والقرى، وينهبون مواشيهم وثمار نخيلهم، ويقتلون من يمنعهم من ذلك أو يدافع عن ماله، وأهل القرى والمدن في خصومات مستمرة مع جيرانهم من المدن والقرى المجاورة؛ بل أن أهل البلد الواحد توجد فيما بينهم الخصومات والمنازعات التي تصل إلى حمل بعضهم السلاح على بعض، وسفك الدماء المحرمة بغير حق عند أمور بسيطة؛ مثل الاختلاف على الماء، أو مقاسم السيل والأرض. بل الإمارة في البلد الواحد تقوم عليها المنازعات والقتال بين أهل البلد الواحد كل يطلبها. بل تتقاتل عليها القبيلة الواحدة كلّ يريدها لنفسه، بل يتقاتل عليها أقرباء الرجل

وبنو عمه، ولا يُمضِي الغالبُ في الإمارة إلا شهورا أو أياما حتى ينقضَّ عليه خصومُه سرا أو جهارا فيقتلونه ويتولون الأمر من بعده، وهكذا حتى صارت الحياة مرة وجحيما لا يطاق العيش في ظلها، والذين كتبوا عن هذه الفترة التاريخية نقلوا لنا صورة مروعة عن بحيرات الدم القاني المراق في ربوع نجد في باديتها وحاضرتها، في شمالها وجنوبها، في شرقها وغربها، بلا فرق.

والكلمات التي عبروا بها تقطر دما وتفيض أسى وألما وحزنا على هذه الحالة السياسية السائدة في نجد، والتي تراق فيها دماء زكية في غير سبيلها، بل بما يغضب الله ويوجب مقته ويبعد عن رحمته ويؤجج نار الفتنة ويعمق الخلافات ويثير الأحقاد ويؤصل العداوة ويدعو إلى الأخذ بالثأر من كل طرف"(١).

هكذا كانت الحال إلى أن قامت الدولة السعودية الثالثة بهمة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، فكتب الله لها العزة والتمكين والتوفيق، فجمعت شتات العباد، وضمت أطراف البلاد، وانتشر الأمن، وفاض الرزق، وعمَّ الخير وكثر، وكان لتعاليم العقيدة الصحيحة المباركة أثر بالغ على أبناء الجزيرة، حيث أحيت فيهم القيم الإسلامية النبيلة، والشيم العربية الأصيلة، وأشعلت فيهم روح الوحدة والتعاون، وألّفت بينهم على الأخوة الإسلامية متساوين متحابين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد (ص١٨١-١٨٢).

المَبْحَثُ الأَوَّل

الحالة السياسية في عصره

إن الإنسان بطبيعته لا يمكنه أن ينمو بمعزل عمن حوله، بل لا بد أن يتأثر بالبيئة المحيطة به والظروف التي يعايشها، إمَّا إيجابًا بأن يعترف بها ويتماشى معها، أو سلبًا بأن يعارضها ويكون له منها موقفا مضادا، سعيا في إصلاحها؛ لذلك لا يمكن لباحث ما أن يتناول فكر إنسان دون النظر إلى الظروف والأحوال التي لابست نشأته وحياته؛ إذ أن ذلك على الأقل سيفسر لنا كثيرا من الآراء التي تبناها والمواقف التي اتخذها حيال قضايا ومسائل بعينها؛ ولدراسة شخصية الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، علينا أن نلم بالحالة السياسية والفكرية وأثرها عليه في الفترة التي ولد وعاش فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إن هذه الحقبة التي ولد وعاش فيها سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ شهدت أحداثا سياسية مهمة وعديدة، ففيها بدأ الصراع في منطقة الخليج العربي يأخذ شكلا إيجابيا بين الإنجليز والألمان والروس والعثمانيين، وفي هذه الحقبة أيضا بدأ عبد العزيز بن الرشيد يتطلع إلى ضم الكويت حتى يجعل حدود ولايته تصل إلى البحر، وذلك بإيعاز من الدولة العثمانية، وقبيل ولادة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعشر سنين تقريبا خرج الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من الكويت لاسترداد حكم أسرته، فدخل الرياض عنوة، وخرج إليه الناس فرحين مستبشرين بعودة آل سعود واستئناف حكمهم.

وكان على الإمام رحمه الله أن يؤمن أطراف حكمه من آل رشيد وغيرهم، فانطلق مسرعا إلى منطقة العريض لتحصين الرياض استعدادا لمهاجمة ابن رشيد، فاجتاحها وأقام عليها الأبراج المرتفعة لتكون سياجا منيعا لسكان العاصمة، فسمع بذلك ابن رشيد فأرجأ مراده بمباغتة الإمام لأخذ الرياض منه، وهكذا لم تزل قوات ابن رشيد تتراجع شيئا فشيئا بالخناق المفروض عليهم من الإمام، لا سيما وقد ظهر له أيضا تحول كثير من الوقائع ضده، بأن كثيرا من القبائل والعشائر ناوأته، وانضمت إلى كتائب الإمام عبد العزيز رحمه الله، لكنه لم يزل مصرًّا على منازلة الإمام مستعينا بدعم العثمانيين، وبعد معارك ضارية ووقائع عديدة، نزل آل رشيد تحت حكم الإمام عبد العزيز فأكرمهم وعفا عنهم.

أولا : علاقة الدولة السعودية - في عهده - بالعثمانيين :

بدأ الملك عبد العزيز رحمه الله في بناء الدولة بعد ما استعاد ملك آبائه بدخول الرياض وسيطرته على مقاطعات عدة؛ كالوشم، وسدير، والخرج، والحوطة، ووادي الدواسر، وغيرها، حتى اجتمعت له نجد بأكملها، فأثار ذلك مخاوف الدولة العثمانية، ورأت فيه خطرا ببعث الحركة السلفية التي كلفتها الكثير من قبل، كما رأت في قوته واتساع نفوذه ضياعا لسلطانها وهيبتها، ولذلك رأت الدولة العثمانية ضرورة الحد من سلطان الملك عبد العزيز، فقامت بمحاولات عديدة لاستعادة ما أخذه، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، بل تضاعفت إنجازاته وانصرف بالكلية إلى عمارة دولته ورعاية رعيته في مختلف ميادين الحياة.

كانت علاقة الملك عبد العزيز بالعثمانيين تتسم بالمهادنة وإبداء حسن

النوايا، وما تميز به من الحنكة والدهاء وحسن القيادة أكسبه هيبة كبيرة، أجبرت خصومه على الاعتراف به، حتى إن السلطان العثماني منحه لقب "باشا" ومعه "نيشان" من أعلى الدرجات، بل استنجدت به الحكومة العثمانية حيث طلبت منه أن يسعفها بوضع قوة عربية من رجاله في الأحساء لحماية الترك فيها، لكنه رفض؛ لأنهم كانوا يسيؤون معاملة العرب مما أدى إلى انشقاق وخروج بعض العرب عليهم، وقال: "إنه عربي فلا يحارب من أجل الدولة العرب"[(١)].

ثم بعد أن تصدعت الدولة العثمانية بعدة سنوات، انتهز الملك عبد العزيز الفرصة، فتوسع في ضم الأقاليم الأخرى لمملكته كالأحساء مثلا؛ حيث اتجه إليها وحررها من أيدي العثمانيين عام ١٣٣١هـ، وكان اتخاذ قراره رحمه الله في استرداد الأحساء؛ لتأمين سلامة الديار النجدية بعد أن ساد الهدوء الجانب الغربي منها.

يقول صلاح الدين المختار: "لقد تعرضت الإمبراطورية العثمانية منذ استيلاء جماعة حزب الإتحاد والترقي على الحكم، إلى هزات سياسية داخلية وخارجية خطيرة، ومنها تلك السلسة من الحروب التي فقدت الإمبراطورية في أعقابها أجزاء شتى من ممتلكاتها... وحيال هذه الكوارث التي حلت تباعا بهذه الامبراطورية اضطرت للخضوع إلى رغبات الإنجليز...، وكان الإمام عبد العزيز مهدَّدا من خطر هذا الاستعمار فضرب ضربته السريعة بضم الأحساء، وجعل حكومة الاتحاديين أمام الأمر الواقع، وهي عاجزة عن مواجهة

---

(١) ينظر: تأريخ المملكة العربية السعودية (ص١٣٣).

الإمام في إجرائه هذا، فسعت بقدر الإمكان للمحافظة على مصالح الدولة العليا بشكل رمزي، وعلى هذا الأساس عقدت مع الإمام معاهدة في خريف ١٩١٣هـ، نصت على إلحاق منطقة الأحساء بإمارة نجد، واعتبرت الاثنتين ولاية واحدة من ولايات الامبراطورية، والإمام عبد العزيز واليا وقائدا عاما واسع الصلاحيات، مع احتفاظه بحق إنشاء جيش يحفظ الأمن في داخل البلاد، وقدَّم أنور باشا وزير الحربية العثمانية عام ذاك إلى الإمام وساما رفيع الدرجة مشفوعا بتهنئة "رقيقة" على إخلاصه للدولة العثمانية.

ولم يُقْدِم الإمام عبد العزيز على هذه الخطوة إلا تفاديا للمشاحنات ولنقمة الاتحاديين، وليقطع على الإنجليز أي محاولة للسيطرة على سواحل الخليج العربي كافة، إذ إن الحكومة العثمانية لا يمكنها بعد عقد هذه المعاهدة مع الإمام أن تتنازل عن الأحساء فيما إذا أصر الإنكليز عليه بوجوب هذا التنازل، وكانت الحكومة العثمانية بدورها ترى أن هذه التسوية مع الإمام عبد العزيز آل سعود تجنبه الارتباط مع الإنجليز بأي اتفاقية..."[١].

وفي عام ١٩٢٢م ضم الملك عبد العزيز إقليم عسير، بعد انسحاب القوات العثمانية منها للدخول في الحرب العالمية الأولى، لاحتياجهم لتلك القوات، واستنجاد أهالي عسير بالإمام من ظلم واليها، فلبى نداءهم وحررهم من الظلم.

وفي عام ١٣٤٠هـ انتهى من مقارعة بقايا آل رشيد، وبذلك خضعت له نجد

---

(١) **ينظر**: تأريخ المملكة العربية السعودية (ص١٥٩).

وملحقاتها، ثم حدث الخلاف بينه وبين الملك حسين بن علي، فنشأت صدامات متعددة بينهما انتهت -بفضل الله- بالتمكين للملك عبد العزيز رحمه الله، وهذا ما سنوجزه في الفقرة التالية، وهي عن علاقة الدولة السعودية بولاة الحجاز في تلك الفترة.

ثانيا: علاقة الدولة السعودية - في عصر الشيخ - بالأشراف:

في عام ١٣٣٥هـ أعلن الشريف حسين نفسه ملكًا على العرب، وتحدث باسمهم في المؤتمرات والمحافل، وقدم الملك عبد العزيز احتجاجاته على هذا التعدي وعدم مراعاة الشريف لمكانة الأقاليم المستقلة كنجد وغيرها، وتسبب هذا في توتر العلاقة وتصاعد الخلاف بينهما، حتى أدى إلى نشوب معارك بين الفريقين، كانت نتيجتها انتصار الملك عبد العزيز وضم الحجاز؛ حيث خضعت له الطائف عام ١٣٤٣هـ، ثم دخل الجيش السعودي مكة محرمًا دون حرب في نفس العام، بعد فرار الحسين وولده منها. وفي عام ١٣٤٤هـ دخل جدة بعدما غادرها واليها الشريف علي، إثر معارك وحصار استمر عامًا، وانتهى بذلك حكم الأشراف على الحجاز، ثم التقى الملك عبد العزيز بوجهاء وعلماء الحجاز وبايعوه، وقرروا فكرة دمج القطرين وإطلاق اسم المملكة العربية السعودية عليهما. وهكذا دانت للملك عبد العزيز الحجاز ونجد وجميع ملحقاتها، واكتملت رحلة التوحيد عام ١٣٥١هـ(١).

---

(١) ينظر: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين (ص٧١).

لقد كانت الأوضاع السياسية عمومًا في تلك الحقبة التي ولد وعاش فيها الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله، تتجه للتعافي من مظاهر الظلم والعداء التي كانت متوقدة بين زعماء الأقاليم المتجاورة، بدافع التسلط والاستئثار، كما أخذت تتخلص تدريجيًّا من السيطرة الخارجية بفضل الله، ثم بفضل جهود الإمام عبد العزيز رحمه الله، الذي بذل جهودًا كبيرة في القضاء على تلك المظاهر السلبية والأطماع الاستعمارية، وسعى لنشر العقيدة الصافية، ولمّ شمل الأمة عليها، ففتح الله عليه بعد جهد جهيد، وكفاح طويل مرير، سوّى فيه العلاقات بمن حوله في الجزيرة العربية، وعلاقاته بالقوى الخارجية أيضًا؛ تحقيقًا للسلام والرخاء، وطلبًا للتفرغ في العمارة والبناء. أمطر الله على مرقده شآبيب الرحمة والمغفرة والرضوان، وبوأه المنازل الرفيعة في الجنان، إنه كريم متفضل منان. اللهم آمين.

وبهذه الحكمة والحزم والوسطية والرحمة والعدل، تابع أبناؤه البررة الأوفياء تلك المسيرة المباركة الموفقة، يقيمون شرائع الله وحدوده، وينتهجون هدي النبوة الطاهر، يصلحون، ويشيدون، ويطورون، سباقون لخدمة الأمة عموما، والشعب السعودي خصوصا، فلا تزال تتقدم وتتفوق هذه الدولة المباركة في كافة المجالات؛ سواء في الشؤون التعليمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية والأمنية، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثاني

الحالة الفكرية في عصره

منذ أن تسلط الاستعمار الغربي على الشرق الإسلامي، وهو يعمل على محاربة الإسلام والمسلمين فكريًّا، كما حاربه سياسيًّا وعسكريًّا، فتأثرت بذلك عموم البلاد العربية، حيث وجه الاستعمار سهامه السامة بالدرجة الأولى نحو التراث الإسلامي والعربي الذي خلّفه السلفُ للخلف، فأفسدوا فيه، وأثاروا الشبهات، وزوروا الأكاذيب، وعملوا على تشويهه طيلة تلك الفترة المنصرمة، فانبرى لصد هذه الهجمة الشرسة الخطيرة، علماء ربانيون، ومفكرون واعون، ومثقفون مخلصون، ذادوا عن حياض الدين وأهله، وعن تراثهم المجيد الطاهر بكل صدق وإخلاص.

ومن المعلوم أن التوجه الفكري يستمدُّ -غالبًا- تأثيره وقوته من العائد الثقافي المكتسب من تحصيل العلم والتزود بالمعرفة، وإذا أردنا التعرف على الحالة الفكرية في عصر ما، فيتحتم علينا معرفة الحالة التعليمية فيه.

وإذا أردنا التعرف على الحالة الفكرية في عصر الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله، فلنستحضر طبيعة الحياة العلمية في تلك الحقبة من الزمن، فالعهد الذي ولد وعاش فيه الشيخ رحمه الله، يبدأ من مطلع الدولة السعودية الثالثة عام ١٣١٩هـ، في عهد الملك المؤسس، إلى مفتتح عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود -رحمهم الله جميعا.

لقد حظي الجانب التعليمي في عهد الإمام المؤسس بعناية كبيرة؛ حيث أنشأ مديرية خاصة بالمعارف تشرف على جميع المدارس في البلاد وذلك عام ١٣٤٤هـ، بعد أن كان التعليم في شكله التقليدي غير المنتظم، يقتصر على ما تقوم به المساجد والكتاتيب من دور يسير في تعليم أبناء المسلمين.

ويصور لنا د/ راشد المبارك حالة التعليم في البلاد قبيل عهد المؤسس فيقول: "كان التعليم يختلف في هذا الجزء لاختلاف حالته السياسية والاجتماعية والتاريخية، ففي الحجاز التي بها الحرمان الشريفان، كان كل من الحرم المكي والمدني مدارس ذات حلقات، تدرَّس فيها فروع المعرفة في الدين واللغة، ويفد إليها ويجتاز منها أعداد من طلاب العلم من داخل الحجاز وخارجه. وقد ذكر ذلك أحد المستشرقين عند زيارته الحجاز أواخر القرن التاسع عشر. وأضاف: وإلى جانب الحرمين، قام عدد من المعاهد الأهلية التي أنشأها بعض المحسنين... ولا يُعرف لمثل هذه المعاهد نظيرٌ في جنوب الحجاز حيث يحكم الأدارسة، ولا وسط الجزيرة حيث يوجد ابن رشيد، ولا شرق الجزيرة حيث تدار الأحساء والقطيف من قبل الدولة العثمانية.

وكان عدد قليل من الناس في هذه البلاد يتعلم القرآن ومبادئ السيرة من القراءة والكتابة وشيء من الحساب في أماكن تعرف بالكُتَّاب، يقوم بالتدريس فيها فرد في أغلب الحالات... ويُدعى هذا الفرد أو الأفراد "المطوع"، ولم يكن من الناس من تمكّنه ظرُوفه وتدفعه رغبته إلى تحصيل مستوى أعلى من المعرفة في العلوم الدينية واللغوية، إلا عددا يسير يتلقى هذه المعارف على يد

طلبة علم، يُعرف الواحد منهم بالشيخ، يلقون دروسهم في حلقات، يدرِّس فيها الفقه والتوحيد والتفسير واللغة.

وفي وسط نجد كان هناك عدد من العلماء يتصدرون للتدريس؛ من أبرزهم أسرة المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكذلك كان الشأن في الأحساء؛ حيث يوجد عدد من بيوت العلم المعروفة..."[1]، وهذا الوضع أدى بدوره إلى ركود فكري متغلغل منيت به عامة البلاد العربية آنذاك بسبب تسلط الاستعمار ونفوذه على البلاد العربية.

يقول معالي الأستاذ/ عبد العزيز السالم: "كادت ظلال الاستعمار القائمة أن تطمس الصورة الوجدانية للشعوب العربية التي سادها ذلك الاستعمار، وحجّم أثرها العلمي، وقلّص مساحتها الثقافية، وحدّ من حرية انطلاقاتها الفكرية...".

ويضيف: "بأن سياسة الدولة العثمانية في أواخر أيامها، مسخ الصورة العربية وحولها إلى صورة مهزوزة، وذلك بتغليب المفاهيم التركية، ومحاولة توسيع نطاق الطابع التركي، فجعلت من لغة البلاد الأم لغة ثانية؛ حيث قدمت عليها لغتها بصفتها صاحبة سلطة وتسلط؛ ولذلك انهارت الحياة الفكرية، وتدنت الثقافة تبعا لمحاصرة التعليم في أدوار محدودة، تحيطها أسوار من التسلط العسكري الجاهل"[2].

---

(١) ينظر: نظرة على التقدم العلمي في المملكة (ص٢٧٣-٢٧٤).

(٢) ينظر: الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مئة عام (ص٣٩ – ٤٠).

فلما انبثق عهد المؤسس رحمه الله، لم تمض ثلاثة أشهر من دخوله الحجاز حتى أنشأ مديرية المعارف، التي كانت نواة مباركة انتظم بها التعليم في أرجاء البلاد، وتطور تطور سريعًا ملموسا؛ حيث أولاه جل عنايته "فاستطاع رحمه الله من خلال تطلعاته الكبيرة أن يؤسس لبناء وطن كبير، ويضع هذا الوطن على طريق المعرفة الحديثة، على الرغم من المصاعب الكثيرة والإمكانات القليلة، لكن الإيمان الثابت، والإرادة القوية، والحزم في اتخاذ القرارات، عوامل مهمة في تذليل الصعاب، وقهر المتاعب، فكما حمل راية التوحيد، فقد حمل كذلك مشعل المعرفة، فأضاء جوانب الجزيرة، وجعل التعليم يتخطى حواجز المدن، ويتجاوز أسوارها إلى الدراسات الجامعية والعليا، داخل البلاد وخارجها، في بعثات دراسية على حساب الدولة"(١).

ويؤيد هذه الرؤية ما ورد عنه أنه قال: "إن المنطلق الحقيقي لكل إصلاح وتقدم في هذه الدولة، يعتمد أساسا على نشر العلم على أسس إسلامية متينة"(٢).

لقد ارتبط التعليم في هذه الديار المباركة ارتباطا وثيقا بتعاليم الشريعة الإسلامية؛ لأن الدعوة السلفية لازمت نشأة هذه الدولة المباركة منذ تأسيسها على يد الإمامين وقامت على ثوابتها، فكان لأفكار الحركة الإصلاحية تأثير كبير في مجال التعليم في البلاد، حيث حظيت العلوم الشرعية باهتمام ودعم منقطع النظير ولله الحمد والمنة.

---

(١) **ينظر**: الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مئة عام (ص٥٤).

(٢) **ينظر**: التعليم العالي في المملكة انجازات وتحديات (ص١٠).

وخلق هذا الاستقرار الاجتماعي والتطور الثقافي مواجهات فكرية بين التيارات الوافدة ذات الأفكار المادية والتوجهات الشاذة، وبين الحركة الإصلاحية القائمة على المنهج الرباني القويم، ونشأت تيارات حاولت الوقوف في وجه الدعوة الحقة وناصبتها العداء؛ فانبرى لها العلماء الربانيون وأئمة هذه الدولة المباركون؛ لحماية هذا الدين العظيم، وصيانته من مزاعم أرباب الشبهات والتزوير.

يقول محمد المغراوي: "كان هذا الملك على نهج سلفه في تبني العقيدة السلفية والدفاع عنها، وحمايتها وتأييدها بالمال والرجال والنفس، وكانت المملكة في عهده مأوى كل سلفي، وكان رحمه الله يستطلع جميع البلاد الإسلامية، فكل من بلغه عنه أنه على هذه العقيدة المباركة، كاتبه، وإن أمكن أحضره إليه وقربه.

وأما علماء بلده، وخصوصا سلالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلا تسأل عن الحفاوة والاستشارة وتعميدهم للفتوى، والفصل بين الناس.

وكاتب رحمه الله الكثير من خارج قطره يدعوهم إلى عقيدة السلف ويشرحها لهم، ويبين لهم بطلان مزاعم الحاقدين على الدعوة السلفية، وإنما هو شيء اخترعه الحاسدون والحاقدون، وقد أمر رحمه الله بطبع كثير من كتب السلف وتوزيعها بالمجان على طلبة العلم، وله في ذلك جهود سنين وأياد

بيضاء، فجزاه الله خيرا وأسكنه جنة الفردوس"[1].

يقول الملك عبد العزيز: "يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خامس، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بجديد، فعقيدته هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة؛ مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا"[2].

إن سلطان الدولة السعودية في كل مراحلها لم يغب عن مصاحبة الدعوة السلفية المباركة في طريق البناء والتوحيد، حيث كان مبدأ تأسيسها على ترسيخ العقيدة الصحيحة في المجتمعات، ومحاربة الشرك والخرافة والمنكرات، وهذا ما تعاهد عليه الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود؛ حيث انطلقا في طريق الحق والخير والصلاح، متعاضدين في عودة الأمة إلى الاعتقاد الصحيح.

ولقد ذكرت المصادر التاريخية أن الإمام محمد بن سعود رحمه الله دخل على الشيخ محمد بن عبد الوهاب -حين خرج من العيينة إلى الدرعية - فقال له: أبشر ببلاد خير من بلدك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك

(١) ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٩/ ٣٢١).
(٢) ينظر: جهود المملكة في خدمة الدعوة (ص٤٢).

بالعز والتمكين، وهذه كلمة "لا إله إلا الله"، من تمسك بها، وعمل ونصرها؛ ملك بها البلاد والعباد[1].

وتابع الملك عبد العزيز رحمه الله وأبناؤه حتى وقتنا الحاضر، غرس الفكرة القويمة المباركة، فما زالوا يقربون العلماء، ويكرمونهم، ويشاو ويعاونونهم لتحقيق تلك الغاية السامية.

فالدعوة السلفية دعوة مبنية على العلم والمعرفة، وتتبنى القضاء السلوكيات السلبية عامة؛ اعتقادية كانت أم عملية، وعلى تلك الغاية ال الشريفة، نشأت هذه الدولة المباركة، التي سخر الله لها أولئك الأوفياء الحك البواسل، فبارك الله جهودهم لصدق نيتهم وإخلاصهم، فكانوا كالشموع الم التي أحرقت نفسها لينعم بضوئها الآخرون.

وما هذه الحضارة الفكرية والمعرفية، وهذا الأمن الاجتماعي، والن الاقتصادي، والتطور المتسارع، إلا ببركة تلك الجهود الموفقة، فجزاهم الله الإسلام والمسلمين خير ما جزى به محسنًا نظير إحسانه وإخلاصه... الل امين.

---

(١) ينظر: جهود المملكة في خدمة الدعوة (ص٤١).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

أثر الحالة السياسية والحالة الفكرية في شخصيته

لقد عاصر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عهد خمسة ملوك من ملوك الدولة السعودية الثالثة؛ زمن حكم المؤسس الملك عبد العزيز، وزمن الملك سعود، وزمن الملك فيصل، وزمن الملك خالد، وتوفي بعد أن تولى الملك فهد مقاليد الحكم بثلاثة أشهر تقريبا -رحمهم الله جميعا رحمة واسعة.

ولمّا كانت المرحلة الأولى من تأسيس الدولة السعودية الثالثة، تمتد من فتح الرياض عام ١٣١٩هـ حتى عام ١٣٤٠هـ[١]، وكانت ولادة الشيخ ابن حميد عام ١٣٢٩هـ، فقد أدرك نحو أحد عشر عاما من تلك المرحلة وهو في سن الطفولة، وهي مرحلة دقيقة انطلقت فيها جحافل العقيدة بقيادة المؤسس رَحِمَهُ اللَّهُ، لنشر معالم التوحيد في أرجاء البلاد، ومحاربة المنكرات والظلم، ودعوة الناس إلى الخير، لتترسخ بها دعائم الدولة، فأخذت تتوسع شيئا فشيئا، حتى دخلت المرحلة الثانية بين عام ١٣٤١هـ و ١٣٥١هـ، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حينها قد ترعرع وأدرك ما يدور حوله من الأحداث، حيث عايش تلك الأحداث الداخلية والخارجية المتلاحقة، وكانت انتصارات الملك عبد العزيز المتعاقبة، انتصارًا للحركة الإصلاحية المباركة التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

---

(١) ينظر: جزيرة العرب في القرن العشرين (ص٢٧٨ – ٢٩٧).

بمعونة وتأييد من الإمام محمد بن سعود، لدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة، وإحياء السنة النبوية الطاهرة.

كان الشيخ ابن حميد رحمه الله حينها قد تجاوز عقدين من عمره، فعاصر ما فيها من أحداث شائكة، وأدرك التطورات المتعاقبة التي أثمرت تلك الانتصارات الشامخة، فوعى الظروف العصيبة التي عايشتها هذه الدولة المباركة في سبيل البناء، فكوّنت له بطبيعة الحال تلك المواقف ثقافة غزيرة، كان لها أثر في بناء شخصيته العلمية القوية.

يقول عبد الله العجلان: "ولما كانت نجد وهي قلب شبه جزيرة العرب أقل أقاليم الخلافة العثمانية رعاية؛ إذ أن العثمانيين لم يعيروا هذه المنطقة أي اهتمام ولم تحظ منهم بأي رعاية، بل اكتفوا ببسط نفوذهم على الحرمين الشريفين والساحل الغربي من شبه الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي، وتركوا وسط شبه الجزيرة العربية، فلم يكن لهم فيه وجود مما جعله في عزلة شديدة عن العالم الإسلامي.

لمّا كانت نجد كذلك اضطرب فيها حبل الأمن، وقطعت فيها السبل، وسادت فيها الفوضى والسلب والنهب والأخذ بالثأر، وماجت فيها الفتن، وعم الجهل، ودرست معالم الحضارة الإسلامية في مختلف جوانب الحياة؛ لذلك كانت أول قبسة من نور انطلقت من هذه المنطقة- في ذلك الظلام الحالك- هي الحركة الإصلاحية في نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، وهي الحركة التي طالبت بالعودة إلى الإسلام في منابعه الصافية،

والنصوص الشرعية الثابتة، وشقت بذلك الطريق للشعوب الإسلامية الأخرى في المطالبة بالعودة إلى الإسلام، والعيش في ظلاله الوارفة وأمنه السابغ، فظهرت حركات الإصلاح الإسلامي بعد ذلك تباعًا في آسيا، وشبه القارة الهندية، وفي أفريقيا"[(١)].

وفي المرحلة الثالثة من تأسيس كيان هذه البلاد المباركة ١٣٥١هـ - ١٣٧٣هـ، كانت البلاد قد استقرت وترسخت دعائمها، وبدأت تشق طريقها نحو النهضة والتطور، حيث أبرمت البلاد عدة معاهدات ومواثيق دولية وإقليمية، وانضمت إلى المحافل الدولية والعربية؛ كهيئة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، فأصبحت البلاد ذات مكانة وتأثير على المستوى السياسي، وكانت إرهاصات وجود البترول في الأراضي السعودية تتضاعف وتتنامى، حتى اكتُشف عام ١٣٧٥هـ، فأصبح نقطة تحول هائلة جدا، نهضت به البلاد -ولله الحمد والمنة- نهضة شاملة شامخة؛ اقتصاديًا وثقافيًا وعمرانيًا، وفي هذ الفترة كان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله قد جاوز الأربعين عاما، ولمس تلك التحولات الكبيرة.

بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٧٣هـ، تعاقب أبناؤه البررة على الحكم، وواصلوا مسيرة الخير والعطاء، والوحدة والبناء، والنهضة والنماء؛ فأولهم: الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٧٣هـ، ثم الملك فيصل بن

---

(١) **ينظر**: حركة التجديد والإصلاح في نجد (ص٢١).

عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٨٤هـ، ثم الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله عا
١٣٩٥هـ، ثم الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٤٠٢هـ.

وفي صدر عهد الملك فهد رحمه الله، عام ١٤٠٢هـ توفي سماحة الشيخ في ذي القعدة من اليوم السادس عشر، حيث كانت حياته مفعمة بأحداث سياسية عديدة صنعت له تلك الأحداث خبرة ودراية تامة بالواقع، اكتسب من خلالها تجارب عريقة خلقت بدورها ظروفا مواتية لخدمة الدعوة السلفية المباركة، حيث حظي بدعم كبير من ولاة هذه البلاد، فشغل عدة مناصب، ونذر نفسه لهذا الدين، فأفاض وأجاد وأفاد، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وفي حياة الشيخ الدعوية وجهوده في خدمة هذا الدين العظيم، العديدُ من المواقف والعبر التي يظهر فيها وعي الشيخ، وإدراكه للواقع، وحكمته في التعامل مع المستجدات، حيث كان يدعو إلى الإصلاح بهدوء وروية واعتدال واتزان، وينادي دون كلل أو ملل بتصحيح الاعتقاد، والرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، في دروسه وخطبه ولقاءاته ونحوها، وينافح عن عن العقيدة الصحيحة، ويتصدى للأفكار والاتجاهات المخالفة.

فالشيخ شخصية فذة أبرزتها تلك الظروف التي استفاد منها بمعايشته الأحوال السياسية والفكرية في تلك الحقبة؛ حيث كان لها أثر كبير في بناء شخصيته، فلم يكتف بالنداء إلى الإصلاح، بل شارك وأثر فعلا بما وليه من المناصب المهمة؛ كالقضاء والإفتاء وشؤون الحرمين، وبمشاركاته المتعددة في التعليم والإعلام والمؤسسات الاجتماعية والخيرية وغيرها.

ولقد نتج عن هذه الدعوة السلفية الأصيلة جيلٌ مبارك يحب الخير ويدعو إليه، ويحارب الشر ويحذر منه، ويعتصم بالجماعة وينبذ الفُرقة. فنهضت البلاد نهضة شاملة، وحصل الرخاء والنماء بفضل الله تعالى، ثم بجهود أولئك الأئمة الأعلام من العلماء والحكام. رحمهم الله تعالى وأجزل لهم المثوبة.

الفَصْلُ الثَّانِي

اسمه ومولده ونشأته وأسرته وصفاته

المبحث الأول: مولده واسمه ونشأته وأسرته

المبحث الثاني: صفاته الخَلقية والخُلقية.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مولده واسمه ونشأته وأسرته

المطلب الأول: مولده

ولد الشيخ عبد الله ابن حميد في بلدة مِعْكَال -التي هي الآن حي من أحياء الرياض ودخلت في النطاق العمراني- في التاسع والعشرين من ذي الحجة عام تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية(١).

المطلب الثاني: اسمه ونشأته وأسرته

اسمه: هو العلامة الحافظ المتقن الفهامة الفقيه الشيخ: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين ابن حميد، من آل حسين بن عثمان، وآل حسين بن عثمان هم أسرة مشهورة من عشيرة آل حميد، أحد أفخاذ قبيلة بني خالد القبيلة المشهورة، وهم من مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ومنازل بني خالد تمتد على ساحل الخليج العربي، وتتوغل غربًا إلى الصمان، وليس منهم إلا الأسر المتحضرة.

ومن أسرة آل حميد حكام الأحساء في الماضي من عام ١٠٨١هـ إلى ١٢٠٧هـ، ولُقّب الشيخ بابن حميد نسبة إلى جده الأعلى(٢).

---

(١) **ينظر**: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣٦)، مجلة الدارة عدد (٣- ٤) السنة ٢٤ عام (١٤١٩هـ) (ص٤٥).

(٢) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص١٨)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣١)، وروضة الناظرين (٢/ ٥٥).

نشأته:

نشأ الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله في حي مِعْكَال بالرياض نشأة صالحة تغمرها العاطفة الدينية الجياشة، وتوثّق عراها سلامةُ الفطرة وحسن الخُلُق.

يقول نجله معالي الشيخ صالح ابن حميد: "نشأ الوالد رحمه الله يتيما، حيث توفي والده وهو طفل صغير، عمره في حدود السنتين فتولت أمه طرفة بنت صالح آل صالح تربيته، وآل صالح من الأسر المعروفة بالرياض، ولهم مزارع في بلدة العُيينة شمال الرياض، وقد تزوجت أمه بعد وفاة أبيه من محمد البكر، وآل بكر من الأسر المعروفة، وهم يمتون بصلة للوالد من جهة جدته موضِي بنت ابن بكر، ومحمد بن بكر رحمه الله كان رجلا شهما كريما يلقب بأبي الأيتام؛ لأنه كان يكفل أيتاما كثيرين من ذوي قرابته، من ضمنهم الوالد رحمه الله، رغم أنه لم يكن ذا يسار بل مستور الحال.

وقد فقد الوالد بصره وهو صغير لم يتجاوز سن التمييز بسبب مرض الجدري، وكانت أمه طرفة تدعو له دائما بأن يكون من حفظة القرآن الكريم، وأن يكون إمام مسجد، ونظرا لعموم الأحوال المعروفة في نجد من الشدة والفاقة في كثير من الأسر فقد كانت هذه الوالدة الرقيقة تشعر بالقلق الشديد نحو مستقبل ابنها الذي كف بصره في مقتبل عمره، فكان طموحها لا يتعدى أن يكون إمام مسجد ليستكفي في عيشه، وما كانت تعلم ما قد ادّخره الله لهذا اليتيم من الخير والفضل، وما منحه من المواهب والقدرات، وتوفيت - رحمها الله - ولم تدرك من ذلك شيئا، وكانت تحبه كثيرا.

وقد حقق الله دعوتها واستجاب لأمنيتها فأصبح ابنها أعظم مما تأمل وترجو، وصار علما من أعلام الإسلام، ووعاء من أوعية العلم، ورجلا من رجالات الأمة والدولة، وبحرا من بحور المعرفة، ومرجعا ثرًّا للعامة والخاصة.

توفيت والدته وهو في السنة السادسة من عمره فأصبح يتيم الأب والأم، ولكن الله هيأ له من يكفله، كما قلنا سابقا الشهم الكريم الملقب "أبا الأيتام" محمد بن بكر رحمه الله، وكان في ذلك الوقت الفقر شديدا، فعاش رحمه الله في هذا الزمن العصيب مع أبناء جيله، وكان الأعمى في ذلك الزمن وخصوصا إذا كان طفلا ليس له مستقبل إلا إمامة مسجد، فدخل رحمه الله مدرسة المقرئ علي بن محمد بن مديميغ رحمه الله فحفظ القرآن كاملا، وكانت هناك امرأة فاضلة وخيرة هي الأميرة الجوهرة بنت أحمد السديري زوجة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود والد الملك عبد العزيز - رحمهم الله -، كانت هذه المرأة الكريمة تهتم برعاية الأيتام والمساكين وذوي الحاجات، وخصوصا من حفظة كتاب الله الكريم أو المبتدئين في طلب العلم، فكان الوالد وكذلك الشيخ ابن باز رحمه الله ممن شملتهم عناية ورعاية هذه المحسنة الأميرة الجوهرة - رحمها الله -، وكان الوالد رحمه الله فيما بعد وبعدما علا شأنه وذاع صيته على تواصل وزيارات متصلة للأميرة الجوهرة، وبعدما توفيت - رحمها الله - تواصل الوالد مع بناتها؛ شيخة، ومنيرة، ابنتي الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود"[(١)].

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٠-٢١-٢٢) لسليمان العثيم.

أسرته:

كان سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذا مسؤوليات عظيمة وارتباطات كثيرة؛ فهو عالِم علَمٌ ذو وجاهة يقصده الناس لسؤالاتهم وحوائجهم، ورجل دولة ينتدبه ولاة الأمر لجليل المناصب وكبرى المهمات، وكان هذا يأخذ الكثير من وقته، ومع ذلك، فإن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جعل لأهل بيته وأولاده نصيبًا وافرًا من الرعاية والتربية والنصح والإرشاد، وأورثهم لزوم الدين والتمسك به، وحب العلم وسلوك دربه، فبهذا نالوا المناصب السامية، والمنازل الرفيعة، وحسبك بالعلم أسمى منزلة، وأرفع درجة.

وقد تزوج سماحة الشيخ أربع زوجات، ورُزِق منهنّ، تسعة أبناء وأربع بنات:

الأولى منهن تزوجها وهو صغير السن، وهي صغيرة، ولم يرزق منها بأولاد، وقد توفيت رحمها الله.

والثانية: نورة بنت محمد الوهيبي، وقد رُزِق منها:

محمد، وعبد الرحمن، وصالح.

والثالثة: نورة بنت عبد الرحمن بن علي القفاري، رُزِق منها:

من الأولاد: عبد العزيز، وأحمد، وسعد، وإبراهيم.

ومن البنات: لطيفة، والجوهرة.

والرابعة: لؤلؤة بنت محمد بن راشد الرقيبة، رُزِق منها:

من الأولاد: عبد الوهاب، وعبد المحسن.

ومن البنات: هدى، وهند[(١)].

(١) ينظر: العلامة عبد الله ابن حميد كما عرفته (١/ ٧٦)، لمحمد بن ناصر العبودي وتاج القضاة في عصره (ص٣٦١) لسليمان العثيم.

المبحث الثاني

صفاته الخَلقية والخُلقية

المطلب الأول: صفاته الخَلقية

كان رحمه الله معتدل القامة، وهو إلى الطول أميل، مشرق الوجه، متوسط اللحية، مقرون الحاجبين، كثيف شعرهما، ربعة في الجسم مع ميل للنحافة، ضرير البصر منذ صغره، لكن الله عوضه البصيرة وحدةً الذكاء، وقوة في الحافظة، وسرعة الاستحضار، ومعرفته للناس، وتمييز الأصوات في صورة نادرة كانت مثار الاندهاش لكل من عرفه أو اتصل به[(١)].

المطلب الثاني: صفاته الخُلقية:

١- هيبته ووقاره وقوة شخصيته.

كان الشيخ رحمه الله ذا هيبة ووقار، فيه عزة العلماء، عزيز النفس، لا يتزلف لأصحاب المناصب، ومع ذلك كان هادئ الطبع، طويل الصمت، قليل الكلام، طويل التفكير، فيه أناة وحلم متميز، يغلب على مجالسه الوقار، لا يتكلم إلا فيما فيه نفع أو خير أو نهي أو إرشاد، شديد من غير عنف، ليّن من غير ضعف، لقد كان مهيبا حقا، فهو مع هيبته كان آية في التواضع وحسن المعاشرة بعيدا عن

---

(١) **ينظر**: مجلة الدارة عدد (٣-٤) السنة٢٤ عام (١٤١٩هـ) (ص٤٧).

الصلف والتكلم المذموم، يحبه كل من عرفه أو رآه أو سمعه، بابه مفتوح لكل الناس ما بين متقاض ومستفت ومستشير وزائر.

ولقد كان لهيبته وقوة شخصيته أثر في إحجام المبطلين والظالمين وشهود الزور، فتجد الظالم يتراجع عن ظلمه بمجرد أن يرفع أمره إلى الشيخ، وكان رحمه الله يكره ألفاظ التفخيم، وعبارات التعظيم.

ذكر بعض معاصريه: "أن كثيرا ما تنتهي المشاكل والخصومات في زمن الشيخ ابن حميد رحمه الله قبل أن تصل إليه، قيل: كيف ذلك؟ قال: إن الشيخ له هيبته فلا يمكن لظالم أن يتجرأ على الاستمرار بظلمه، لعلمه أنه إذا وصل إلى الشيخ سينكشف أمره لا محالة، وأنه سينال العقوبة الرادعة، أما الشهود فلا يمكن لشاهد زور أو مدلس أو مخمن في شهادته أن يتجرأ على ذلك لما يعلم من فطنة الشيخ وتقصيه لإثبات الشهادة، ولعلمهم أن الشيخ يوقع العقوبة الرادعة على كل من تبين له أنه شاهد زور، ولذا كاد أن ينعدم شاهد زور في زمانه - عليه رحمة الله -"(١).

ومما يدل على قوة شخصيته وحنكته ما قاله الملك عبد العزيز في حقه: "لو كنت جاعلا القضاء والإمارة في يد رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبد الله ابن حميد"(٢).

ومما يؤكد ويبرهن على هيبته رحمه الله ما قال عنه الشيخ عبد الله البسام:

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص١٨٨) لسليمان العثيم.
(٢) **ينظر**: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣٦) لعبد الله البسام.

"هو صاحب الإشارة والكلمة النافذة، وكان ولاة الأمر يجلونه ويعرفون قدره ويحترمونه غاية الاحترام؛ لسعة علمه وبعد نظره، ونصحه لعامة المسلمين وولاتهم، وما يقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين"(١).

٢- تواضعه.

لقد كان الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمّ التواضع، لين الجانب، ليس له ترتيب خاص به في لقائه بالعلماء والعامة وطلبة العلم، ولا في مجلسه وطعامه، ولا يتكلف ما ليس عنده، ولا يزهو على أحد بعلمه، ولا يترفع على جلسائه بل يباسطهم ويداعبهم في أدب جم، وخلق رفيع، ومع هذا فهو بتواضعه يتميز بخفض جناحه لطلابه وجلسائه، قد زاده التواضع رفعة، وخفض الجناح شرفا.

يقول علي الهبدان: "سافرت مع الشيخ ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث مرات فلم أر مثل تواضعه وأريحيته، يؤانسنا، ويفيدنا، ويقص علينا بعض القصص التي نقطع بها عناء الطريق"(٢).

ويقول إبراهيم بن عبد العزيز الربدي أحد وجهاء بريدة: "كان لي حاجة إلى الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاتصلت بالهاتف على منزله في مكة، فلما رفعت السماعة، قلت: السلام عليكم هذا منزل الشيخ عبد الله ابن حميد؟ فقال الذي استقبل المكالمة: منزل عبد الله ابن حميد، فقلت: الشيخ عبد الله، فقال:

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣٦) لعبد الله البسام.
(٢) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٣).

بل عبد الله ابن حميد، نعم ماذا تريد؟ فإذا هو الشيخ نفسه، كره أن يدعى بالشيخ تواضعا عليه رحمة الله"(١).

ومما يؤكد ويبرهن على تواضع الشيخ ابن حميد ما ذكره محمد بن إبراهيم السديري قال: "لما ترك الشيخ ابن حميد القضاء في بريدة، وتفرغ للتدريس، خصص في ضحى يومي الإثنين والخميس درسا في السوق يحضر ويتحلق الناس حوله، ثم يلقي الدرس ويجيب على الأسئلة، ثم ينصرف إلى المكتبة العلمية، فلما جاء ليجلس أول يوم أراد أحد الناس أن يبسط له بساطا صغيرا، فامتنع وقال: اجلس على الأرض كما يجلس الناس، فقيل له: الأرض فيها بعض روث الإبل، فقال: الحمد لله روث ما يؤكل لحمه طاهر، فجلس على الأرض وتحلق الناس حوله، واستمر يتكلم قرابة ساعة ونصف ثم انصرف"(٢).

ومن تواضعه وتلطفه بالصغار ما قال عنه الدكتور عبد الله بن حمود التويجري: "كان في مسجدنا في حي الشفاء في الرياض حلقة تحفيظ قرآن، وكان التلاميذ قرابة العشرين، وكانوا صغار السن، فدعوت الشيخ ابن حميد رَحِمَهُ اللهُ لما كان رئيسا لمجلس القضاء الأعلى وقلت: يا شيخ لعلك تحضر إلى مسجدنا وتشجع هؤلاء الدارسين في الحلقة، فما كان منه إلا الاستجابة، ووعدنا فحضر في الموعد، فتكلم في المسجد وشجع الدارسين، وكان ابني

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٢).

(٢) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٤).

محمد له من العمر أربع سنين، وكان يحفظ قصار السور، فقرأ سورة الت
ففرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فضمه على صدره وقبله وشجعه، فلما كان بعد أيام ذه
إلى الشيخ فسلمت عليه، فقال: لماذا لم تأتي بالابن محمد نسمع شيئا
حفظه، فلما كان مرة أخرى ذهبت إليه وصحبني ابني محمد، فلما دخلنا ع
في منزله بعد العصر فسلمنا عليه، وإذا عنده بعض المسؤولين، فقبّل ابني
قال: عندنا اجتماع مع هؤلاء الإخوة وإلا كان استمعت إلى قراءتك يا مح
- يخاطب ابني الصغير - عليه رحمة الله"(١).

٣- ابتلاؤه وصبره

لقد ابتلي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بوفاة والديه وهو في سن مبكرة فكان صا
محتسبا، ابتلي في عينيه فكان صبورا على البلاء، راضيا بالقضاء، فعوضه ا
عنهما بصيرة وعلما، وزاده ورعا وحلما.

لقد استفاد الشيخ من كفِّ بصره أمرين عظيمين، أولهما: الأجر والمثو
من الله عَزَّوَجَلَّ.

ثانيهما: البصيرة في الدين، وقوة الحافظة، وحدة الذكاء، وسيلان الذه
ومعرفة تامة بالناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

إن للشيخ من فضيلة الصبر القدح المعلى والحظ الأوفى، فجوانب الصبر في
كثيرة جدا، فالشيخ صبور على التعليم والتعلم، حتى بعد أن كبر وأصبح مرج

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٤).

المسلمين في الفتوى، فلا تراه إلا مكبا على العلم متزودا من الفائدة.

والشيخ صبور في تصديه للناس وحله لمشكلاتهم، وإجابته عن أسئلتهم، وسعيه في الإصلاح بينهم، وحرصه على الشفاعة لهم.

كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على درجة عظيمة من التحمل والصبر، وعدم الشكوى، فعندما اشتد عليه المرض في آخر حياته كان صابرا محتسبا، بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة.

حتى إن الأطباء المعالجين له في مرضه كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده، حتى قال أحدهم - وهو أمريكي - إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل في تحمله وجلده[(١)].

٤- ورعه وزهده

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاهدا ورعا، لا تتطلع نفسه إلى ما لا يملك، إنها العزة التي لا يذلها مطمع من مطامع الدنيا، ولا تغريه شهوة من شهواتها، إنه زهد القلب وعفة الروح وطهارة الجوارح، إنه التجرد الكامل من رِقِّ النفس وأهوائها وشهواتها، لقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رمزا ومثالا يحتذى في الزهد والورع وإنكار الذات.

فمن ورعه ما تعارف عند الناس أنه لا يؤخر صاحب القضية، فاتحا بابه في الصباح والمساء، وربما فتحه بالليل لنازلة أو لمسافرين، ومن ورعه ونزاهته أنه لا يقبل الهبات، بل يعتب على من فعل ذلك، ومن ورعه عدم الاستجابة

---

(١) **ينظر**: عبد الله ابن حميد وجهوده الدعوية (ص٧٥) لمحمد أحمد سيد.

لمن دعاه إلا في حالات نادرة جدا يغلب على ظنه أنه لن يتقاضى عنده، ومن ورعه أنه لا يسمع دعوى أحد حتى يحضر خصمه.

قال عودة بن عبد الله السعوي أحد طلاب الشيخ: "كان الذي يقود الشيخ في غالب الأمر ابنه محمد، وذات يوم لما انتهت قراءة الضحى لم يكن ابن الشيخ حاضرا، فمسكت يده إلى منزله، فلحق بالشيخ رجل من أكبر وجهاء البلد، فما وصل الشيخ إلى باب منزله، سلّم هذا الرجل على الشيخ، ثم قال له الشيخ تفضل يا فلان، فقال: ليس لي حاجة إلا أن القضية التي اختصمت أنا وفلان عندك أمس كذا وكذا، فقاطعه الشيخ مباشرة ورفع صوته زاجرا له قائلا: سبحان الله تتكلم وخصمك غير موجود، كنت أظن أنك أعقل من هذا يا فلان، ثم التفت إليّ وقال: ادخل يا عودة وأغلق الباب، فدخلت وأغلقت الباب، وكان من عادته أنه يدخل الرجل والرجلين والثلاثة إذا كان زائرا أو مستفتيا أو مستشيرا"[1].

ومما يؤكد ويبرهن على ورعه وزهده ما ذكره الشيخ علي بن عبد الله المشيقح أحد طلاب الشيخ، قال: "كان جدي عبد العزيز رجلا ثريا، وكان يهدي للمشايخ والزهاد في عموم بلاد القصيم، فلما قدِم الشيخ ابن حميد بريدة أهدى للشيخ حِمْلين من الحطب - حِمْل جملين - فلما طرق الجمّال الباب فتح الشيخ، فسلّم الجمّال وقال هذا حطب من العم عبد العزيز المشيقح هدية لك فأين نضعه يا شيخ؟ فقال الشيخ: أبلغه منّي السّلام وقل له: جزاه الله خيرا لا

(١) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٧).

حاجة لنا به، فرجع الجمّال بالحطب، فأتى جدي عبدالعزيز المشيقح مسرعا إلى الشيخ وقال: يا شيخ اقبل الحطب فو الله لقد مضى قبلك ثلاثة قضاة في هذه البلدة ما قاضيت أحدا من الناس، فقال الشيخ: جزاك الله خيرا، وأغناك من فضله لا حاجة لنا به"[(١)].

وقال حمد بن محمد المحيميد: "دخل على الشيخ ابن حميد رحمه الله في مجلس القضاء رجلٌ من طلبة العلم الكبار، وكان الشيخ يعزه ويكرمه لأنه فاضل ووالده أحد العلماء السابقين وكان قاضيا في البلد، فدخل هذا الرجل كعادته فسلم على الشيخ فآنسه الشيخ وسأله عن أحواله - كعادته -، وبعد قليل قال هذا الرجل: حضر يا شيخ خصمي، فقال الشيخ مباشرة: اليوم يوم سلام، وغدا تأتون، لا يأتي أحدكما قبل الآخر، فانصرفا واحضرا من الغد"[(٢)].

وقال فوزان بن علي الفوزان - أحد المزارعين في الأرياف شرق بريدة-: "دخل رجل على الشيخ ابن حميد في مجلس القضاء ومعه زنبيل كبير فيه عنب، وكان الشيخ مشغولا في خصومه، فقال هذا الرجل لأحد العاملين عند الشيخ: أبلغ الشيخ مني السلام وقل له: هذا العنب هدية من فلان بن فلان ثم انصرف، فما فرغ الشيخ قال له الموظف: يا شيخ فلان بن فلان يسلم عليك وقد أحضر زنبيلا فيه عنب يقول هذا للشيخ، قال الشيخ أين الرجل؟ قال انصرف: قال التمسه بالسوق، فذهب ثم حضر فقال: لم أجده فنادى الشيخ أحد الكتّاب عنده

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٦).
(٢) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٨).

وهو الشيخ عبد الله البقيشي، وقال: خذ العنب فبعه بالسوق واحتفظ بالقيمة، فلما كان بعد أسبوع حضر هذا الرجل - صاحب العنب - ومعه خصم، فلما سلم على الشيخ وعرّف بنفسه، قال له الشيخ: أنت صاحب العنب؟ قال: نعم، قال الشيخ: يا عبد الله البقيشي أعط هذا الرجل قيمة العنب، فأعطاه إياه، ثم قال له الشيخ: لولا أني أظن أنك تجهل الأمر لأمرت بضربك، لا تعد لمثل هذا، ثم اختصما وانصرفا"(١).

٥- ذكاؤه وقوة حفظه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا ذكاء حاد، وفطنة أذهلت الناس، قوي الحافظة، سريع البديهة، مستحضر الفهم، وافر العلم، غزير المادة، ولقد كان لهذه الحافظة القوية، والذاكرة الجبارة، والذكاء الخارق، أثرها البالغ في تحصيل ثروته العلمية التي بُنيت على محفوظاته التي عَلِقت بذاكرته في مرحلة التعلم والتعليم، وتمكينِه من معالجة كثير من القضايا التي كانت ترد عليه في أقضيته، وحلِّه - بعد توفيق الله - لكثير من المشكلات والمعضلات، وكشف ما وراءها من الدوافع، ببصيرة نافذة، وعقل راجح، حيث لم تكن توجد سجلات لضبط القضايا، فكان يحفظ مجريات القضية وإن طال العهد بها، فسبحان الله الوهاب!

قال الشيخ عبدالرحمن بن صالح السكاكر - المدرس بالمعهد العلمي ببريدة-: "دُعِي الشيخ ابن حميد إلى وليمة في إحدى القرى شمال بريدة،

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٠٨).

وحضر جملة من طلبة العلم، وكنت من بين من حضر، فسأل رجل من الحاضرين من أهل تلك القرية الشيخ عن مسألة مواريث فيها مناسخات، فذكر ورثة كثيرين، مات فلان وترك كذا، ثم مات فلان أحد أبنائه وترك كذا، ثم ماتت فلانة وتركت كذا... فلما انتهى قال أحد طلبة العلم الحاضرين: هذه مسألة طويلة فلعلك تُمْليها على أحد الكتَّاب حتى تعرض على الشيخ، فقال الشيخ ابن حميد: بل حفظتها، ثم ذكر الورثة كما قال الرجل، ثم سأله: ما نسيتُ أحدا... فقط هؤلاء الورثة؟ فقال الرجل: نعم يا شيخ هؤلاء الورثة، فقال الشيخ: قسمة مسألة الميت الأول كذا وكذا، ومسألة الميت الثاني كذا وكذا، ومسألة الميت الثالث كذا وكذا، ومسألة الميت الرابع كذا وكذا، وجامعة المسائل كذا، ونصيب ورثة الميت الأول من الجامعة كذا، ونصيب ورثة الميت الثاني من الجامعة كذا، ونصيب ورثة الميت الثالث من الجامعة كذا، ونصيب ورثة الميت الرابع من الجامعة كذا، واستمر حتى أنهى المسألة، فانبهر الجميع من حفظ الشيخ وذكائه عليه رحمة الله"(١).

ومما يدل على ذكاء الشيخ وحفظه ما ذكره معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله قائلا: "لما كان الشيخ في رئاسة الحرم المكي وبعده في رئاسة مجلس القضاء، كانت الوفود من بلاد متفرقة، وأغلبهم ضيوف على رابطة العالم الإسلامي، وبعضهم حجاج ومعتمرون يأتون إلى الشيخ للسلام عليه، فُيعرفون بأسمائهم - والتي في أغلب الأحيان تكون غامضة - يصعب

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٤).

نطقها أو كتبها، فإذا أرادوا الخروج من عند الشيخ ودّعهم بأسمائهم، فكانوا ينبهرون، وينبهر الحاضرون من حفظه وذاكرته"[1].

ومما يؤكد ويبرهن على قوة حفظ الشيخ ما قال عنه عبد الله بن حمود التويجري: "كنت أقرأ على الشيخ ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ في الرياض لمّا كان رئيسا لمجلس القضاء الأعلى، فكنت أقرأ عليه في كتاب: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، عشر صفحات أو تزيد - أحيانا - فإذا انتهيت من القراءة أعادها بنصها كما قرأتها عليه، فسبحان من منحه هذا الحفظ"[2].

وممن تكلم بإعجاب عن قوة حفظ الشيخ وذكائه الدكتور عبد العزيز الخويطر -وزير المعارف سابقا- حيث قال: "ولا نذهب بعيدا فلعل المستمعين يذكرون برنامجا في الإذاعة، يفتي فيه الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ ويرد على المستفتين، فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملا، واسم بلدته، ثم يتلو السؤال، وعند الرد يوجه الشيخ الرد على الشخص ذاكرا اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملا قبل أن يبدأ بالفتوى، وكنا نندهش نحن المستمعون من مقدرته -عليه رحمة الله- من تذكر الاسم كاملا واسم البلدة إذا ذكرت في السؤال، ثم يذكر السؤال بنصه، وليس بمعناه، ونحاول نحن نتذكر الاسم كاملا فلا نفلح..."[3].

ومن القصص الدالة على قوة ذاكرة الشيخ وفطنته، ما ذكره ابنه الشيخ

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٠).
(٢) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩١).
(٣) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٠).

الدكتور أحمد بن عبد الله ابن حميد قائلا: "إن والده ذات مرة كان مسافرا من القصيم إلى مكة لأداء العمرة، وفي الطريق تعطلت سيارتهم، فقام السائق والمرافقون بمحاولة إصلاحها، وفرشوا للوالد رحمه الله سجادة على مرتفع الأرض، وجلس عليها وحيدا، بينما المرافقون والسائق متجمعون حول السيارة، في هذا الأثناء أقبل بدوي يستطلع الخبر، ولما اقترب من الوالد رحمه الله سلّم عليه، فرد عليه الوالد قائلا: وعليك السلام يا منير، فانزعج البدوي كيف عرفه؟ فقال الوالد: ألستَ منيرا الذي تخاصم مع فلان الفلان في قضية الجمل الأصفر؟ وكان هذا قبل عشرين عاما تقريبا"(١).

وقال أيضا عن والده في هذا الشأن: "كان الوالد رحمه الله يستخدم التلفون بنفسه، ويحفظ عشرات الأرقام في عدة مناطق من المملكة"(٢).

وقال عبد العزيز بن علي العمر - أحد رجال الأعمال في بريدة -: "حدثني والدي رحمه الله أنه حضر ذات يوم عند الشيخ ابن حميد في مجلس القضاء في بريدة، فدخل رجال من البادية يختصمون في ميراث لهم قديم، فلما ادعى المدعي، قال له الشيخ: أنسيت يا فلان لما أتيتني قبل عشر سنوات أنت وفلان، وفلان، وفلان، وفلانة، وفلانة... الخ.

فسمى الرجال والنساء جميعا، فقسمت لكم الميراث، وقلت لفلان كذا،

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص١٩١).
(٢) **ينظر**: تاج القضاة في عصره (ص١٩٢).

نطقها أو كتبها، فإذا أرادوا الخروج من عند الشيخ ودّعهم بأسمائهم، فكانوا ينبهرون، وينبهر الحاضرون من حفظه وذاكرته"[١].

ومما يؤكد ويبرهن على قوة حفظ الشيخ ما قال عنه عبد الله بن حمود التويجري: "كنت أقرأ على الشيخ ابن حميد رحمه الله في الرياض لمّا كان رئيسا لمجلس القضاء الأعلى، فكنت أقرأ عليه في كتاب: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، عشر صفحات أو تزيد - أحيانا - فإذا انتهيت من القراءة أعادها بنصها كما قرأتها عليه، فسبحان من منحه هذا الحفظ"[٢].

وممن تكلم بإعجاب عن قوة حفظ الشيخ وذكائه الدكتور عبد العزيز الخويطر -وزير المعارف سابقا- حيث قال: "ولا نذهب بعيدا فلعل المستمعين يذكرون برنامجا في الإذاعة، يفتي فيه الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله ويرد على المستفتين، فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملا، واسم بلدته، ثم يتلو السؤال، وعند الرد يوجه الشيخ الرد على الشخص ذاكرا اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملا قبل أن يبدأ بالفتوى، وكنا نندهش نحن المستمعون من مقدرته -عليه رحمة الله- من تذكر الاسم كاملا واسم البلدة إذا ذكرت في السؤال، ثم يذكر السؤال بنصه، وليس بمعناه، ونحاول نحن نتذكر الاسم كاملا فلا نفلح..."[٣].

ومن القصص الدالة على قوة ذاكرة الشيخ وفطنته، ما ذكره ابنه الشيخ

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٠).
(٢) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩١).
(٣) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٠).

الدكتور أحمد بن عبد الله ابن حميد قائلا: "إن والده ذات مرة كان مسافرا من القصيم إلى مكة لأداء العمرة، وفي الطريق تعطلت سيارتهم، فقام السائق والمرافقون بمحاولة إصلاحها، وفرشوا للوالد رحمه الله سجادة على مرتفع الأرض، وجلس عليها وحيدا، بينما المرافقون والسائق متجمعون حول السيارة، في هذا الأثناء أقبل بدوي يستطلع الخبر، ولما اقترب من الوالد رحمه الله سلّم عليه، فرد عليه الوالد قائلا: وعليك السلام يا منير، فانزعج البدوي كيف عرفه؟ فقال الوالد: ألستَ منيرا الذي تخاصم مع فلان الفلان في قضية الجمل الأصفر؟ وكان هذا قبل عشرين عاما تقريبا"[1].

وقال أيضا عن والده في هذا الشأن: "كان الوالد رحمه الله يستخدم التلفون بنفسه، ويحفظ عشرات الأرقام في عدة مناطق من المملكة"[2].

وقال عبد العزيز بن علي العمر - أحد رجال الأعمال في بريدة -: "حدثني والدي رحمه الله أنه حضر ذات يوم عند الشيخ ابن حميد في مجلس القضاء في بريدة، فدخل رجال من البادية يختصمون في ميراث لهم قديم، فلما ادعى المدعي، قال له الشيخ: أنسيت يا فلان لما أتيتني قبل عشر سنوات أنت وفلان، وفلان، وفلان، وفلانة، وفلانة... الخ.

فسمى الرجال والنساء جميعا، فقسمت لكم الميراث، وقلت لفلان كذا،

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص ١٩١).
(٢) ينظر: تاج القضاة في [illegible]

ولفلان كذا، ولفلانة كذا... ألخ، فانبهر الأعرابي، وقال بأعلى صوته: لا إله إلا الله، ذكرت ربي علاك... ثم انصرفوا"[١].

٦- صدعه بالحق، وقوته فيه، ورجوعه له

مما أثر عن الشيخ ابن حميد رحمه الله صدعه بالحق وعرف بشدته فيه، وصرامته في الحكم، لا تأخذه في الله لومة لائم، كتب الله له القبول في الأرض، زاد قدره، وذاع صيته، فكم أمات من بدعة، وكم أحيا من سنة، فكانت براهين حججه، وردوده لا تلبث أن تحرق ظلام الخرافة، وتبدد سحابة الجهالة، يناظر أهل البدع والأهواء، ويقارعهم بالحجة والبرهان، يبين لهم الحق، ويدلهم عليه، فلا يطمع قوي في حيفه، ولا يخاف ضعيف من ظلمه، بل غايته الحق، ولو خالف ظاهر مذهبه، أو هوى نفسه، ومما عرف عن الشيخ رحمه الله رجوعه للحق حينما يتضح له، سواء في أقضيته أو آرائه أو مواقفه فهو لا يتعصب لرأي ولا لمذهب أو موقف أو حكم، وإنما ضالته الحق، درج على هذا وتخلّق به تعبدا لله، وامتثالا لسنة الرسول ﷺ.

ومما يؤكد ويبرهن على صدعه بالحق، وقوته فيه، رد الشيخ رحمه الله برسالة (تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتا) على الشيخ ابن محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر في رسالته المتضمنة فتواه جعل مدينة جدة ميقاتا للحجاج القادمين من جهة البحر بناء منه على الضرورة المقتضية لذلك.

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٩٦).

وكذلك رده برسالة (حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب) على الشيخ ابن محمود في رسالته التي سماها (فصل الخطاب في إباحة ذبائح أهل الكتاب) التي لم تقتصر على مضمون موضوع الرسالة، بل تجاوزها إلى غيرها من ذبائح الشيوعيين والصابئة والمشركين وعباد الأوثان وغيرهم من ملل الكفر[١].

وقد سلك ابن حميد رحمه الله في رسالتيه مسلك الاعتدال بأسلوب قوي بعيد عن التجريح والتقريع والانتصار للنفس، واعتمد فيه على نصوص الكتاب والسنة، ثم أولى البدهيات الجلية في الأدلة والمسلَّمات الواضحة لدى المحاور التي لا تحتمل تأويلا.

وأما في رجوعه للحق، فقد رويت قصص في ذلك، من ذلك ما قاله حمد بن محمد المحيميد - أحد المزارعين في الأرياف -: "أن رجلا من بسطاء الناس محب لمجالسة طلبة العلم والدروس، وكان يحضر درس الشيخ ابن حميد باستمرار خاصة بعد صلاة الفجر، فذات يوم لم يحضر إلا بعد ما استمرت الحلقة، حيث دخل المسجد ثم أقام الصلاة وصلى الفجر، فسمع الشيخ إقامته، فقال: من هذا؟ قال أحد الطلاب: هذا فلان بن فلان، فلما انتهى الرجل جاء فسلّم، فقال الشيخ: لماذا فاتتك الصلاة يا فلان هداك الله؟ فقال الرجل: نمت يا شيخ فلم أستيقظ إلا قبل قليل، فقال الشيخ: هذا ليس بعذر، اليوم فيه منبهات، فقال الرجل - وكان سريع البديهة -: الشكوى إلى الله،

(١) ينظر: العلامة عبد الله ابن حميد كما عرفته (٢/ ١٩٨) لمحمد بن ناصر العبودي.

الرسول ﷺ يقول: "رفع القلم عن ثلاثة..."، وابن حميد يقول: لا، رفع القلم عن اثنين فقط، فقال الشيخ: استغفر الله وأتوب إليه، بل رفع القلم عن ثلاثة، آمنا بالله وبرسوله وبما جاء عن الله ورسوله وأخذ يكرر آمنا بالله وبرسوله"(١).

وقال سليمان بن عبد الله العيد - أحد رجال الأعمال في بريدة -: "كان الأغنياء في بريدة يبيعون بالدين على أصحاب المزارع، ويرهنون الأملاك، فلما قدم الشيخ ابن حميد رحمه الله بريدة وتولى القضاء، خاصم بعض التجار أصحاب المزارع المرهونة فلم يستطيعوا السداد، فحكم الشيخ ببيع المرهون واستيفاء أصحاب الدين حقهم، فعلم الوجيه فهد بن علي الرشودي رحمه الله بذلك، فأتى للشيخ وقال: يا شيخ عادتنا في البلد التي سار عليها القضاة السابقون، أنهم يُنظرون المعسر، ولا تباع الأملاك، وإن ما تعارف عند التجار من الرهن هو بقاء العين حتى يستوفي حقه فلا يملك صاحبها بيعها، وتداول مع الشيخ المصالح والمفاسد، فقال الشيخ: سأنظر وأتأمل في الأمر، وبعد أيام استدعى الشيخ من حكم لهم ببيع الأملاك وقال: اتضح لي غير ما حكمت به، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ فأقنعهم بالإنظار، ثم نقض حكمه وسار على هذا -عليه رحمة الله-"(٢).

وقال سليمان بن علي المقبل: "بنى رجل جدارا فاصلا بينه وبين جاره، فخاصمه الجار عند الشيخ ابن حميد - لما كان قاضيا ببريدة - وادعى أن جاره

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٣٨) لسليمان العثيم.

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٢٣٩).

داخل عليه بهذا الجدار، فطلب الشيخ منه البينة، فأحضر أكبر وجهاء البلد آنذاك، فشهد عند الشيخ أن الجدار الذي أقامه الجار داخل على جاره، فحكم الشيخ بموجب هذه الشهادة وأمر بإزالة الجدار القائم، فأتيت ذات صباح مع شارع الجيران وإذا العمال يهدون الجدار القائم، فسألت أحد الجيران لم تهدون هذا الجدار؟ فأفادني أن جاره خاصمه وشهد فلان على الحد الفاصل بينهما عند الشيخ، فقلت أذكر لما كنت صغيرا جدارا فاصلا بين هذين البيتين، فابحثوا عن أساسه، ستجدونه قريبا من هذا المكان، وأشرت إلى ناحية، فلستَ أنت الداخل على جارك بل هو الداخل عليك، فاذهب للشيخ وأخبره أن عندي شهادة بذلك، فذهب الخصم المحكوم عليه، وقال: يا شيخ وجدت شاهدا على أساس الجدار الفاصل بيني وبين جاري، قال: من هو؟ قال: سليمان المقبل، قال: فأت به فهو حافظ ولديه ذاكرة قوية واحضر خصمك، فحضرنا فأديت الشهادة، فقال الشيخ: احفروا وابحثوا عن أساس الجدار، فبحثوا فوجدوه، فألغى الشيخ حكمه، وحكم بأن الجدار بينهما أساس هذا الجدار التي زالت معالمه فوق سطح الأرض"[(١)].

٧- فراسته ونور بصيرته

كان رحمه الله صاحب بصيرة نافذة، وفراسة حادة، وهذه الموهبة التي وهبها الله إياها جعلت للشيخ قوة في إحقاق الحق، وإنصاف المظلوم، وردع المعتدي، وإعادة الحقوق إلى أهلها، والفراسة من أهم الصفات التي يلزم توفرها في القاضي.

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٣٨).

يقول الشيخ رحمه الله: "حينما كنت قاضيا في المجمعة جاءني شخص وقال لي: إن جاري فلان سطا على بيتي عند منتصف الليل يقصد السرقة، ولما أحسست به خرجت إليه، ورأيته يفتش في غرف المنزل وتأكدت أنه جاري فلان، فلما شعر بي هرب ولم أستطع اللحاق به، فسألته هل لديك بينة؟ فأجاب بالنفي، وقال: كيف أجد بينة ونحن في منتصف الليل؟ فأحضرت الجار المتهم فأنكره، وادعى أنه بريء مظلوم، وفي مثل هذه الحالة لا يجب عليه إلا اليمين حيث لا بينة، فإذا أدى اليمين أُطلق، فالتفتُّ إلى المدعي وقلت له: أنت إنسان مخطئ وظالم وسمعتك سيئة في كل أنحاء المدينة، واستطردت في تقريع المدعي وتوبيخه، كل هذا والمتهم يكاد يطير من الفرح، ثم أشرت إلى الجار وقلت: إن هذا الجار من خيرة الرجال وأفضلهم، وكلنا نعرف حسن سلوكه، ولكن من المحتمل أن يكون حصل له خوف أثناء الليل ووحشة شديدة، وهذا يحصل لكل الناس، فجاء إليك لعلك تزيل وحشته وتؤنسه، ولكنك استعجلت به ولحقت به فهرب، فهو لم يقصد السرقة، فلما سمع المتهم كلامي هذا رفع صوته قائلا: هذا والله صحيح يا شيخ، أنا خفت في الليل فجئت إلى جاري لأزيل وحشتي، ولكنه -الله يهديه- لحقني فهربت منه، فلما سمعت منه اعترافه، أمرت بالقبض عليه وسجنه"[(١)].

وقال الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في سياق ترجمته للشيخ عبد الله ابن حميد: "لقد رزقه الله بصيرة نافذة، يعرف الدعاة الحقيقيين الناصحين المخلصين، بحيث

---

(١) ينظر: جريدة البلاد السعودية، عدد (٧٢٢٢) بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٤٠٣هـ (ص١١، ١٢).

يميزهم من أهل التمويه والخداع، لا يمكن أن يُستغل، فهو كيِّس فطن، يزوره الكثير من أهل العلم، وممن ينتسبون إلى جمعيات وأحزاب من الشرق والغرب فيتعرف المصيب من غيره"[(١)].

وقال إبراهيم بن أحمد العبيري - أحد رجال الأعمال في بريدة - لما كان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله قاضيا في بريدة فتحنا محلاتنا في السوق ذات يوم، فأتى الشُّرط برجل فجلدوه وسط السوق، فلما انتهوا من جلده قال: أخزى الله الشيطان فقد أغواني فتقولت شهادة في خصومه عند الشيخ ابن حميد، ثم انصرف، قال العبيري: فأتانا خبر ذلك الرجل، وهو أنه تخاصم رجلان في أرض عند الشيخ ابن حميد فادعى أحدهما أن صالح بن حسن أبا الخيل أمير بريدة السابق أقطعه هذه الأرض، فطلب الشيخ البينة فأحضر هذا الرجل الذي جُلد، شاهدا على دعواه، فقال الشيخ: ما عندك يا فلان -يعني الشهادة-؟، فقال أشهد أن أمير بريدة صالح بن حسن أبا الخيل أقطع فلانا الأرض الواقعة بكذا وكذا، قال الشيخ: كم عمرك يا فلان -يعني الشاهد-؟ قال ثلاث وسبعون سنة، فقال الشيخ: متأكد من عمرك، فقال: أجل متأكد كالشمس، فقال الشيخ: هل أمك على قيد الحياة؟ قال: نعم، فقال الشيخ لرجل يخدم عنده: اذهب يا فلان إلى أم هذا الرجل، فقل الشيخ يطلب حضورك الآن، فذهب الرجل مسرعا، وبعد قليل أتت المرأة فسلمت، فقال الشيخ: هل أنت أم هذا الرجل؟ فقالت: نعم، فقال الشيخ: متى تزوجك أبوه؟ قالت: سنة كذا، قال الشيخ: متى ولدت هذا الرجل؟

---

(١) **ينظر**: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣٨) لعبد الله البسام.

قالت: سنة كذا، قال الشيخ: متأكدة من هذا؟ قالت: إن شئت أحلف على هذ حلفت، فحسبها الشيخ وإذا أمير بريدة المذكور قد توفي قبل أن يولد هذا الرجل بأكثر من عشرين سنة، وإذا عمره الحقيقي واحد وخمسون سنة، فقال الشيخ للخوياء: هذا شاهد زور، اذهبوا به السوق فاجلده كذا وكذا"(١).

وقال عبد الله بن محمد السحيم -أحد المزارعين-: "أن رجلين متجاورين في مزارعهما في أحد القرى التابعة لبريدة، اختلفا في الحد بينهما، فاختصما عند الشيخ ابن حميد رحمه الله فطلب من كل واحد منهما إحضار وثيقة ملكه، فلما كان من الغد أحضر أحدهما وثيقة ملكه، أما الآخر فأراد كتمانها ولذا لم يُحضر شيئا، لأنه هو المعتدي على جاره، وقال: يا شيخ ليس عندنا وثيقة، اشترينا الأرض من فلان بن فلان قبل خمسين سنة تقريبا ولم نكتب، فقال له الشيخ: عندك شهود يشهدون على المشتري، قال: لا، فقال الشيخ الذي ليس عنده وثيقة ولا شهود ليس له ملك، سنكتب لأمير القرية فلان بن فلان يُسلم الذي في يدك لأهله السابقين، وأنت ليس لك شيء، فقال: يا شيخ انظرنا ثلاثة أيام أبحث عنها، فقال الشيخ: لا بأس، فلما أتى الموعد وإذا بالرجل يحضر الوثيقة، وإذا فيها الحدود والجيران والأطوال، فقال الشيخ: نُرسل معكم فلان يشترك مع أمير القرية فيقرأون الوثائق ويحددون لكل واحد ملكه، فوافقوا، وإذا الرجل الذي كتم الوثيقة قد دخل على ملك جاره، فحدّدوا الحدود على موجب الوثائق، وأزالوا ما أحدثه في ملك جاره وانتهى النزاع"(٢).

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٢٩) لسليمان العثيم.

(٢) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٢٤).

٨- كرمه وحسن ضيافته

مما عرف من سجايا الشيخ ابن حميد رحمه الله كرمه واستضافته لكل قادم عليه، فقلّ أن يأتي غريب زائر، أو عائد من سفر إلا ويدعوه الشيخ إلى مأدبة يقيمها في بيته، ويدعو لها جمعا من الناس، بل كان يستضيف الوفود القادمين إليه من جميع أنحاء العالم؛ من العلماء والوجهاء وغيرهم، ويقيم الولائم تكريما لهم، فهو كريم مفضال قد أشرع بيته للضيوف والغرباء.

قال محمد بن حسن الحلاوة -رئيس موظفي الضيافة عند الشيخ-: "وظفني الشيخ ابن حميد لما استقرّ في مكة، وكان الشيخ كريما مضيافا، قلّما يأتي غريب أو زائر أو عائد من سفر إلا يدعوه الشيخ إلى مأدبة يقيمها في بيته، ويدعو لها جمعا من الناس، ممن يناسب طبقة الضيف، فالشيخ قد أشرع بيته للضيوف والزوار والغرباء، وكان يأمرنا بإعداد الوجبات وشراء ما يلزم لها، وكثيرا ما يدعو المشايخ وغيرهم إلى رحلة البر، فنخرج بجميع استعدادنا، وننصب الخيام أحيانا، لأن الرحلة سيمتد وقتها يومين أو ثلاثة، كل ذلك على حساب الشيخ رحمه الله، وفي رمضان يأمرنا الشيخ بإعداد مائدة الإفطار في الحرم ونستقبل كل قادم للشيخ، كما كنا نستعد للضيوف في الغرفة المعدّة له في الحرم، ويأمرنا أن نفتح الباب لكل قادم، ونقدم له ما لدينا من كرمه، واستمريت بهذا العمل إلى أن توفي رحمة الله عليه"[١].

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٢٤٠).

٩- سعيه في قضاء حوائج الناس

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب الحوائج ذا رفق وتؤدة، يحنو على الضعفاء، ويرفع من شأن المستضعفين، فهو كثير التودد، يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، يسعى في الشفاعة لمن لا يملك أن يبلغ حاجته بنفسه، ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له، يبسط يده بالخير ويبذل نفسه لقضاء حوائج الناس، وكان حريصا أشد الحرص على أن يكون عمله في ديوان السر، وكان الناس يفدون إليه في أوقات الصلوات وغيرها، كما كان يستقبل أصحاب الحاجات في منزله الذي كان يقضي فيه في كل من المجمعة وبريدة، كما كان يستقبل الناس في مكتبه في رئاسة الحرم في مكة ثم في رئاسة القضاء.

قال معالي الشيخ صالح ابن حميد – حفظه الله -: "لم يكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الذين يحصرون أنفسهم في ميادين ضيقة، أو يكتفي بمجالس العلم والتعليم، بل كان متصلا بالحياة والأحياء والمجتمع في نواح شتى، ومن أهم أغراضه في ذلك: الدعوة إلى الله، والاستماع لحوائج الناس، والسعي في قضائها، ورفع المظالم عنهم، وإيصال الحقوق إلى أهلها..."(١).

وقال سليمان العثيم: "حدثني عدد من الناس أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ خصص موعدين في الأسبوع يفتح بابه لعموم الناس، فالموعد الأول يوم الثلاثاء بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء، والموعد الآخر يوم الجمعة ضحى ارتفاع

---

(١) ينظر: مجلة الدارة عدد (٣ - ٤) السنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ (ص٦٩).

الشمس بساعة تقريبا لمدة ساعتين، وكان هذان الوقتان معروفين لدى عموم الناس في بريدة والقرى، فكان القادمون عليه ما بين زائر ومستفت وطالب شفاعة ومستشير وصاحب حاجة، وقد تيقنت من أحاديث من حدثني عن الشيخ في هذا الجانب، قرب الشيخ من الناس ومعايشته أحوالهم، وبذل نفسه لقضاء حاجاتهم - عليه رحمة الله - فقد كانوا يطلعون الشيخ ويستشيرونه حتى في بعض أمورهم الخاصة"(١).

١٠- اهتمامه بالمصالح العامة للمسلمين، وغيرته على أحوالهم

كان الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهتم كثيرا بمصالح المسلمين، ويغار على انحطاط أحوالهم، وكان - مع فقده بصره - يتابع أحوال المسلمين عامة من خلال الصحف والجرائد والمذياع ونحوها.

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "حقيقة نَجِدُ - الآن - أن المسلمين أضعف الأمم، بل وأحطها، فثرواتها تنتهب، وأرضها يحتلها أعداؤها ويتساءل البعض أين وعد الله؟ نقول: هل نحن مؤمنون...؟ هناك صفات قررها الله، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:١-٣].

من هو المؤمن؟ هو الذي إذا ذُكر الله أذلَّ القلبَ، وخشع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هيبة

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص٣١٦) لسليمان العثيم.

وإجلالا، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، والقرآن حافل بالعديد من الآيات التي توضح ذلك، قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠].

وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١]، فمسئولية الشعوب الإسلامية في أن تعي طريقها إلى الإيمان، وتعرف واجبها نحو دينها وإسلامها، وأنه على كل فرد فيها أن يقوم بما عليه من مسؤوليات وواجبات تجاه نفسه من ناحية، ونحو أسرته ومجتمعه من ناحية أخرى، كل بحسب مقدرته واستطاعته، حتى تتحقق لهم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة"[(١)].

ويقول محمد بن ناصر العبودي: "ومن اهتمام شيخنا ابن حميد بأمور المسلمين حتى في مهاجرهم البعيدة؛ أنه كان يقرأ الجرائد والمجلات التي تهتم بذلك، ومنها صحيفة النذير - التي يصدرها الشبان المسلمون في مصر- ومجلة الأزهر، والمجلات الإسلامية الهندية، هذا إلى جانب الجرائد السعودية وهي قليلة في ذلك الوقت، فكان يُقرأ له منها كل الأخبار الداخلية والخارجية، ومن أهم الخارجية؛ ما يتعلق بالإخوة المسلمين في العالم، وكان يسألني عن الأخبار كلما التقينا، يريد بذلك ما سمعته من أخبار العالم عامة، وأخبار المسلمين بصفة

---

(١) ينظر: سماحة الشيخ ابن حميد في عيون محبيه (ص٤٨٩).

خاصة، وكان يخصني بذلك على اعتبار أنني متابع لذلك، وأن لديّ مذياعا أخفيه في بيتي، وكذلك كنت أقرأ طائفة من الصحف والمجلات"[1].

١١- حبه للنصيحة وقيامه بها

لا يشك مسلم في أهمية وجوب القيام بالنصيحة، من أجل الحفاظ على الفضيلة، ودحر الرذيلة، ولقد أسهم الشيخ في هذا المجال إسهاما كبيرا، وعمّ احتسابه رحمه الله ولاة الأمر، والعلماء، والقضاة، وعموم الناس، فسعى جاهدا لحماية جناب التوحيد، والتحذير من البدع والخرافات، والرد على دعاة السوء. أمرَ بالمعروف من خلال كلماته ورسائله ومهاتفاته، ووقف في وجه الباطل، فكان طودا شامخا، جريئا في الحق، يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن متى تطلب الأمر صراحة وصرامة وقوة فحسبك به، ولهذا كان كثير من العلماء وطلبة العلم يأتون إليه، ويخبرونه ببعض المنكرات، فإذا تيقن ذلك بادر في مكاتبة الجهات المعنية، ومناصحة الأفراد حتى يتم إزالة المنكر، وكانت له مواقف مشرّفة في الصدع بالحق بكل قوة وثبات أمام الصغير و الكبير، فإحقاق الحق رائده، ودحر الباطل هدفه.

ولقد كان رحمه الله يؤكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى عدم المداهنة في هذا المجال، بل يؤكد على أن النصح لكل أحد حيث قال: "فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل أن يعتني

(١) **ينظر**: العلامة عبد الله ابن حميد كما عرفته (١/ ٣٧٠).

بمقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن نفعه عظيم، وإنما الأجر على قدر النصب، فلا يتركه لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته، توجب عليه حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى إلى نقص دنياه"[(١)].

وقال أيضا رحمه الله في معرض كلامه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما الأساس الأعظم للدين، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ولو أهمل لاضمحلت الديانة، وفشت الضلالة وعم الفساد وهلك العباد، إن في النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والكمالات، فإذا أهمل أو تسوهل فيه تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا خجل، ومتى صار العامة يرون المنكرات بأعينهم ويسمعونها بآذانهم زالت وحشتها وقبحها من نفوسهم، ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثر على ارتكابها، ولكن يا للأسف استولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق حيث اندرس من هذا الباب عمله وعلمه، وانمحى معظمه ورسمه، واسترسل الناس في اتباع الأهواء والشهوات... ولقد وصلنا إلى حد ماتت فيه الغيرة الدينية عند كل أحد، حتى من يُرجى ويظن أنهم حماة الإسلام وأبطال الدين، مما جعل العصاة يمرحون في ميادين شهواتهم، ويفتخرون بعصيانهم بدون حسيب ولا رقيب، ولو شئت لقلتُ ولا أخشى

(١) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٤٣).

لائما، نحن في زمن علا فيه واعتز أرباب الرذائل، وأصبحت الدولة لهم، وأهل الفضيلة المتمسكون بأهداب دينهم عندما ينكرون على المجرمين إجرامهم يكونون كالمضغة في الأفواه البذيئة ترميهم بكل نقيصة، وأقل ما يقولون أنهم متأخرون جامدون في بقايا قرون الهمجية، يبتسمون ويقهقهون ويغمزون بالحواجب والعيون، ويُخرجون ألسنتهم سخرية واستهزاء بهم ويضحكون من عقولهم، لما راجت الرذيلة في هذا العصر هذا الرواج، وما درى هؤلاء المرذولون أنهم في غاية من السقوط والهمجية التي ليست دونها همجية، لفساد عقولهم وبعدهم عن معرفة أوامر دينهم"(١).

وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقوم بتوجيه ولاة الأمر في مصالح الأمة، ونصحهم، وقد وجه رسالةً إلى الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستحثه تعيين من يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلزام كل من خالف أمرا معلوما من الدين، أو تلبس بالمعاصي والمنكرات بالرجوع إلى رحاب السنة المطهرة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن الرسالة: "فيتعين على الإمام - وفقه الله - أن يأمر النواب بأن يقوموا على من رأوه تاركا للأمر قياما تاما، ويلزموه بالطاعة حتى تظهر طاعة الله ورسوله ﷺ في المسلمين، ويمتازون بذلك عمن خالفهم في الدين من أهل الجفاء والغفلة والإعراض، ولقد أفلح من كان لله محياه ومماته، وخاف الله في الناس، ولم يخف الناس في الله"(٢).

---

(١) **ينظر**: الرسائل الحسان في نصائح الإخوان (ص٥-٦).

(٢) **ينظر**: رسالة موجهة للملك عبد العزيز مؤرخة ٢٣/ ١٠/ ١٣٥٨هـ، ينظر صورتها في تاج القضاة (٣٧٨)، في ملحق الرسائل رقم (١).

قال معالي الشيخ صالح ابن حميد: "لم يكن الشيخ رحمه الله ممن يؤثر الاحتجاب عن الناس، أو يحب العزلة، بل كان شيخ عامة متصلا بالحياة والمجتمع، متواصلا مع الحكام، حافظا حقهم، قائما بواجب النصح نحوهم: ناهيك بأن من كان مثله في غزارة العلم، والجرأة في الحق إلا ويلتف الناس حوله، وقد تميز بقوة الشكيمة، وسداد الرأي، وصواب الفكر، فتصدى للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشد أزر الدعاة ورجال الحسبة، كان يقوم بالحق، ويأخذ به الناس العامة منهم والخاصة، لا يخص بأفكاره أحدا دون أحد، وليس من المبالغة القول إنه قام في النصح، بلسانه، وقلمه، وعلمه، وعمله، وجعلها أسلحة لحراسة الحق، ونصرة الدين، والصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الجوانب البارزة في ذلك بعض مكاتباته، ورسائله، وردوده، وحواراته، لإحقاق الحق، ورفض الباطل، لا يخشى من إبداء رأيه في مكاتبات خاصة، أو من خلال وسائل الإعلام حسب ما تقضيه الحال، ومن أظهر مواقفه التزام السنة، وإنكار البدع، والمحدثات في الدين، فقد كان له في ذلك قدم صدق، وغيرة على سلامة المعتقد، ونهج السلف الصالح، يقرر ذلك وينافح عنه في دروسه، وحلقاته، ومكاتباته، ومؤلفاته، وفي مجالسه، ومناظراته"[(١)].

وقال الدكتور عبد الله بن حمود التويجري: "كنا ندرس على الشيخ ابن حميد رحمه الله في الرياض لما كان رئيسا لمجلس القضاء الأعلى، فأُخبر أن

(١) ينظر: مجلة الدارة عدد (٣- ٤) السنة ٢٤ رقم (١٤١٩هـ) (ص٦٥).

شركة أجنبية في الرياض بَنَت معبدا في السكن، فأرسلني الشيخ أنا وأحد الإخوان وقال: تثبتوا من وجود هذا المعبد ومتى يجتمعون فيه، فذهبنا وإذا الخبر صحيح فأخبرناه، فاتصل بالمسؤولين، فأزيل هذا المعبد بحمد الله"(١).

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (ص١٥٢).

الفَصْلُ الثَّالِثُ

حياته العلمية

المبحث الأول: نبوغه المبكر

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: عنايته بالتوحيد والعقيدة الصحيحة

المبحث الرابع: اطلاعه على التيارات الفكرية الوافدة وردوده عليها وتحذيره منها

المبحث الخامس: قوته في الحوار والمناظرة

المبحث السادس: تجرده من العصبية المذهبية

المبحث السابع: منهجه مع النص ورده على من يخالفه

المبحث الثامن: مكانته العلمية

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

نبوغه المبكر

نشأ الشيخ عبد الله ابن حميد يتيم الأب والأم، حيث توفي أبوه وهو في السنة الثانية من عمره، وتوفيت أمه في السنة السادسة من عمره، لكن هبة الله ومنحته وعنايته أحاطته وآوته، وبدت في حياته منذ صغره الألمعية النادرة والنجابة الظاهرة والذكاء المفرط والنبوغ المبكر، وظهر كفاحه الجاد حتى بزَّ أقرانه وفاق أترابه وعلى الرغم من حداثة سِنِّه، فقد كان صاحب همة عالية ونفس أبية جعلته ينحو نحو التفوق والارتقاء.

تحدث معالي الشيخ صالح ابن حميد عن طفولة والده رحمه الله وأنه نشأ يتيما، حيث توفي والده وهو طفل صغير، عمره في حدود السنتين، فتولت أمه طرفة بنت صالح آل صالح تربيته، وآل صالح من الأسر المعروفة بالرياض، ولهم مزارع في بلدة العيينة شمال الرياض، وتزوجت أمه بعد وفاة أبيه من محمد البكر، وآل بكر من الأسر المعروفة وهم يمتون بصلة للوالد من جهة جدته موضي ابنة ابن بكر، ومحمد بن بكر رحمه الله كان رجلا شهما كريما يلقب بأبي الأيتام؛ لأنه كان يكفل أيتاما كثيرين من ذي قرابته، من ضمنهم الوالد رحمه الله، رغم أنه لم يكن ذا يسار، بل مستور الحال.

وكانت أمه طرفة تدعو له دائما بأن يكون من حفظة القرآن الكريم، وأن يكون

إمام مسجد، لكن لم تقر عين أمه برؤيته إماما، ليس كما تمنت إماما للمسجد، بل إماما للمسلمين جميعا، فقد توفيت - رحمها الله - وهو في السنة السادسة من عمره، فأصبح يتيم الأب والأم، فكفله أبو الأيتام محمد بن بكر.

وكان في زمانهم لا مستقبل للأعمى، سوى إمامة المسجد، لذا التحق بمدرسة المقرئ علي بن محمد بن مديميغ رحمه الله، فحفظ القرآن كاملا، وشملته عناية الأميرة الجوهرة السديري زوجة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، والد الملك عبد العزيز - رحمهم الله جميعا -، حيث كانت تهتم برعاية الأيتام والمساكين، وذوي الحاجات، خصوصا من حفظة كتاب الله أو المبتدئين في طلب العلم.

بعدما تجاوز العاشرة من عمره بدأ يطلب العلم وكان ذلك على يد الشيخ حمد بن فارس، الذي توفي سنة ١٣٤٥هـ، وقد قرأ عليه قرابة تسعة أشهر في النحو، ثم لازم الشيخ محمد بن إبراهيم ملازمة تامة، فكان من أبرز تلاميذه، ولما تأهّل عينه الشيخ مدرسا في المسجد للتلاميذ الذين يحتاجون إلى إعادة شرح وتوضيح، فكان بمثابة المعيد[(١)].

(١) **ينظر**: تاج القضاة (ص٢٠) لسليمان بن محمد العثيم، وأقوال الشيخ عبد الله ابن حميد في التفسير (ص١٢-١٣) لسمية بنت عبد الله الموسى.

المبحث الثاني

شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

من العلماء الذي تتلمذ الشيخ عبد الله ابن حميد على أيديهم ونهل من علمهم:

١-الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، أخذ عنه جل علومه ومعارفه في علوم الآلة والغاية، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد: التدمرية والحموية، وكتاب التوحيد، ورد الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية.

وفي الحديث: عمدة الأحكام، والمصطلح، وبلوغ المرام، كما سمع عليه صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي.

وفي الفقه: زاد المستقنع مختصر المقنع، وشرحه الروض المربع، ونظم المفردات، وشرحها مستظهرا مختصر المقنع ونظم المفردات، كما قرأ عليه قطعة كبيرة من المنتهى، وحفظ منه إلى باب الصداق.

وفي الفرائض: متن الرحبية والبرهانية، ومراجعات كثيرة في شرح الترتيب في الفرائض.

وفي النحو: الآجرومية، وقطر الندى وشرحه، وملحة الإعراب وشرحها، وألفية ابن مالك، وشرحها لابن عقيل، وحاشية الشجاعي، والخضري عليها.

٢- الشيخ المقرئ علي بن محمد بن مديميغ، حفظ القرآن على يده.

٣- الشيخ عبد الظاهر أبو السمح؛ إمام المسجد الحرام، قرأ عليه القرآن واستظهره مجودا.

٤- الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ؛ قاضي الرياض، قرأ عليه كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية، والأربعين النووية، وزاد المستقنع، وشرحه الروض المربع.

٥- الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، أخذ عنه التوحيد، وآداب المشي إلى الصلاة.

٦- الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن رميح، قرأ عليه متن الآجرومية.

٧- الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق؛ قاضي الأفلاج والرياض، إمام الجامع الكبير بالرياض، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بكلمة الحق[١].

المطلب الثاني: طلابه وتلاميذه[٢]

- الشيخ إبراهيم الجبيلي؛ قاضي دخنة.
- الشيخ إبراهيم الزغيبي.
- الشيخ إبراهيم بن أحمد نغيمش.

---

(١) **ينظر**: مجلة الدارة (ص٤٥) العدد٣، ٤، السنة الرابعة والعشرون، عام ١٤١٩هـ.

(٢) رُوعِي عرض أسماء طلابه على الترتيب الألفبائي.

- الشيخ إبراهيم بن سليمان اليعيش.
- الشيخ إبراهيم بن صالح الخضيري.
- الشيخ إبراهيم بن ضيف اليوسف.
- الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الجبيلي.
- الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز المشيقح.
- الشيخ إبراهيم بن عبد الله أبا الخيل.
- الشيخ إبراهيم بن عبد الله الدباسي.
- الشيخ إبراهيم بن محمد الثميري.
- الشيخ إبراهيم بن محمد الجردان.
- الشيخ أحمد بن سير مباركي.
- الشيخ أحمد بن عبد الله المسعود.
- الشيخ أحمد بن عبد الله حميد؛ ابنه الأستاذ بجامعة أم القرى، وعضو مجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ أحمد بن علي الحميدان.
- الشيخ أحمد بن محمد اليحيى.
- الشيخ إسماعيل بن سعد العتيق.

- الشيخ حسين بن سليمان الصيني.
- الشيخ حماد بن محمد العمر.
- الشيخ حمد الحقيل؛ رئيس محكمة الخرج.
- الشيخ حمد بن إبراهيم الجنيدل.
- الشيخ حمد بن راشد الطيار.
- الشيخ حمود بن عبد العزيز الفائز.
- الشيخ حمود بن عبد الله التويجري؛ قاضي الدمام والزلفى.
- الشيخ حميدان بن عبد العزيز الحميدان.
- الشيخ راشد بن عيسى بن خنين.
- الشيخ رويعي بن راجح الرحيلي.
- الشيخ سالم بن عبد الله السالم.
- الشيخ سعد بن إسحاق.
- الشيخ سعود بن سعد الدريب.
- الشيخ سلطان بن سليمان العرفج.
- الشيخ سالم بن علي الثقفي.
- الشيخ سليمان الربيش؛ قاضي التمييز في الرياض.

- الشيخ سليمان بن إبراهيم الرشودي.
- الشيخ سليمان بن أحمد؛ قاضي محكمة بلجرشي.
- الشيخ سليمان بن حمود المشيقح.
- الشيخ سليمان بن صالح العناز.
- الشيخ سليمان بن عبد الله العمري.
- الشيخ سليمان بن قاسم الفيفي.
- الشيخ سليمان بن محمد الإسماعيل.
- الشيخ سليمان بن ناصر العبودي.
- الشيخ سليمان بن وائل التويجري؛ الأستاذ بجامعة أم القرى، ومدير دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.
- الشيخ د. شرف بن علي الشريف.
- الشيخ صالح بن عبدالله ابن حميد؛ ابنه، رئيس المجلس الأعلى للقضاء ورئيس مجلس الشورى ورئيس شؤون الحرمين "سابقا"، المستشار بالديوان الملكي، وعضو هيئة كبار العلماء، وإمام وخطيب المسجد الحرام.
- الشيخ صالح السكيتي؛ المدرس بالمعهد العلمي ببريدة.
- الشيخ صالح القرعاوي؛ قاضي محكمة التمييز بمكة المكرمة.

- الشيخ صالح المقيطيب.
- الشيخ صالح النجيدي؛ قاضي التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي؛ المدرس بالمعهد العلمي ببريدة.
- الشيخ صالح بن إبراهيم الرسيني.
- الشيخ صالح بن أحمد الخريصي؛ رئيس محاكم القصيم.
- الشيخ صالح بن سعود السعوي.
- الشيخ صالح بن سليمان العمري.
- الشيخ صالح بن سليمان المقيطيب.
- الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم؛ عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي.
- الشيخ صالح بن عبد الرحمن القرعاوي.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز الجطيلي.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز العقيل.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز الغصن؛ مدير مكتبة الشيخ عبد الله ابن حميد.
- الشيخ صالح بن عبد العزيز المنصور.

- الشيخ صالح بن عبد الله الفرج.
- الشيخ صالح بن علي بن غصون؛ رئيس محكمة الأحساء، وقاضي التمييز بمحكمة التمييز بالرياض، وعضو المجلس الأعلى للقضاء.
- الشيخ صالح بن غانم السدلان؛ الأستاذ بجامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان؛ عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- الشيخ صالح بن محمد العبيد.
- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان؛ رئيس المجلس الأعلى للقضاء، وعضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ صالح بن محمد النجيدي.
- الشيخ صالح بن مطلق الدوسري.
- الشيخ عبد الرحمن التويجري.
- الشيخ عبد الرحمن آل جار الله؛ قاضي بريدة.
- الشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي.
- الشيخ عبد الرحمن بن دهش؛ قاضي محكمة قبة.
- الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الغيث.

- الشيخ عبد الرحمن بن سمحان؛ قاضي التمييز في الرياض.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز القفاري.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الكلية.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز؛ رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر كردي.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله أحمد.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكريم الدرويش.
- الشيخ عبد الرحمن بن عبيد الشافعي، المدرس بكلية المعلمين بالرياض.
- الشيخ عبد الرحمن بن عثمان المنيعي.
- الشيخ عبد الرحمن بن علي الشاوي.
- الشيخ عبد العزيز المسند؛ رئيس تعليم البنات، ووكيل وزارة التعليم العالي.
- الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الدوسري.
- الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم.

- الشيخ عبد العزيز بن حمد المشعل.
- الشيخ عبد العزيز بن حمود التويجري.
- الشيخ عبد العزيز بن حمود الفوزان؛ قاضي جازان وقاضي التمييز في المنطقة الغربية.
- الشيخ عبد العزيز بن صالح التويجري.
- الشيخ عبد العزيز بن صالح العقل.
- الشيخ عبد العزيز بن صالح الفوزان.
- الشيخ عبد العزيز بن صالح؛ إمام المسجد النبوي ورئيس المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو مجلس الأعلى للقضاء، والمفتي العام بالمدينة المنورة.
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة.
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الغانم.
- الشيخ عبد العزيز بن محمد الدخيل.
- الشيخ عبد العزيز بن محمد اليحيى.
- الشيخ عبد الفتاح بن حسن راوه؛ المدرس بالمسجد الحرام.
- الشيخ عبد القادر بن حبيب السندي.

- الشيخ عبد الكريم بن حمود التويجري.
- الشيخ عبد الكريم بن صالح المشيقح.
- الشيخ عبد الكريم بن عبد الرحمن الفدا.
- الشيخ عبد الله الخضيري؛ قاضي محكمة عفيف والمدرس بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة.
- الشيخ عبد الله السليمان البطي؛ قاضي بريدة.
- الشيخ عبد الله السليمان الحميد؛ قاضي جازان والبكيرية.
- الشيخ عبد الله المحسن؛ المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- الشيخ عبد الله المسعري؛ رئيس ديوان المظالم.
- الشيخ عبد الله بن حمد السيف.
- الشيخ عبد الله بن رشيد الفرج.
- الشيخ عبد الله بن زائد.
- الشيخ عبد الله بن سليمان البطي.
- الشيخ عبد الله بن صالح الجبيلي.
- الشيخ عبد الله بن صالح الرسيني.

- الشيخ عبد الله بن ضحيان الضحيان.
- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التويجري.
- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.
- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الراشد.
- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز التويجري.
- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الزغيبي.
- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العبد السلام.
- الشيخ عبد الله بن عبد الله زايد.
- الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ مدير جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، ووزير الأوقاف الإسلامية والشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد -سابقا-، وعضو هيئة كبار العلماء، المستشار في الديوان الملكي.
- الشيخ عبد الله بن عثمان البشر؛ قاضي محكمة التمييز في الرياض.
- الشيخ عبد الله بن علي حافظ.
- الشيخ عبد الله بن محمد إسحاق آل الشيخ.
- الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي.
- الشيخ عبد الله بن محمد الدويش.

- الشيخ عبد الله بن محمد الرضيمان.
- الشيخ عبد الله بن محمد الطيار.
- الشيخ عبد الله بن محمد العجلان.
- الشيخ عبد الله بن محمد الفوزان.
- الشيخ عبد الله بن محمد المطوع.
- الشيخ عبد الله بن محمد اليحيى.
- الشيخ عبد الله بن يوسف الوابل.
- الشيخ عثمان بن إبراهيم الحقيل.
- الشيخ عثمان بن إبراهيم المرشد.
- الشيخ عثمان بن حمد الحقيل مدير عام رئاسة القضاء.
- الشيخ عقلا بن موسى الحسين.
- الشيخ علي السالم؛ مساعد رئيس محكمة بريدة.
- الشيخ علي السحيباني؛ قاضي الحفر.
- الشيخ علي الضالع؛ المدرس بالمعهد العلمي ببريدة.
- الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح.
- الشيخ علي بن حمود عبد الله التويجري.

- الشيخ علي بن راشد الرقيبة.
- الشيخ علي بن سالم السالم.
- الشيخ علي بن سليمان الجريش.
- الشيخ علي بن سليمان الرزقان.
- الشيخ علي بن سليمان الضالع.
- الشيخ علي بن سليمان المقيطيب.
- الشيخ علي بن صالح السحيباني.
- الشيخ علي بن عباس الحكمي.
- الشيخ علي بن عبد الرحمن التركي.
- الشيخ علي بن عبد الرحمن الجمحان.
- الشيخ علي بن عبد الرحمن الغضية.
- الشيخ علي بن عبد العزيز العجاجي.
- الشيخ علي بن عبد الله الحصين.
- الشيخ علي بن عبد الله الحواس.
- الشيخ علي بن عبد الله الدخيل.
- الشيخ علي بن عبد الله المشيقح؛ مساعد رئيس محكمة بريدة.

- الشيخ علي بن فائز الدغيري.
- الشيخ علي بن محمد السكاكر.
- الشيخ علي بن مرشد المرشد؛ الرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ عمر بن حسن فلاته.
- الشيخ عمر بن محمد السبيل.
- الشيخ عودة بن عبد الله عودة السعودي.
- الشيخ غيهب بن محمد الغيهب رئيس المحكمة العليا.
- الشيخ فهد بن محمد المشيقح.
- الشيخ محمد المنصور.
- الشيخ محمد بن إبراهيم الجبير.
- الشيخ محمد بن إبراهيم القعود.
- الشيخ محمد بن إبراهيم الهويش.
- الشيخ محمد بن الأمير؛ عضو المجلس الأعلى للقضاء.
- الشيخ محمد بن جابر.
- الشيخ محمد بن حسن الهلالي.
- الشيخ محمد بن حمود التويجري.

- الشيخ محمد بن رشيد الربيش.
- الشيخ محمد بن سليمان الروق.
- الشيخ محمد بن سليمان العليط.
- الشيخ محمد بن صالح السحيباني.
- الشيخ محمد بن صالح السليم.
- الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأمير.
- الشيخ محمد بن عبد العزيز البليهد.
- الشيخ محمد بن عبد العزيز المشيقح.
- الشيخ محمد بن عبد الله السبيل؛ إمام المسجد الحرام وخطيبه، والرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، عضو هيئة كبار العلماء.
- الشيخ محمد بن عبد الله السليم.
- الشيخ محمد بن عبد الله العجلان.
- الشيخ محمد بن عبد الله بن عودة السعوي؛ عضو رئاسة القضاء، ورئيس محكمة الرياض، ورئيس محكمة الدمام، والرئيس العام لتعليم البنات.
- الشيخ محمد بن عمر حمود التويجري.
- الشيخ محمد بن فاروق نجا.
- الشيخ محمد بن فهد الرشودي.

- الشيخ محمد بن ناصر العبودي؛ أمين عام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ مقبل العصيمي؛ قاضي الحريق.
- الشيخ مقبل بن عبد الله العصيمي.
- الشيخ مقبل بن هادي الوداعي.
- الشيخ منصور بن عون العبدلي.
- الشيخ ناصر بن فهد الغيث.
- الشيخ ناصر بن محمد الهويمل.
- صالح بن عمر المرشد.
- عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ؛ المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء[1].

(١) **ينظر**: مجلة الدارة ص٧٢-٧٦، عدد: ٣، ٤- السنة الرابعة والعشرون، عام ١٤١٩هـ، للدكتور/ صالح بن عبد الله حميد، وكتاب/ عبد الله ابن حميد حياته العلمية؛ ١/ ١٠١- ١٠٧ للشيخ محمد أحمد سيد أحمد، وأقوال الشيخ عبد الله ابن حميد في التفسير (ص٢٤- ٣٤) لسمية بنت عبد الله الموسى.

المبحث الثالث

عنايته بالتوحيد والعقيدة الصحيحة

لقد كان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله سلفي العقيدة، من كبار علماء التوحيد - في وقته، ويشهد لذلك أثره العلمي-، يرجع في أمر المعتقد إلى مذهب السلف الصالح، وعرف بشدة التحري والانتصار له والدفاع عنه، يعض عليه بالنواجذ، ويحاول إرجاع الناس إليه بكل الوسائل.

لقد كان مدافعا ومنافحا عن العقيدة الإسلامية الصافية (عقيدة التوحيد)، فحارب أهل البدع، حاملا لواء التوحيد، محافظا عليه بكل ما آتاه الله من قوة وما حباه من عزيمة، يتحرى بشدة ودقة مذهب السلف الصالح؛ من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان، حريصا على نشر ذلك وبيانه والدفاع عنه، والرد على المخالف، يغار على ذلك غيرة شديدة، يصدع بالحق، ويرد على أهل البدع في خطابه وفي كتابه وفتاواه، في بيان الحق وتصحيح المعتقد، والتنبيه على ما يراه، مستدِلا من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن آثار صحابته رضي الله عنهم[(١)].

وسبب ذلك أنه وبتوفيق الله تعالى حظي منذ نعومة أظفاره بمن يرشده إلى العلم والتعلم، ثم لازم العلماء فأخذ عن الشيخ صالح بن عبد العزيز

(١) ينظر: الشيخ عبد الله ابن حميد حياته العلمية (١/ ٢٧٠) لمحمد أحمد سيد، بتصرف.

آل الشيخ "قاضي الرياض"، ولازم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[١]، حتى تأصَّل لديه هذا المنهج في العقيدة، القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح، فهي عقيدة تتسم بالقوة والوضوح، والبعد عن الشطط والانحراف، قائمة على توحيد الله خَلقا ومُلكا وتدبيرا وإفرادا له بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

علما أن أعظم الدعوة وأهمها الدعوة إلى التوحيد، وخير المعروف الدلالة على التوحيد، وأكبر المنكرات البعد عن التوحيد والقرب من الشرك أو الوقوع فيه، وأشده منكرا إذا كان الشرك يمارس في مساجد بنيت لتوحيد الله وتعظيمه، وصرفت لتعظيم من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا حولا ولا طولا.

ومما يُعرِّف عن شدة اهتمامه بالعقيدة ودعوة الناس إليها؛ أنه ومع شدة مرضه الذي توفي فيه حين يزوره "كبار المسئولين، فإنه يذكرهم بمسئولياتهم، ويركز على ما يتعلق بشأن الإسلام، والتأكيد على التمسك بالعقيدة، وأن هذا البلد لم يقم ولم يعزُّه الله إلا بالعقيدة، حتى أن الأطباء كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده"[٢].

فمتانة الديانة معيارها الصحيح: سلامة التوحيد وصحة العقيدة، والحرص الشديد على الدعوة إليه والخلوص مما يناقضه من البدعة والشرك.

---

(١) ينظر: تاج القضاة في عصره (٢٥) لسليمان بن محمد العثيم بتصرف.

(٢) ينظر: مجلة الدارة عدد ٣،٤، السنة الربعة والعشرون، عام ١٤١٩هـ وأقوال الشيخ عبد الله ابن حميد في التفسير (ص١٣-١٤) لسمية بنت عبد الله الموسى.

ويتضح ذلك من بعض عناوين كتبه ودروسه وفتاواه ومقالاته:

المطلب الأول: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين كتبه:

- شرح كشف الشبهات.
- رسالة في التوحيد.

المطلب الثاني: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين دروسه:

- درس في بيان الحكمة من خلق الجن والإنس
- درس في أول شرك وقع في الأرض
- درس في معنى التوحيد.
- درس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].
- درس في شرح حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات».
- درس تتمة شرح حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات».
- درس في معنى «شهادة أن محمدا رسول الله».
- درس في معنى الإيمان بالرسل واليوم والقدر.
- درس في معنى الإحسان وذكر الساعة وشيء من علاماتها.
- درس في إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين فتاواه:

- نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا.
- التبرك بقبور الأنبياء والصالحين.
- الصلاة في المساجد التي بها قبور.
- توسل الأعمى بالرسول في حياته.
- فضائل أحمد البدوي الذي غلا فيه بعض الناس.
- التداوي بالسحر والشعوذة.
- أكل ذبيحة من يتقرب إلى الجن.
- معنى الكرامة والفرق بينها وبين الشعوذة.
- المقصود بالصور.
- كتابة الآيات القرآنية في إناء ثم غسله بالماء ويشربه المريض للاستشفاء
- حكم من يصيب الناس بعينه.
- قول ما صدقت على الله أفعل كذا أو يحصل كذا.
- كلَّك بركة، وتباركت علينا بفلان.
- القاعدة العامة التي تعرف بها البدعة في الدين.

- حكم التمسك بكسوة الكعبة.
- حكم البدعة بالمولد النبوي.
- حكم الموالد والجلسات التي يذكر فيها النبي ﷺ.
- حكم تخصيص العمرة في ليلة سبع وعشرين من رجب، واعتقاد أنها ليلة الإسراء والمعراج.
- ليلة النصف من شعبان هل لها مزيد فضل؟
- حكم تصور الإنسان في مخيلته الجنة والنار لكي يتقوى على العبادة؟
- حكم الهجرة من بلد أكثر أنظمته وتشريعاته ليست إسلامية؟
- حكم قول سيدنا للرسول؟
- حكم كتابة ﷺ بـ (ص) أو (صلعم)؟
- عرض الأعمال على الرسول ﷺ.
- تبليغ سلام الغير للرسول ﷺ في قبره.
- قول بعض الصوفية: الأولياء والمشايخ الذين نحبهم في الله، والذين يكرهونهم هم: الوهابية؟
- الطرق الصوفية كلها مبتدعة، لا أصل لها.

المطلب الرابع: بيان العقيدة الصحيحة من خلال عناوين مقالاته:

- بدعة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[(١)].
- جواب على سؤال حول إثبات وجود الجن[(٢)].

(١) **ينظر**: الرسائل الحسان في نصائح الإخوان (ص٢٣) للشيخ عبد الله ابن حميد.
(٢) **ينظر**: المرجع السابق (ص٢٥).

المبحث الرابع

اطلاعه على التيارات الفكرية الوافدة
وردوده عليها وتحذيره منها

إن المطلع على الأعمال العلمية والدعوية لسماحة الشيخ رحمه الله يتبين له جليا عمق معرفته بأفكار التيارات الوافدة إلى الدول الإسلامية ومحيطها، هذه الأفكار التي تمس المنطقة الإسلامية بشرارتها في صور وأشكال متنوعة، سواء كانت في ثوب الصوفية أو العلمانية أو اللبرالية أو الشيوعية والملاحدة، أو منظمات الأسود (الليونز) والروتاري وغيرها، أم حقوق الأقليات غير الإسلامية التي تُغرس باسم الاجتماعية أو الرفاهية أو الحقوقية، أو التي تدعو إلى تغيير المناهج الدراسية أو استبدالها بالمناهج الدراسية الغربية أو الأمريكية.

فلم تكن شخصيته رحمه الله قاصرة على محيط البلاد أو الإقليم الذي يعيش فيه فحسب؛ بل كانت شخصية الشيخ عالمية.

المطلب الأول: اطلاعه على التيارات الفكرية

تحدث نجله معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله ابن حميد عن اطلاع والده الشيخ رحمه الله على الثقافة الجديدة، فقال: "جيل الشيخ من الشيوخ وطلبة العلم في الخمسينات والستينات وأوائل السبعينات الهجرية من القرن الماضي لم يكن يرى الاطلاع أو الاشتغال بالعلوم الحديثة، ولا الاطلاع على إصدارات

العصر من الصحف والمجالات، وكذا الاستماع إلى المذياع بل قد يكون له تحفظ شديد يصل في بعض صوره إلى المنع منها أو من بعضها.

أما الشيخ رحمه الله فكان على تواصل عجيب بكل هذه العلوم والوسائل بطريقة صحيحة تميز تمييزا كاملا بين الغث والسمين، وبين ما يتفق مع ضوابط الشرع وأحكامه، وبين ما يضاد ذلك أو يعارضه، وقد يكون لعناية الشيخ بالتاريخ والأدب عامل مساعد لهذه الشخصية المتفتحة لتواصل إشباع نهمها لسير التاريخ وفحص أحوال الأمة والناس، فإذا لم يكن من الغريب الاطلاع على كتب التاريخ كابن جرير وابن كثير وابن الأثير، فليس من الغريب على الشيخ أن يقرأ في تاريخ الدولة العثمانية وبخاصة أواخر تاريخها، بل فترة سقوطها، وفلسفة هذا السقوط، فإن دقة متابعته قادته إلى الاطلاع على مجلة المنار التي يصدرها محمد رشيد رضا، فكانت له أوقات محددة يقرأ فيها قراءة منتظمة في أعداد هذه المجلة، وأذكر أن هذه الأوقات بعد العصر في المكتبة العلمية في بريدة.

ولعل القارئ الكريم يدرك كيف يمكن لهذه المجلة بعمقها وعلميتها مع توجهها الديني أن تؤثر على رجل في مثل عقلية الشيخ الذكية النابهة المثقفة ثقافة قديمة - إن صح التعبير - لتنقله من ثقافة إلى ثقافة، ومن أسلوب إلى أسلوب، ومن معالجة إلى معالجة، فمحمد رشيد رضا وهو التلميذ الوفي لمحمد عبده رائد ما عرف بالإصلاح الديني في مصر، وتعامله مع الحضارة الغربية وفلسفتها، واحتكاكها مع العالم الإسلامي والعربي والدولة العثمانية،

كل هذه الأجواء والتحليلات والفلسفات يتشربها الشيخ ويستوعبها ثم يحللها بنظره الثاقب وعلمه الشرعي بل وعقيدته السلفية النقية.

لم تكن مجلة المنار هي المنفذ الوحيد للشيخ على الثقافة المعاصرة بل كان في بيتنا في بريدة مجلات وصحف كثيرة؛ أذكر منها: مجلة الأزهر، مجلة شباب محمد، والهدي النبوي، وحضارة الإسلام، والتمدن الإسلامي، ومجلة روز اليوسف، وآخر ساعة، وغيرها.

كما أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ له مكتبة علمية فيها كتب تاريخية وأدبية وسياسية وغيرها، قال الشيخ محمد بن ناصر العبودي: كنا في بعض المسائل الهامشية من طلبة العلم الذين يحضرون المكتبة، فكان بعضهم يقول: "علم لا ينفع، وجهل لا يضر"، وعنه نحن نقول: إن الجهل يضر بلا شك، والعلم ينفع أيضا، إذا كان المقصود بذلك أن هذه ليست بها فائدة فهذا غير صحيح، ومع ذلك كنا نحرص على الكتب الأدبية والتاريخية، وكان شيخنا عبد الله ابن حميد يشجعنا على ذلك لأنه يصح أن يقال عنه: أنه أديب متذوق للأدب والأخبار والنوادر، وكان حريصا على جمعها[(١)].

كما أن اطلاع الشيخ لم يقتصر على القراءة في الصحف والمجالات المحلية والعالمية للكتّاب الغربيين والأطباء؛ بل كان يحتج بما يفيد من أقوالهم، ومن ذلك كتب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تحت عنوان: (مضار الخمر ومفاسدها في جريدة اليمامة عدد: ٣١

---

(١) **ينظر**: الإبداع والتحديث (ص٩-١٠) لصالح بن عبد الله ابن حميد، بتصرف.

في ١٢/ ٩/ ١٣٧٨هـ)، وقال: قال هنري الفرنسي في كتابه خواطر وسوانح في الإسلام إن أحدَّ سلاح يُستأصل به الشرقيون وأمضى سيف يقتل به المسلمون هو الخمر، وإدخالها عليهم، ولقد جربنا هذا السلاح على أهل الجزائر حين دخلناها فأبت شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه فتضاعف نسلهم وكثر عددهم، ولو أنهم استقبلونا كما استقبلنا قوما من منافقيهم بالتهليل والترحيب، وشربوها لأصبحوا أذلاء لنا كتلك القبيلة التي تشرب خمرنا وتحملت إذلالنا.

وقال كيلوج الطبيب الأمريكي: بمنع التداوي بالخمر إذ بان له أن ضررها في الجسم عند التداوي أكثر من نفعها بالشفاء الموقت؛ لما تفعل بالأمعاء وفي الأحشاء من الضراء[1].

المطلب الثاني: متابعة الشيخ رحمه الله للتيارات الفكرية وتحذيره منها

كان الشيخ رحمه الله يهتم بالأمور الدينية في البلاد الإسلامية، وإذا علم بأمر خطير يمس الفكر الإسلامي والثوابت الشرعية، فإنه يبادر ويكتب الرسائل والمقالات فيه؛ تبيانًا للحق وأمرًا به، وكشفًا للفساد والمنكر وتحذيرًا منه. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- تنبيهه رحمه الله أساتذة المدارس والكليات والجامعات إلى إرساليات التبشير النصراني في البلاد الإسلامية والعربية، إذ أرسل رسالة هذا نصها: "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد؛ تعلمون - وفقكم الله ونفع بكم- أن هذه

(١) ينظر: جريدة اليمامة عدد: ٣١ في ١٢/ ٩/ ١٣٧٨هـ، بتصرف.

النابتة المتربية في المدارس على تنوعها هي أمانة تحت أيديكم، أوجب الله عليكم رعايتها وصيانتها بتعليمها العلوم النافعة وتربيتها التربية الصحيحة، فمتى صحت علومهم واستقامت أنتجت رجالا مخلصين لدينهم وبلادهم، والعكس بالعكس..."، وحذرهم من المبشرين والمنصرين أمثال "**زويمر**"[(١)]، ونقل مقولته الخطيرة في كتابه العالم الإسلامي اليوم: "يجب تبشير المسلمين بواسطة من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب قطعها بأغصانها، وإن من المحقق أن المسلمين قد نمى في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين، وأن هذه العلوم ستزاحم العلوم الإسلامية وتضعفها من نفوسهم..".

---

(١) صمويل مارينوس زويمر (أبريل ١٢، ١٨٦٧-أبريل ٢، ١٩٥٢)، ويلقب بالرسول إلى الإسلام، وهو مبشر أمريكي رحالة وباحث، وقد ولد في بلدة زيلاند تشارتر (ميشيغان) في ١٨٨٧ حصل علي A.B. من كلية هوب، هولاند (ميشيغان)، وفي ١٨٩٠، حصل على شهادة الماجستير من المدرسة اللاهوتية نيوبرونزويك، نيو برونزويك (نيو جيرسي)، درجاته الأخرى تشمل درجة الدكتوراه من كلية هوب في ١٩٠٤م، و درجة الحقوق من كلية مسكنكم في ١٩١٨، ودرجة الدكتوراه من جامعة روتجرز في ١٩١٩م، وبعد أن عين في الكنيسة البروتستانتية في بيلا (آيوا) Classis في عام ١٨٩٠، وكان قد بدأ بالتبشير في البصرة والبحرين، وفي مواقع أخرى في الجزيرة العربية من عام ١٨٩١ حتي ١٩٠٥م وكان عضوا في البعثة السعودية ١٨٩٠-١٩١٣م خدم زويمر في مصر في الفترة ١٩١٣-١٩٢٩م وسافر أيضاً على نطاق واسع إلى آسيا الصغرى، وانتخب زميلا في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن إنجلترا المصدر:

https: / /ar.wikipedia.org /wiki /٪D٨٪B٥٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٩٪٨A٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٣_٪D٨٪B٢٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨A٪D٩٪٨٥٪D٨٪B١

وقال: "إن غرض هذا القس الخبيث وأمثاله كـ "سر هنري جونسون"، و"المستر بلس" و"شاتليه"، وأشباههم، الذين كتبوا في هذا المعنى، إنما غرضهم تربية العقول في عهد نشأتها طبق ما يريدون من إدخال العلوم الأوربية على العلوم الإسلامية، وتنميتها في قلوبهم لينجذبوا بها إليهم، بتعظيمهم، وتعظيم آرائهم، وإخراج المسلم من الإسلام، أو جعله في حيرة من دينه"(١).

٢- نهيه رحمه الله عن كتابة القرآن باللغة غير العربية أو كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية؛ وذلك أن خطابا ورد من مبعوث الرئاسة بسفارة المملكة العربية السعودية بجاكرتا إلى مدير إدارة الدعوة في الخارج برقم ٩/ ١/ ١٥/ ١٥٥ وبدون تاريخ، فيه: أنه ظهر في أسواق إندونيسيا مصحف مكتوب بالأحرف اللاتينية، ويسأل عما ينبغي اتخاذه حياله.

وقد أحيل الموضوع إلى الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء من سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بخطابه رقم ٢٥٥/ ١/د وتاريخ ٢٧/ ١/ ١٣٩٩هـ، واطلع المجلس على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في (حكم كتابة المصحف بالأحرف اللاتينية).. بناء على طلب المجلس في الدورة الاستثنائية الثالثة، لمّا عُرض الخطاب في تلك الدورة، وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه - قرر المجلس بالإجماع: تحريم كتابة القرآن بالحروف اللاتينية أو غيرها

(١) **ينظر**: جريدة حراء في: ٢٧/ ٥/ ١٣٧٨هـ بتصرف، هذه الرسالة تعرض بنصها الكامل في مبحث: مراسلاته.

من حروف اللغات الأخرى[1].

٣- تحذيره رحمه الله أصحاب الفضيلة العلماء من الغزو الفكري الأوروبي، ونصه: "تعلمون يا أيها العلماء الأجلاء ما أصيب به الإسلام من انتقاض عراه بفشو المنكرات وتجرئ الكثيرين أو الأكثر على ارتكابها وزوال وحشتها من النفوس، وفساد العقيدة مما يلقيه دعاة الغرب من بذور الشبه والشك؛ من فساد الأخلاق، وظهور البدع التي طغت على السنن.

يها العلماء الأجلاء، إن الأجانب غزونا في بلادنا غزوا عظيما، بانحلال أخلاقنا، وإضعاف مكانة الدين الإسلامي من قلوبنا، بما يكتبونه من القصص الغرامية، والشبه والشكوك التي يلقونها على بني الإسلام، والتي من شأنها إفساد العقائد الحقة.

فإن العقيدة إذا فسدت، وخفت أوامر الإسلام ونواهيه على القلب، أصبح مصدرا لكل رذيلة وانحلال خلقي".

ثم ذكرهم رحمه الله بمقالة بعض الأوروبيين لجنوده: "إن فن الاحتلال فن عسكري في الأول، ولكنه فن أخلاقي في الآخر".

ثم أنذر الشيخ قائلًا: "أيها العلماء الفضلاء: لقد علمتم ما قال الله في ذمّ من لم يقم بواجبه، ولم يؤد ما عليه لدينه وأمته، من الدعوة والإرشاد، والعظة

---

(١) صدر هذا القرار برئاسته رحمه الله المنشور في موقع هيئة كبار العلماء، وكامله يعرض في فتاواه والقرارات المشتركة.

والتذكير، والإنذار بسوء العاقبة؛ فإن الآيات في الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة.."[١].

٤- تحذيره رحمه الله الأمة الإسلامية وحكامها من العلمانيين أو الليبراليين وردُّه على الكلمة المنشورة في صحيفة القصيم في عددها ٩٥ في ٨/ ٥/ ١٣٨١هـ بعنوان: "مبادئنا الأصيلة".

قال رحمه الله: "ولعلمي بأن هدفكم الحق ورائدكم الإصلاح لاحظت فقرات فيها أحببت تنبيهكم عليها، فمنها أنكم ذكرتم: (أن الواجب الطبيعي الخوض في هذه الأمور الهامة إلى آخره).

فنفيدكم بأن الطبيعة لا توجب شيئا ولا واجب إلا ما أوجبه الشرع فقط، ثم إنكم قلتم: (علقتم أملكم بأصحاب الفكر والتوجيه)، ولو قيدتم ذلك بما تقتضيه الشريعة الإسلامية أو على الأقل بما لا يخالف الدين الإسلامي لكان هو الواجب، ثم إنكم وضحتم هذا الأمر المهم الذي توجبه الطبيعة - على حد تعبيركم - وهو النظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، لبلادنا، ويلاحظ من هذا: حصر الأهمية وشدة الحاجة إلى هذه الثلاث فقط، ولم تذكروا معها أهمية هذا الدين، وشدة الحاجة إلى التمسك به، وإلى فهمه فهما صحيحا، وتطبيقه تطبيقا شاملا. فإنه متى فهم وطبق بجميع تعاليمه، فإنه كاف، بل هو الغاية في حل جميع المشاكل، ومن جملتها: النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) **ينظر**: جريدة الدعوة في ذي الحجة عام: ١٣٨٧هـ، كامل النص يعرض في قسم المقالات.

ومنها: قولكم: (الكل يعلم أن باب الاجتهاد مقفول أمام الجميع، باستثناء القلة، التي هي نفسها لا تفعل شيئا سوى نقل النصوص الفقهية، التي كتبت من مئات السنين).

فنقول: إن أريد بالاجتهاد هنا مجاوزة الشريعة وتخطيهما إلى غيرها، ووضع النظم المستمدة من سواها، المأخوذة من الأفكار والعقول التي لا تمشي على الأسس الشرعية، فنعم، هذا مقفول عن كل إنسان يدين بالشريعة المحمدية، ويلتزم بأحكامها، لكمالها واستيفائها لكل ما يحتاج إليه"(١).

٥- تحذيره رحمه الله الأمة الإسلامية وحكامها من دعاة الحقوق العلمانيين أو الليبراليين وردُّه على ما نُشر في صحف محلية بعنوان: (نقد مساواة المرأة بالرجل على ضوء الإسلام) حيث قال: "بيننا اليوم أناس يعتقدون مساواة المرأة بالرجال، وأنه يجب لهن ما لهم، وعليهن ما عليهم، ولا فرق بين الصنفين في جميع الأحكام؛ لأن النساء شقائق الرجال، ولم يقفوا عند هذا الحد؛ بل أخذوا ينصرون هذا الرأي، ويتعصبون له مسفهين رأي من خالفهم من أهل الإسلام، كأن القوم لم يعرفوا أوامر الإسلام ولا قرع آذانهم حكمٌ من أحكامه، فالدين الإسلامي في ناحية وهؤلاء المنتمون إليه في ناحية أخرى، ولا شك أن هذا الرأي رأي خبيث بعيد عن مدلولات الكتاب والسنة، فاسمع الأدلة من الكتاب والسنة على بعض الفوارق بين الرجال والنساء، ومفاضلة الصنف

(١) **ينظر**: جريدة القصيم عددها: ٩٥ في ٨/ ٥/ ١٣٨١هـ سيعرض نصه الكامل في قسم المقالات.

الأول على الثاني،... والنصوص الدالة على الفوارق بين الرجال والنساء، وعدم مساواة الصنفين كثيرة جدا.."[1]

وذكر رحمه الله من ذلك: قوامة الرجل على المرأة، وإباحة زواجه بأربع من النساء، وميراثه على حظ الأنثيين، وشهادته تساوي المرأتين، ولا تدرك المرأة صيام رمضان كله، كما تنقص صلاتها في كل شهر، وديتها من نصف دية الرجل، ولا تسافر إلا مع ذي محرم، وعقيقتها شاة بينما للذكر شاتان، وغيرها الكثير من الفوارق الشرعية، ولله شأن في خلقه، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

٦- تحذيره رحمه الله الأمة الإسلامية من البدعة -كيوم المولد النبوي- ومشابهة أهلها قال رحمه الله: "اعتاد كثير من الناس في مثل هذا الشهر شهر ربيع الأول من كل سنة: إقامة الحفلات الرائعة لذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ليلة الثانية عشر منه قائلين إنه عبارة عن إظهار الشكر لله عز وجل على وجود خاتم النبيين، وأفضل المرسلين، بإظهار السرور بمثل اليوم الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، بما يكون فيه من الصدقات والأذكار.

فنقول: لا شك أنه سيد الخلق وأعظمهم وأفضل من طلعت عليه الشمس، ولكن لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة المجتهدين، ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية مع

(١) ينظر: الرسائل الحسان في نصائح الإخوان (ص٢٠) للشيخ عبد الله ابن حميد، يعرض بنصه الكامل في قسم المقالات.

أنهم أعظم محبة له منا، وهم على الخير أحرص منا، وعلى اتباعه أشد؛ بل كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه، وإحياء سنته ظاهرا وباطنا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، لا في إقامة تلك الحفلات المبتدعة التي هي من سنن النصارى، فإنه إذا جاء الشتاء في أثناء كانون الأول لأربع وعشرين خلت منه -بزعمهم أنه ميلاد عيسى عليه السلام- أضاءوا في ذلك الأنوار، ووضعوا الطعام، وصار يوم سرور وفرح عندهم، وليس في الإسلام أصل لهذا؛ بل الإسلام ينهى عن مشابهتهم، ويأمر بمخالفتهم"(1).

٧- انكاره رحمه الله على من ينكر وجود الجن، وردهُّ عليهم، حيث ورد عليه السؤال: الجن هل لوجودهم حقيقة أم لا؟ وما حكم من أنكر وجودهم؟

الجواب: "دلت الكتب السماوية على وجود الجن حقيقة، وأجمع المسلمون عليه؛ وعقلاء النصارى والمجوس والصابئون، وهذا أمر معلوم حتى عند جاهلية العرب، ولم ينكر وجودهم إلا جهلة الأطباء..

وأما حكم منكر الجن فإنهم مكذبون للقرآن العزيز والسنة النبوية، ومخالفون لما أجمع عليه المسلمون كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:١].

---

(١) ينظر: مجلة الحج في ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ بعنوان: المولد النبوي الشريف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ، وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن»[1]، فظهر مما تقدم وجود الجن حقيقة، وكفر من أنكر"[2].

٨- تحذيره رحمه الله من الماسونية والانتماء إليها، من خلال رئاسته مجلس المجمع الفقهي، حيث تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين، وتحُول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٧٣١) ومسلم في صحيحه (ح: ٦٨١).
(٢) **ينظر**: مجلة الحج، الجزء الخامس من السنة الثانية عشر في: ١٦/ ١١/ ١٣٧٧هـ، بتصرف.

العالمية، وكما أنها تعمل كمنظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال، محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

وتأخذ أسماءً أخرى تمويهًا وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقِيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتاري - إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كليا مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة؛ يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدّامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام[١].

٩- تحذيره رحمه الله من الشيوعية والاشتراكية والانتماء إليها من خلال رئاسته مجلس المجمع الفقهي، وقد درس المجمع فيما درسه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعية والاشتراكية) وما يتعرض له العالم الإسلامي من مشكلات الغزو الفكري على صعيد كيان الدول، وعلى صعيد نشأة الأفراد وعقائدهم،

(١) **ينظر**: قرارات المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنشورة في موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

وما تتعرض له تلك الدول والشعوب معًا من أخطار تترتب على عدم التنبه إلى مخاطر هذا الغزو الخطير.

ويرى المجمع أن كثيرًا من الدول في العالم الإسلامي تعاني فراغًا فكريا وعقائديا، خاصة أن هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أعدت بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية وأحدثت فيها خللا في العقائد وانحلالا في التفكير والسلوك؛ وتحطيمًا للقيم الإنسانية وزعزعة لكل مقومات الخير في المجتمع، وإنه ليبدو واضحًا جليا أن الدول الكبرى على اختلاف نظمها واتجاهها قد حاولت جاهدة تمزيق شمل كل دولة تنتسب للإسلام؛ عداوة له وخوفًا من امتداده، ويقظة أهله؛ لذا ركزت جميع الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمين، هما العقائد والأخلاق:

ففي ميدان العقائد شجعت كل من يعتنق المبدأ الشيوعي المعبر عنه مبدئيًا عند كثيرين بالاشتراكية، فجندت له الإذاعات والصحف والدعايات البراقة والكتَّاب المأجورين، وسمته حينًا بالحرية وحينًا بالتقدمية وحينًا بالديمقراطية، وغير ذلك من الألفاظ، وسمت كل ما يضاد ذلك من إصلاحات ومحافظة على القيم والمثل السامية والتعاليم الإسلامية رجعية وتأخرًا وانتهازية ونحو ذلك.

وفي ميدان الأخلاق دعت إلى الإباحية واختلاط الجنسين، وسمَّت ذلك أيضًا تقدمًا وحرية، فهي تعرف تمام المعرفة أنها متى قضت على الدين والأخلاق فقد تمكنت من السيطرة الفكرية والمادية والسياسية، وإذا تم ذلك لها تمكنت من السيطرة التامة على جميع مقومات الخير والإصلاح، وصرفتها

كما تشاء، فانبثق عن ذلك الصراع الفكري والعقائدي والسياسي، وقامت بتقوية الجانب الموالي لها وأمدته بالمال والسلاح والدعاية، حتى يتمركز في مجتمعه ويسيطر على الحكم، ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك من تقتيل وتشريد وكبت للحريات وسجن لكل ذي دين أو خلق قويم.

ولهذا لما كان الغزو الشيوعي قد اجتاح دولا إسلامية لم تتحصن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تجاهه، وكان على المجمع الفقهي في حدود اختصاصه العلمي والديني أن ينبه إلى المخاطر التي تترتب على هذا الغزو الفكري والعقائدي والسياسي الخطير الذي يتم بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية وغيرها؛ فإن مجلس المجمع الفقهي برئاسة الشيخ عبدالله ابن حميد؛ يلفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلم به يقينًا أن الشيوعية منافية للإسلام، وأن اعتناقها كفر بالدين الذي ارتضاه الله لعباده[١].

---

(١) ينظر: قرارات المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنشورة في موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، والاشتراكية في الإسلام (ص١٨٧) للشيخ عبد الله ابن حميد، مقتبس من كتاب محمد أحمد سيد أحمد: عبد الله ابن حميد حياته العلمية.

المبحث الخامس

قوته في الحوار والمناظرة

لقد كان رحمه الله يحاور الناس ويناظرهم بالأدلة والحجج لبيان الحق وتمهيد الوصول إليه، كان يتمتع بمزايا فريدة لا تكاد تتوفر إلا في القليل من الرجال الذين وهبهم الله قريحة وقوة حفظ وذكاء وفطنة وعلما وإخلاصا وفضلا، وأوتي عقلا كبيرا وقدرة فائقة على الإقناع بما يتناسب مع أفهام الناس.

فالعالِم في الإسلام قائد، ميدانه النفوس، وسلاحه الكتاب والسنة وتفسيرهما العملي من فعل النبي ﷺ وفعل أصحابه، وعُهد إليه أن يبلغه للناس، فلا يعتريه في نشر دعوة الإسلام ومبادئه فتور ولا خور، ولا يقعد عن البلاغ رغبة ولا رهبة من سلطان؛ لأن القلب الذي أُشرِب حلاوة الإيمان؛ يكتسبُ قوةً روحية وحصانة دينية ونورًا ربانيا، فلا يجد الشيطان في إغوائه سبيلا.

وإنَّ قلبا قد صبغ بصبغة الله وتشبع بتعاليم الإسلام حتى ملكت سويداء قلبه ليأبى أن يخضع لسلطة قاهر أو يرهب بطش جبار في الجهر بكلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

ومن صفات العلماء القوَّامين العنايةُ البالغة بأمر الدين حفظا ونشرا وبلاغا، ونصيحة وإرشادا، وتربية وسلوكا، وجدلا ومناظرة في إصابة الحق وتأييده، وكشف الباطل وإزهاقه قولا وعملا؛ ليكشفوا للناس وجه الحق والصواب.

وإن من أهم صفات سماحة الشيخ عبد الله أنه يوجه ذهن الطالب أو المخاطب إلى تعقل المسائل وفهم المعاني من أقرب الوجوه، متجنبا الاحتمالات البعيدة، وتكلف التعسفات الممقوتة، ويطلب من الطالب حضور الدرس قبل إلقائه لمراجعة ما يحتاج إليه، فلا يكثر من الاعتراضات والجواب عنها، فإن ذلك مضيعة للأوقات، وليس من منهجه أن يلقن المعلمُ الطلبة ما يريد من الأحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب، بل يستمر معهم في أخذٍ ورد وبحث وتمثيل حتى يصل بهم إلى ما يريد(١).

ولحواره نماذج في المطالب الآتية:

المطلب الأول: حواره مع العلماء:

مبحث تبيان الأدلة في أثبات الأهلة:

يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه: فإنه لما كان في سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وتسعين في شعبانها قرر أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثالثة عشرة بمكة المكرمة عدة قرارات، من جملتها قرار يقضي بتوحيد الأهلة في الأقطار المنتسبة إلى الإسلام، بحيث إذا رؤى الهلال في المغرب أو في إيران أو غيرهما لزم جميع مسلمي الأرض أن يصوموا ويفطروا بتلك الرؤية، وأن أمانة الرابطة ستكتب بذلك لكافة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية للعمل بموجبه على أن هذا هو مقتضى الشرع.

---

(١) **ينظر**: عبد الله ابن حميد حياته العلمية (ص١٠٩) لمحمد سيد أحمد، بتصرف.

وكنت حاضرا الجلسة حينما تُليت تلك القرارات التي من جملتها القرار المشار إليه! فأبديت معارضتي على أن هذا لا يتفق مع صحيح الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ولا مع ما ذهب إليه كثير من محققي العلماء: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، ولا مع ما يتفق مع علم الهيئة الجديدة والجغرافية الحديثة، وإن ذهب إليه بعض أعضاء المجلس من لزوم أهل الأرض أن يصوموا ويفطروا برؤية بعض البلاد، قال به بعض العلماء إلا أنه لم يستند على دليل يؤيده لا عقلا ولا نقلا، بل من المعلوم بالضرورة عدم صحة هذا القول، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن كريب: أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: أو لا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ»[(١)].

وهذا صريح في أن لكل بلد رؤيتهم، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: هكذا أمرنا رسول الله ﷺ، يدل على أنه أمر ثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك، ولم يرد ابن عباس خبر كريب بناء على أنه خبر واحد، إذ لو كان كذلك، لكتب معاوية يسأله

(١) أخرج مسلم في صحيحه (ح: ١٨١٩).

عن رؤية الهلال لديه، أو أن معاوية كتب لأهل المدينة بثبوت رؤية الهلال عندهم ليلة الجمعة من أجل قضاء صوم ذلك اليوم الذي أفطروه، وحيث لم يكن شيء من ذلك، دل على أن لكل بلد رؤيتهم كما هو المعهود في زمن رسول الله ﷺ وزمن خلفائه إذ لم يكتبوا إلى الأمصار، ولا أن أهل الأمصار يكتبون لهم رؤية الهلال عندهم مع شدة عنايتهم بالدين وحرصهم على الخير.

وقد ترجم الإمام النووي على هذا الحديث في شرحه على مسلم بقوله: باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بعد عنهم.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له».

وفي رواية عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»(١).

المطلب الثاني: حواره مع المدعي من عامة الناس

يقول الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله واصفا بعض وقائع أقضيته: "حينما كنت قاضيا في المجمعة جاءني شخص وقال لي: إن جاري فلان سطا على بيتي عند منتصف الليل يقصد السرقة، ولما أحسست به خرجت إليه، ورأيته يفتش

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ١٩٠٦، ١٩٠٧).

في غرف المنزل وتأكدت أنه جاري فلان، فلما شعر بي هرب ولم أستطع اللحاق به، فسألته هل لديك بينة؟ فأجاب بالنفي، وقال: كيف أجد بينة ونحن في منتصف الليل؟ فأحضرت الجار المتهم فأنكره، وادعى أنه بريء مظلوم، وفي مثل هذه الحالة لا يجب عليه إلا اليمين حيث لا بينة، فإذا أدى اليمين أُطلق، فالتفتُّ إلى المدعي وقلت له: أنت إنسان مخطئ وظالم وسمعتك سيئة في كل أنحاء المدينة، واستطردت في تقريع المدعي وتوبيخه.

كل هذا والمتهم يكاد يطير من الفرح، ثم أشرت إلى الجار وقلت: إن هذا الجار من خيرة الرجال وأفضلهم، وكلنا نعرف حسن سلوكه، ولكن من المحتمل أن يكون حصل له خوف أثناء الليل ووحشة شديدة، وهذا يحصل لكل الناس، فجاء إليك لعلك تزيل وحشته وتؤنسه، ولكنك استعجلت به ولحقت به فهرب، فهو لم يقصد السرقة، فلما سمع المتهم كلامي هذا رفع صوته قائلا: هذا والله صحيح يا شيخ، أنا خفت في الليل فجئت إلى جاري لأزيل وحشتي، ولكنه -الله يهديه- لحقني فهربت منه، فلما سمعت منه اعترافه، أمرت بالقبض عليه وسجنه[1].

المطلب الثالث: حواره مع المستفتي من عامة الناس

أما قوة حواره ومناظرته أثناء استفتاء الناس فيقول الدكتور عبد العزيز بن محمد الخويطر قال: ولا نذهب بعيدا فلعل المستمعين يذكرون برنامجا في الاذاعة، يفتي فيه

(١) **ينظر**: جريدة البلاد عدد: ٧٢٢٢ في ١٠/ ٣/ ١٤٠٣هـ

الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله ويرد على المستفتين فكان المذيع يذكر اسم السائل كاملا واسم بلدته ثم يتلو السؤال، وعند الرد يوجه الشيخ رحمه الله الرد إلى السائل ذاكرا اسمه، واسم والده وجده وبلده، وسؤاله كاملا قبل أن يبدأ بالفتوى.

كنا نندهش - نحن المستمعين - من مقدرته -عليه رحمة الله - من تذكر الاسم كاملا، واسم البلدة أحيانا إذا ذكرت في السؤال، ثم يذكر السؤال بنصه وليس بمعناه، ونحاول أن نتذكر الاسم كاملا فلا نفلح، وكان طموحنا لا يصل إلى الأمل في تذكر نص السؤال أو بعضه ونكتفي بمحاولة استيعاب المعنى، وإذا تعددت أقسام السؤال فقد ننسى بعضا منها، وهو لا ينسى[1].

(١) **ينظر**: جريدة عكاظ عدد: ٩٥٦٣ صفحة في ٧/ ٤/ ١٤١٣هـ، صفحة: ١٣.

المَبْحَثُ السَّادِسُ

تجرده من العصبية المذهبية

في الوقت الذي كانت العصبية المذهبية مستشرية حتى في أوساط كثير من طلاب العلم، تجرد رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الصفة حيث يعتبر من العلماء الأفذاذ، والفقهاء الكبار الأثريين؛ مع أنه تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ وحفظ متونه، ودَرَسه واستوعب شرحه، ودرَّسه في كثير من الجوامع والجامعات والمحافل العلمية، وانتسب إليه، إلا أنه لم ينغلق عليه في فقهه وفتاواه وأقضيته؛ بل يتحرى الدليل، حيث منحه الله عَزَّ وَجَلَّ بصر الفقيه وأداة المجتهد.

فهو يحترم مذاهب الحق ويحفظ لكل ذي حق حقه، وكان كثيرا ما ينظر في مختلف المذاهب وأراء أصحابها، ويطَّلع على حججهم وأدلتهم، ويأخذ بما يدين الله به مما يراه أسعد بالدليل وأظهر في الحجة وأوفق مع النص[1] والأمثلة على ذلك كثيرة. فمنها:

- سؤال ورد إليه حول مسألة الانتقال من نية الانفراد إلى نية الإمامة:

الجواب: نعم تصح الصلاة؛ لأنه يجوز أن ينتقل المنفرد من نية الانفراد إلى نية الإمامة، فأنت صليت على القول المعتمد، وإن كان المذهب عند الحنابلة على خلافه، ولكن السنة أحق أن تتبع، وقد روى البخاري ومسلم عن

(١) مجلة الدارة (٣، ٤) السنة ٢٤، عام ١٤١٩هـ لمعالي الشيخ صالح بن عبد الله ابن حميد.

عبد الله بن عباس قال: بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات، ثم نام، ثم قام، ثم قال: نام الغليم أو كلمة تشبهها، ثم قام فقمت عن يساره، فجعلني عن يمينه، فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين، ثم نام، حتى سمعت غطيطه أو خطيطه، ثم خرج إلى الصلاة»[(١)].

قالوا: هذا يدل على أن النبي ﷺ نوى الانفراد ثم انتقل على إلى نية الإمامة، فدل على جوازه[(٢)].

● السؤال: نرى بعض الناس يشيرون بالسبابة من أول التحيات إلى آخرها أثناء التشهد، فهل هذا وارد؟

الجواب: بعض العلماء يقول: يشير عند ذكر الجلالة: التحيات لله، ولكن الصحيح أنه يشير بها عند التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله، عندما تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أما غيره فلا، ما رود فيه شيء من الأحاديث، لكن جاء في بعض كتب الحنابلة أنه يشير بأصبعه السبابة عند ذكر الجلالة، فإذا قال: التحيات لله يشير عند لفظة (لله) وهكذا.

لكن الصواب الذي جاءت به الأحاديث، يشير بأصبعه السبابة عند قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، لفظة: أن لا إله إلا الله، أما غيرها فلا[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ١١٤).
(٢) ينظر: في تسجيلات الإذاعة برنامج نور على الدرب من حلقات رمضان عام ١٤٠٠هـ.
(٣) ينظر: صفحة: ٢٨٦ الفتاوى والدروس في المسجد الحرام للشيخ عبد الله ابن حميد.

• السؤال ما حكم من نوى العمرة من بيته وهو من أهل من مكة بدون أن يذهب إلى التنعيم، بل نوى الإحرام من بيته؟

الجواب: من أحرم من بيته وهو في مكة، أحرم للعمرة ولم يخرج إلى التنعيم فهذا عند جمهور العلماء عليه دم، لا بد أن يجمع في إحرامه بين الحل والحرم، لكن ابن القيم وابن تيمية يرون أن يجوز له أن يحرم من بيته.

ولكن الصواب الذي تدل عليه الأدلة أنه لا يحرم للعمرة إلا من الحل؛ بل أن يحرم من الحل، هذا الذي تشهد له الأدلة، أما ما جاء في حديث ابن عباس قال: «إن النبي ﷺ وقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشأم الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن، ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة»[1] قوله: «حتى أهل مكة من مكة ممن أراد الحج والعمرة» هذا إذا أراد الحج والعمرة جميعا، فالحج تحرم من بيتك؛ لأنك ستخرج إلى الحل وهي عرفة أو جمعت بين الحج والعمرة، تحرم من بيتك، لم يقل الرسول: ممن أحرم بالحج والعمرة، لو قال: أو العمرة صار صحيحا، أنك تحرم من بيتك، فبهذا تعرف أن الذي ينبغي أن تحرم للعمرة إذا كنت من أهل مكة من الحل لا من البيت، فمن أحرم من البيت من أهل مكة فهذا عليه دم، كما ذهب إليه الجمهور[2].

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه: (ح: ١٤٥٢).
(٢) ينظر: فتاوى ودروس في المسجد الحرام (ص٥٧٢) للشيخ عبد الله ابن حميد.

ومن ذلك أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفتي بعدم مشروعية الإشارة في الشوط الأخير من الطواف وإن كان المذهب بخلافه، ويفتي بصحة طواف الحامل والمحمول طوافا واحدا، وأنه يجزئ عنهما جميعا، والمذهب بخلافه، ويفتي بنقل الزكاة من بلد إلى بلد بعيد لوجود الفقراء أكثر حاجة، والمذهب بخلافه[(١)].

(١) **ينظر**: جريدة البلاد السعودية العدد: ٧٢٢٢ في ١٠/ ٣/ ١٤٠٣هـ مقابلة ابن الشيخ؛ الدكتور أحمد بن عبد الله ابن حميد.

المبحث السابع

منهجه مع النص ورده على من يخالفه

إن من معايير الفقيه الأساسية أن تكون لديه القدرة على فهم النص بقواعده وأصوله، وإنزاله على الحالة التي تمس الأمة وأفرادها من حيث المكان والزمان، ولا يخرج بغريب عما تقرر لدى جمهور الأمة في الاحتجاج، بل يحتج به بمنطوقه ومفهومه ومقاصده في محيط دلالاته المعروفة، كما لا يتعدى آثار الصحابة رضي الله عنهم لما أقرهم النبي ﷺ عليه، مع مراعاة أدب عرض الأدلة مع من يخالف في الاستنباط، ففي هذه المعايير العلمية الفقهية كان العلامة ابن حميد عمدة فقهاء عصره وفقه الله بها.

كما كانت للشيخ قدرة بالغةٌ على فهم مراد المستفتين، وإجابتهم على قدر سؤالهم، ووفق ما تقتضيه أعرافهم وأحوالهم، وليس من المبالغة أن يقال: إن الشيخ في هذا الجانب بحرٌ زاخر، ونهرٌ متدفق، وذهن متوقدٌ، ويدرك ذلك من استمع إلى فتاويه وأجوبته على أسئلة المستفتين، فإن الشيخ رحمه الله يحفظ السؤال ويعيده، ويدرك مراد السائل، ويجيب بما يقتضيه العرف والحال، مع ذكر الأدلة الشرعية الوافية لبيان الأحكام.

المطلب الأول: النص ومكانته في الاستدلال لدى الشيخ

كان الشيخ رحمه الله على عناية شديدة بالنص من الكتاب والسنة، فلا تجده

يورد مسألة إلا ويورد دليلها، وحين يقرّر المسألة، ويقرر أقوال العلماء فيها فإنه يختار ويرجح ما وافق الدليل.

يقول رحمه الله: "قال الحنابلة إن التلفظ بالنية سنة، وقالوا يستحب النطق بها سرًّا، فتقول في الصلاة: نويت أن أصلي لله، ولا شك أن هذا من البدع؛ فلم ينقل عن النبي ﷺ لا في حديث صحيح ولا حسنٍ ولا ضعيف، بل ولا موضوع أنه قال نويت؛ في حين أن الصحابة ينقلون عنه صفة صلاته حتى إنهم نقلوا عنه اضطراب لحيته، ونقلوا عنه أنه كان يسكت بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة، فسألوه: بأبي أنت وأمي ما تقول؟ قال: أقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي»[(١)].

فلو كان يقول نويت لسمعوه؛ لا سيما والصلاة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وقد قيل للإمام أحمد: تقول قبل التكبير شيء؟ قال: لا؛ إذ لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن أحدٍ من أصحابه. وابن تيمية يقول: "والله لو بقي أحدهم عمر نوح يفتش، ويبحث هل كان رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه يقول: نويت لم يجد، ولم يستطع أن يأتينا بحرف، والقرآن يرد هذه البدعة؛ وذلك أن الصلاة دين، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٦].

كل هذا يدل على أن التلفظ بالنية بدعة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٧١١)، ومسلم في صحيحه (ح: ٥٩٨).

(٢) ينظر: شريط رقم (٧) من شرح كتاب الصلاة من الروض المربع، وقد ذكر الشيخ هذا القول وهذه الأدلة في مواضع متعددة من فتاويه رحمه الله.

فيتبين بهذا التقرير الفصل المحكم من الشيخ رحمه الله أن الأحكام الشرعية إنما تبنى على الأدلة الصحيحة، فأي قول خالف الأدلة فإنه لا يُلتفت إليه أيًا كان قائله.

وقد اشتهر أن الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله مذهبي؛ بمعنى أنه ملتزم في أحكامه وفتاويه بالمذهب الحنبلي، ولا يخالفه، ولكن الواقع مخالفٌ لذلك؛ فمن يستمع لشروح الشيخ وفتاويه، ويقرأ كتبه ورسائله، سيجده أحرص ما يكون على إتباع الدليل أيًا كان قائله.

فبالرغم من قلة ما نقل إلينا من تراث الشيخ الفقهي وندرته، إلا أنه وبالاطلاع على اختيارات الشيخ في هذا البحث يتبين عدم صحة ما يقال من عدم مخالفته للمذهب الحنبلي، حيث تُبين هذه الاختيارات كيف كان رحمه الله يقرر مذهب الحنابلة، ثم يبين رأيه إذا كان مخالفًا له، مع ذكر الدليل الذي بنى عليه اختياره.

وهذا لا ينفي أن الشيخ رحمه الله كان حافظًا للمذهب، مستحضراً لرواياته، بل إنه يعدُّ ويصنَّف في كبار طبقات الحنابلة، وكان كثيراً ما يقول: ذهب أكثر أصحابنا[1] - يعني الحنابلة -، ولكن هذا لا يمنعه أن يقرر خلاف المذهب إذا تبين له الدليل.

يقول عنه أحد طلابه، وهو الشيخ محمد بن ناصر العبودي رحمه الله: "ولم يكن الشيخ مذهبيًّا؛ بمعنى أنه لا يخرج عن المذهب الحنبلي الذي كان يسير

---

(١) **ينظر**: على سبيل المثال (ص ١٥) وقف ووصايا.

عليه على وجه العموم؛ فدعوى أنه لا يخرج عن المذهب غير صحيحة، فكان يبحث عن الدليل في بعض المسائل، ولكن لا يدعو أو يتظاهر بترك المذهب؛ لأنه يخشى أن ينفلت الأمر بالنسبة للقضاة وطلبة العلم، فإذا كان يرى أن الراجح في مسألة معينة خلاف المذهب فإنه يقول: الراجح كذا، وهو أسعد بالدليل، وما يقال من بعضهم من وصف شيخنا الشيخ عبد الله ابن حميد بأنه مذهبيٌّ، فإن هذا غير صحيح، ولكنه لا يرى الخروج عن المذهب ضبطًا للأمور"(١).

وهذا ما سيتبين لنا جليًّا خلال هذا البحث بإذن الله.

ويقول عنه الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكان هناك تلاميذ ينقدون العلماء والفقهاء في إيراد مسائل أن يكون عليها دليل، فكلما طرحت مسألة سألوا: أين الدليل؟ فكان يقنعهم بما يحفظ من الأدلة أو الأقيسة"(٢).

ويقرر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دائمًا أن الحكم لا يبنى إلا على دليل، فإذ لم يكن ثمة دليل صحيح يعتمد عليه، فلا يمكن أن يُقَرَّر حكم في المسألة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "المالكية يرون أن إرسال اليدين في الصلاة أفضل من وضعهما على الصدر، ويذكرون في ذلك عن بعض الصحابة، ولكنني لا أعلم لهم دليلًا صحيحًا يعتمد عليه"(٣).

وبالرغم من تأثر الشيخ الكبير بشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله-

---

(١) **ينظر**: ملحق رقم (٢) (ص١١) من ضمن جوابه على خطابٍ سألته فيه عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **ينظر**: ملحق رقم (٤) (ص٢) من ضمن جوابه على خطاب سألته فيه عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) **ينظر**: شريط رقم (٨) من شرح كتاب الصلاة من الروض المربع.

وما يقررانه في اختياراتهما، وبالرغم من كثرة ما يوافقهما في اختياراته - كما سيتبين خلال هذا البحث - إلا أنه يبين دائماً أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم بشر يصيبون ويخطئون، فالأخذ باختياراتهما إنما يكون لموافقتها للدليل دون اعتبار لشخصيتيهما، وبين أيضًا أن الرد عليهما لا يكون إلا بدليل.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "ابن القيم كغيره بشر يصيب ويخطئ، وقد ذكرنا أنه غلط في بعض المسائل مع جلالته وقدره، ولا نستطيع أن نرد عليه ولا على غيره من الأئمة إلا بدليل، فلا أحد من العلماء معصوم، ولكننا لا نستطيع تخطئة أحد أو مخالفته إلا بعد النظر في الأدلة والتدقيق فيها، وقد نوافقه، أو نوافق غيره من الأئمة؛ لأن ما يقوله هو مقتضى ما يدل عليه الدليل"[1].

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يبين بعض أخطاء الأئمة، خاصة ما يكون لمخالفة الدليل، أو للاستدلال بأدلةٍ ضعيفةٍ، ويكون رده في غاية اللطف والأدب، والدعاء للأئمة المخطئين بالعفو والصفح.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "ابن حزم إمام، ولكن عنده شطحات وأخطاء رَحِمَهُ اللَّهُ وقد يستدل بأحاديث ضعيفة، ومن جملة ما يقوله ابن حزم - عفا الله عنا وعنه - في معرض الرد على الحنفية بعدما سبَّهم وشنَّع عليهم قال: تناقل الحنفية... ولكن كما قال الله في كتابة: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك:١١] فجعلهم من أهل النار، وهذا لا يجوز ولا ينبغي وقد جوَّز الأضحية بالعصفور والديك بدون دليل"[2].

---

(١) ينظر: شريط رقم (٩) من شرح كتاب الصلاة من الروض المربع.

(٢) ينظر: شريط رقم (٧) من شرح كتاب الصلاة من الروض المربع.

ومهما يكن من أمر، فإن الشيخ رحمه الله صاحب ملكة فقهية عالية، وإذا بسط القول في مسألة من المسائل فإنه يصورها تصويرا كاملا، ويذكر الأقوال والأدلة فيها، ترجح ما ذهب إليه.

والأصل في فتاوي الشيخ رحمه الله أن يذكر الحكم مع الدليل، ومن خلال تتبع واستقراء فتاويه رحمه الله فإنك تجد العناية بالدليل سمة بارزة لكل الفتاوى، وعلى سبيل المثال لا الحصر: سُئل عن أصل الجهر بالتهليلات العشر دبر صلاة المغرب والصبح، فأجاب رحمه الله:

أما الجهر بالتهليلات العشر دبر صلاة المغرب والصبح فالأصل فيه ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس "كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك"[(١)] يعني الجهر. ولما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم من صلاته يقول بصوته الأعلى: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد إلى قوله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[(٢)].

وفي هذين الحديثين دلالة واضحة على استحباب الجهر بالأذكار أدبار الصلوات الخمس، بما في ذلك التهليلات عقب صلاتي الصبح والمغرب، وقد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٨٥)، ومسلم في صحيحه (ح: ٥٩٤).
(٢) أخرجه مسلم صحيحه (ح: ٥٩٤).

استحب الجهر كثير من السلف والخلف، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، وهو المشهور في المذهب كما في الإقناع[(٢)] وغيره والله أعلم[(٣)].

وسُئل -عفا الله عنه- عن جواز نكاح المرأة البالغ الثيب بغير ولي، فأجاب: لا يجوز نكاحها إلا بولي، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها»[(٤)]، ولما روي من حديث عائشة رضي الله عنها: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وأيما امرأة نُكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل»[(٥)].

وهذا القول هو قول جمهور العلماء بل حُكي عن ابن المنذر أنه قال: لا أعلم عن أحد من الصحابة خلافه[(٦)].

ومذهب الإمام أبي حنيفة جواز عقد نكاح المرأة لنفسها بدون وليها،

---

(١) ينظر: الفتاوي الكبرى (٢/ ٢١٤).

(٢) ينظر: الإقناع مع كشاف القناع (١/ ٣٦٦).

(٣) ينظر: مذكرة (١) (ص٥٢) طهارة بخط صالح الغصن.

(٤) أخرجه: الدارقطني في سننه (٣/ ٢٢٧)، وابن ماجة في سننه (ح: ١٨٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٥٤٣٠) ٣/ ٢٩٤، والبيهقي في السنن الكبرى (ح: ١٣٤١٠)، وإسناده مختلف فيه، انظر: مصباح الزجاجة (٢/ ١٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (١١٠٢) ٣/ ٤٠٧ وابن حبان في صحيحه (ح: ٤٠٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (ح: ١٣٤٩٥)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٢٦)، والحاكم في مستدركه (ح: ٢٧٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن حجر في فتح الباري (٩/ ١٩٤) لابن حجر.

(٦) ينظر: فتح الباري (٩/ ١٨٧).

لكن السنة واضحة في عدم جواز ذلك لما ذكرنا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، وكما هو قول جمهور العلماء، ولا دليل مع من قال بتزويج المرأة نفسها. والله أعلم[١].

كما سُئل رحمه الله هل يصح نكاح الثّيب البالغ بغير رضاها، فأجاب: لا يصح تزويجها بدون رضاها، لقوله ﷺ: «الأيّم أحق بنفسها من وليها»[٢]، فدل على اشتراط رضاها، وأن إجبارها على غير من ترضاه لا يصح. والله أعلم[٣].

وبهذا يتبين مدى عناية الشيخ رحمه الله بالنص في الاستدلال، وأنه يبني عليه ما يرجحه، ويرد ما خالفه، ويرى أنه لا يكون في مقابل النص شيء، وكأنه يعمل بقول الأئمة -رحمهم الله- "إذا صح الحديث فهو مذهبي"[٤]. والمتتبع لفتاوى الشيخ، وشروحه يدرك مدى عنايته رحمه الله بذلك.

المطلب الثاني: تقريره للمسائل بالإجماع والاحتجاج به

إن من منهج الشيخ في الاستدلال أن يذكر الإجماع في المسألة إن كان فيها إجماع، ويعدُّه دليلًا من الأدلة التي يوردها في المسألة التي يستدل لها.

---

(١) ينظر: فتاوي النكاح (١) (ص١٨) بخط الشيخ صالح الغصن.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ١٤٢١).
(٣) ينظر: فتاوي النكاح (١) (ص١٨) بخط الشيخ صالح الغصن.
(٤) اشتهر هذا القول عن الشافعي رحمه الله، انظر: المجموع (١/ ١٣٨)، شرح البهجة (٢/ ٣٣)، وتحفة المحتاج (١/ ٥٤).

يقول رحمه الله في سياق استدلاله على تحريم الفوائد المشروطة في القروض: "...وقد اجمعت الأمة على تحريم الفوائد المشروطة في القروض، فممن حكى الإجماع الإمام ابن عبد البر(١)، وابن المنذر(٢)، وموفق الدين ابن قدامة(٣) وغيرهم"(٤).

ويقول رحمه الله مجيبا من سأله عن قول الواقف: من مات عن ولدٍ فنصيبه لولده، هل دخل أولاد البنات أم لا ؟: "وأما إذا قال الموقف من مات عن ولد فنصيبه لولده، فقد حكى غير واحد من الأصحاب الإجماع في دخول أولاد البنات والحالة هذه(٥). والله أعلم(٦).

وإذا كان الإجماع كما عرَّفه الأصوليون بأنه: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصرٍ على حكم شرعي(٧)، فإن الشيخ رحمه الله يستدل بما يذكره

---

(١) ينظر: التمهيد (٤/ ٦٨) لابن عبد البر.
(٢) ينظر: المغني (٤/ ٢١١) لابن قدامة، وحاشية ابن القيم (٩/ ٢٩٦).
(٣) ينظر: المغني ٤/ ٢١١، وقد ذكر القرطبي هذا الإجماع بقوله: "أجمع المسلمون نقلا عن نبيهم ﷺ أن اشتراط الزيادة في السلف ربا، ولو كانت قبضة من علف" انظر: تفسير القرطبي ٣/ ٢٤١.
(٤) مذكرة (٨) (ص٥٩) بيع، بخط الشيخ صالح الغصن.
(٥) ممن نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (٤/ ٣٠٧).
(٦) ينظر: وقف وصايا (٥) (ص١٦).
(٧) ينظر: كشف الأسرار (٣/ ٢٢٧) لعبد العزيز البخاري، والتقرير والتحبير (٣/ ٨٣) لابن أمير الحاج، وشرح التلويح على التوضيح (٢/ ٨١) للتفتازاني، وقد عرف بتعريفات أخرى كثيرة.

الأئمة من الإجماع في المسألة على وجه العموم، وإذا كانت المسألة إجماع من الصحابة، فإنه يفصل في ذلك، وينص عليه، لاسيما وأن إجماع الصحابة من أعلى مراتب الإجماع(١).

يقول رحمه الله في معرض إجابته على سؤال عن حد اللواط: "وقد عرفت مما تقدم اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على قتل اللوطي الفاعل والمفعول به إذا كانا بالغين، أو أحدهما بالغا(٢)، وإنما في كيفية قتله"(٣).

وإذا كان الشيخ رحمه الله يستدل على مشروعية الأحكام بالإجماع في كثير من أجوبته وفتاويه، ويقرِّر ما يستدل له بالإجماع، فإنه قد يردُّ حكما معينا لمخالفته الإجماع.

سُئل رحمه الله: إذا اشترى رجلٌ نخلةً، واشترط على بائعها أنها مقسمة(٤)، ثم

---

(١) بل ذكر بعضهم أنه مثل الآية والخبر التواتر، ينظر: كشف الأسرار ٣/ ٢٩١، شرح التلويح ٢/ ١٠١.

(٢) ممن نقل الإجماع ابن قدامة، وينظر: المغني (٩/ ٥٨)، وينظر: السياسة الشرعية إصلاح الراعي والرعية (ص١٣٧) لابن تيمية، وأنكر ابن حزم هذا الإجماع، وضعف جميع ما ورد فيه، وينظر: المحلى ٢/ ٣٨٨ وما بعدها، في المسألة خلاف كبير مختصره: أن الفقهاء اختلفوا في عقوبة اللائط على ثلاثة.

(٣) ينظر: نفقة وجنايات (٣) (ص٥٠).

(٤) ينظر: التقسيم: أن يشترط مشتري النخلة على بائعها أن يعمل عليها وليس له شيء من ثمرها، هكذا ورد مفسرا في أحد فتاوى الشيخ رحمه الله ينظر: مذكرة بيع (٨) (ص٧) بخط صالح الغصن.

مات البائع، وانتقل ملكه إلى ورثته، أو إلى غير هم، فهل يصح ذلك؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن مثل هذا البيع لا يصح والحالة هذه، ولا أرى أحدا من أهل العلم صحح مثل هذا، بل قد حكى بعضهم الإجماع(١) على عدم الصحة، لكن إذا وجد مثل هذا فالذي أرى أن المشتري يرجع على بقية أهل الملك بقدر ما يأخذه الفلاح من النخلة المذكورة، واشتراط التقسيم نرى بعض القضاة يصححه ولم نعلم له وجها، كما ذكرنا من حكاية بعضهم الإجماع على عدم الصحة - والله اعلم -(٢).

فالحاصل من ذلك كله أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مطلع على مواضع الإجماع في كثير من المسائل، ويذكر -في الغالب- من نقل الإجماع من الأئمة، ويستدل بالإجماع على مشروعية ما يراه من الأحكام إن كان فيها إجماع، وإذا كان الحكم مخالفا للإجماع فإنه يبين أن من أوجه ردِّه مخالفته للإجماع.

المطلب الثالث: احتجاجه بفتاوى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

إن منهج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستدلال أن يذكر أقوال الصحابة في المسألة، وإن كان فيها دليل من الكتاب أو السنة.

فقد سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن جواز السلم في الحيوان.

---

(١) لم أقف على هذا الإجماع.

(٢) **ينظر**: مذكرة بيع (٨) (ص٢٤) بخط الشيخ صالح الغصن.

فأجاب: لا بأس به على الصحيح من المذهب[(١)]؛ لأنه ينضبط بالصفة، وهذا قول ابن مسعود[(٢)] وابن عباس[(٣)] وابن عمر رضي الله عنهم[(٤)]، ولأن النبي ﷺ استسلف من رجل بكرًا. رواه مسلم[(٥)]. والله أعلم"[(٦)].

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، بل هو الأصل في جميع فتاويه، واختياراته، وما يستدل له من المسائل؛ فإنه يذكر -في الغالب- ما فيها من أقوال الصحابة.

وأما إذا لم يكن في المسألة نصٌّ من الكتاب أو السنة، وصح فيها قولٌ عن الصحابة، فإنه يستدل بقول الصحابة، ويرجِّح به ما ذهب إليه.

فقد سُئل رحمه الله عمن حلف بالطلاق، وهو لا يقصد الطلاق بل يقصد الحث أو المنع هل يقع به طلاق أو لا؟

فأجاب: بأنه لا يقع به الطلاق، وإنما تجب عليه كفارة يمين، واستدل على ذلك بفتوى الصحابة في ذلك، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة،

---

(١) **ينظر**: المغني ٤/ ١٨٦، الإنصاف ٥/ ٨٥

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٨٨٨) ٦/ ٢٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ١٦٩ والمنقول عن ابن مسعود كراهته.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٨٩٠) ٦/ ٢٢.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٨٨٣) ٦/ ٢٢ وابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ١٩٦، وعبد الرزاق في المصنف (١٤١٥٤) ٨/ ٢٥.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ١٦٠٠).

(٦) **ينظر**: مذكرة (٨) (ص٧٨) بخط صالح الغصن.

وعائشة، وأم سلمة، وحفصة، وزينب -رضوان الله عليهم -[1].

وسُئل رحمه الله عن جواز الوقف على الذرية، فأفتى بجوازه إذا كان الموقف على الذرية ببعض ماله، ولإرادة الصدقة والإحسان، ودون قصد منع الآخرين من الورثة، ولا منعهم من التصرف فيه، ولا خشية الفقر عليهم، مستدلاً بأن الزبير رضي الله عنه أوقف دوراً له في المدينة لبنته المردودة[2]، فإن استغنت بزوجٍ فلا شيء لها[3].

والأمثلة على ذلك كثيرة، والشاهد منها أن الشيخ رحمه الله على اطلاع واسع بآراء الصحابة وأقوالهم، وكان يستحضر هذه الأقوال في كثير من فتاويه وشروحه، فكثيرا ما يسأل عن الدليل في مسألة ما فيقول: وردت فيها آثار عن الصحابة، وبه يتبيَّن أن من منهج الشيخ في الاستدلال الاحتجاج بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تقرير الشيخ للقياس واحتجاجه به

لما كانت نصوص الكتاب والسنة محصورة، ومواضع الإجماع قليلة، والوقائع التي تقع أو يتوقع وقوعها لا نهاية لها كان على الأئمة والمفتين إلحاق المسائل بأشباهها، وردها إلى قواعدها العامة فيما لا نص فيه، ولهذا شرع

(١) **ينظر**: مذكرة طلاق (٢٩) (ص٢٥) بخط صالح الغصن.

(٢) المردودة: قال أبو عبيد: قال الأصمعي: المردودة: المطلقة، انظر: سنن البيهقي (٦/ ١٦٦ح: ١١٧١٠).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (ح: ١١٧١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٥٠).

القياس، الذي هو إلحاق فرع بأصلٍ في حكم شرعي لعلةٍ جامعة بينهما[١].

وإن من منهج الشيخ رحمه الله في الاستدلال إذا لم يكن في المسألة نصّ من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة، أن يلحق المسائل بأشباهها عن طريق القياس.

فقد سُئل رحمه الله عن الدية في الذراع والساق إذا كسر، وجُبِرَ مستقيمًا على حالته السابقة، فأفتى بأن في كل واحد من الذراع والساق في هذه الحالة بعيرين؛ قياسا على الزند إذا كسر؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه "كتب أن في الزند بعيرين"[٢]، فقياس عليه الذراع والساق؛ لأنها مثله[٣].

ويقول رحمه الله: "ويجوز التنفل للمسافر الماشي على قدميه قياسًا على الراكب، فإذا كنت مسافرا على قدميك، وتريد أن تصلي آخر الليل، أو الضحى فلا مانع أن تصلي وأن تمشي على قدميك، ولكن تستقبل القبلة وتكبر ثم تنصرف إلى الجهة التي تسير عليها وتقرأ الفاتحة وأنت تمشي، وهكذا بقية الصلاة، وإذا أردت أن تركع تتجه لجهة القبلة ثم تكمل مع جهة سيرك، ثم إذا

---

(١) اختلف الأصوليون في تعريف القياس وحده، وبيان أنواعه وحجيته وللاستزادة انظر: البحر المحيط (٧/ ٥) وما بعدها، شرح التلويح على التوضيح (٢/ ١٠٥) وما بعدها، التقرير والتحبير (٣/ ١١٧، ١١٨)، حاشية العطار (٢/ ٢٤١) وما بعدها، الفصول في الأصول للجصاص (٤/ ٢١) وما بعدها، المستصفى (٢٨٠، ٢٨١)، كشف الأسرار (٣/ ٣٠٠)، وما بعدها، شرح الكوكب المنير ٤٧٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح: ٢٧٧٧٩).

(٣) ينظر: مذكرة نفقات وجنايات (٣) (ص٣٢) بخط صالح الغصن، وهو المذهب عند الحنابلة، ينظر: المغني (٨/ ٣٧٥)، الفروع (٦/ ٣٧)، الإنصاف (١٠/ ١١٥)، شرح منتهى الإرادات ٣/ ٣٣٣، كشاف القناع ٦/ ٥٨، مطالب أولي النهى ٦/ ١٣٥.

أردت أن تسجد تنصرف إلى القبلة وتسجد، ثم تكمل مع جهة سيرك وهكذا، هذا للماشي على قدميه، أما الراكب فلا يمكنه ذلك فيصلي كل الصلاة على حاله"(١).

وبهذا يتبيَّن أن الشيخ رحمه الله يستدل بالقياس، ويحتج به، وإذا لم يكن في المسألة نصٌّ من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة فإنه يلحق المسائل بأشباهها عن طريق القياس.

المطلب الخامس: طريقة عرضه للأدلة والخلاف

من خلال تتبع فتاوى الشيخ وشروحه ورسائله وكتبه نجد اختلافًا في طريقة عرضه للأقوال والأدلة في المسائل حسبما يقتضيه الحال والمقام والمخاطب؛ فإنه يدرك رحمه الله أن الكتاب الموجه للناس عامة يختلف عن الفتوى الموجهة لشخصٍ بعينه، ويختلف عن الخطاب الموجه لعالم، أو طالب علم.

فالغالب في فتاويه رحمه الله أن يذكر الحكم الذي يرجحه، ثم يذكر معه الدليل؛ وذلك لأن عامة الناس بحاجة إلى الحكم الذي يسألون عنه أكثر من حاجتهم لعرض الأقوال والخلاف في المسألة، والمتتبع لفتاويه يرى ذلك جليًّا.

وإذا كانت الفتوى، أو الحكم موجَّهًا لطالب علمٍ، أو لقاضٍ من القضاة يسأل عن حكم معين؛ فإنه يذكر الأقوال في المسألة بالتفصيل، وينقل جزءا من

---

(١) **ينظر**: شريط رقم (٦) من شرح كتاب الصلاة من الروض المربع.

أقوال الأئمة فيها، ثم يذكر أدلتهم، ثم يذكر ما يرجحه مع الدليل؛ لأن من المناسب أن يطلع طالب العلم على الأقوال في المسألة، ويطلع على أدلتها حتى يكون من الحكم على بصيرة.

كتب إليه بعض القضاة يسأله عن المدعي إذا لم يجد بينة، وتوجهت اليمين على المدعى عليه، هل يقضى عليه بالنكول، أم ترد اليمين على المدعي؟

فأجاب: المذهب يقضي على المدعى عليه بالنكول، وهو مذهب أبي حنيفة؛ لأن النبي ﷺ قال: (البينة على المدعي، واليمين على من أنكر)؛ فجعل اليمين في جانب المنكر؛ لأن الأصل براءة الذمة.

والرواية الثانية عن أحمد: رد اليمين إلى المدعي إذا نكل المدعى عليه؛ لما روى الدارقطني من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ رد اليمين على الطالب؛ أي المدعي، وهذا القول اختاره ابن القيم في الطرق الحكمية، ووجهه: أن المدعي لو أقام شاهداً لا يقضى له بشاهده حتى ينضاف مع شاهده يمين المدعي؛ فإذا كان لا يحكم له بالشاهد وحده، فكيف يحكم له بمجرد النكول، فلا بد مع نكول المدعى عليه من يمين المدعي.

والشيخ تقي الدين فصّل في هذه المسألة فقال برد اليمين في بعض الصور، ولم يقل بها في صور أخرى، وهو أنه قال إن كان العلم بالمدعى به من جهة المدعي ردت عليه اليمين، كمن ادعى على آخر بأنه أقرضه، أو باعه، فإن كان العلم هو من جهة المدعى عليه، والمدعي غير عالم بالمدعى به فلا ترد اليمين، كما لو ادعى وصيٌّ، أو الورثة على آخر بحق لمورثهم فهذه لا ترد اليمين

عليهم، بل يحكم على المدعى عليه بمجرد النكول، فاتضح من هذا أن من نكل عن اليمين، وهو إنما يحلف على نفي العلم على فعل الغير فلا يقضى عليه بالنكول كهؤلاء الورثة، أو الوصي لو امتنعوا لا يقضى عليهم بالنكول - والله أعلم -[1].

وأما منهج الشيخ في شرحه للمتون: فإن الطالب يقرأ عليه في المتن ثم يقوم الشيخ بشرح عبارة الماتن، ويوضح ما فيها من غموض، ثم يذكر الأقوال في المسألة إن كان فيها أقوال، ثم يذكر الأدلة، وإذا لم يكن للشيخ رأي فيما يشرحه فإنه يقتصر على شرح العبارة، وأما إذا كان له رأيٌ فإنه يذكره مدعومًا بالأدلة.

وأما في ردوده: فإن الشيخ يعتمد على عرض رأي المخالف وما قاله، ويفنِّده جزءًا جزءًا، فيعرض في المقدمة جزءًا من قوله، ثم يسوق المخالفات التي يرى الشيخ أن المخالف وقع فيها، وذلك على شكل أجزاء، ويرد على كل جزء بعد عرضه رداً مفصلاً بالأدلة والحجج والبراهين، بأسلوب مهذب رصين، ويتضح ذلك جليًا في كتابي: "غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود" و"إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويز ذبح الهدي قبل وقت نحره"، حيث يرى القارئ لهذين الكتابين أن الشيخ رحمه الله كان يقول: جاء في صفحة كذا ما نصه:... ثم يسوق النص، ثم يورد الرد عليه، ثم يورد نصًا آخر، ثم يرد عليه، وهكذا حتى نهاية الكتاب، وربما ختمه بخاتمة يسيرة

(١) ينظر: مذكرة (٤) القضاء والشهادات (ص٦٢، ٦٣).

تلخص ما ذكره، وتدعو المخالف إلى قبول الحق بعد بيانه بأسلوب مهذب وبليغ.

وأما في كتب الشيخ ورسائله: فإنه يحشد فيها أقوال العلماء، ونصوص أقوالهم، وأدلتهم، ويذكر رأيه، ويذكر الأدلة التي ترجح ما ذهب إليه بتوسع، وإذا كان في الأحاديث التي يذكرُ رواياتٍ متعددة فإنه يذكرها إذا كان فيها ما له تعلق بالرأي الذي يستدل له، ويذكر درجات الأحاديث من حيث القوة والضعف، وأقوال أهل الشأن فيها، وإذا كان تبويب البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من أصحاب الحديث يخدم المسألة، ويدل على حكم، أو قول فيها فإنه يذكره، ويذكره مع ذكر الحديث، ويقول: بوَّب له فلان بكذا، وفلان بكذا.

ويتضح هذا المنهج جليًا في رسالة: "تبيان الأدلة في أحكام الأهلة"، و"كتاب اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب" وغيرها من الكتب والرسائل.

فليس منهج الشيخ واحدًا في عرضه للمسائل، والاستدلال لها، وهذا من فقه الشيخ رحمه الله إذ أن أفهام الناس ومداركهم ومقاماتهم تختلف، فناسب أن يختلف أسلوب الطرح حسبما يقتضيه الحال.

المطلب السادس: ملكته في الاستنباط

كان الشيخ رحمه الله على مرتبةٍ عاليةٍ من القدرة على الاستنباط، وبيان علل الأحكام ومآخذها، وما يترتب عليها.

سئل رَحِمَهُ اللهُ ما الحكمة في رد صاع من تمر عمّا حلب من لبن المصرَّاة[(١)]؟ وما الحكمة أيضًا في جعل هذا الصاع مقدراً لا يزيد ولا ينقص بزيادة اللبن ونقصه؟، وما الحكمة فيها لو ردَّ لبنًا مثله ألا يلزم قبوله؟ وما الحكمة لو رد صاعًا من بر، أو غيره من قيمة اللبن ألا يجبر على أخذه؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب: بأن الشارع الحكيم جعل عن اللبن تمرًا دون غيره؛ لما بينهما من المشابهة الظاهرة، وهو أن اللبن قوتٌ ينتفع به، ويتغذى به، ولا يحتاج إلى طبخ ولا إلى كلفة، وكذلك التمر، وخُصِّص التمر دون ما يماثل اللبن من مثله؛ لكون التمر متيسّرا لا يحتاج إلى كلفة، بخلاف اللبن فربما لا يوجد عند كل أحد، وقُدِّر للتمر مقدارٌ معلومٌ، وهو الصاع مع قطع النظر عن كثرة اللبن وقلّته؛ لما في هذا التقدير للتمر من قطع النزاع والشقاق، أما اللبن فإنه يزيد وينقص، فجعل الشارع لذلك مقدارا معلوما، والشقاق من دعوى قلة اللبن وكثرته، هذا ما ظهر لي - والله أعلم -[(٢)].

فالشيخ هنا لا يبيِّن الحكمة من رد التمر عوضًا عن اللبن في المصرَّاة فحسب، بل يبين أن في التقدير بالتمر قطعًا للنزاع والشقاق؛ لأنه لا يختلف زيادةً أو نقصا، وهو استنباط بديع يدلُّ على ملكة الشيخ الاستنباطية للحِكَمِ والأحكام.

---

(١) المصرّاة: هي الناقة أو البقرة أو الشاة يصرّى اللبن في ضرعها؛ أي يجمع ويحبس، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٧) لابن الأثير.

(٢) **ينظر**: مذكرة بيع (٨) (ص١٠).

كما أن للشيخ قدرةً على استنباط أحكام الأمور المعاصرة؛ وذلك بتكييفها، ثم تنزيلها على الأدلة الشرعية.

سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ هل يجوز بيع الورقة فئة المائة ريال بخمسين ريال فضة أم لا؟

فأجاب: هذا البيع لا بأس به، لأن النبي ﷺ نهى عن بيع الفضة بالفضة إلا مثلًا بمثل(١)، والورق المعروف ليس بفضة، ولا ينتفع به كالفضة، وسواء كان بمعنى العروض، أو الفلوس، لأن كلاً منهما يباع بالفضة متفاضلًا(٢).

كما كانت للشيخ قدرة بالغةٌ على فهم مراد المستفتين، وإجابتهم على قدر سؤالهم، ووفق ما تقتضيه أعرافهم وأحوالهم.

وليس من المبالغة أن يقال: إن الشيخ في هذا الجانب بحرُ زاخر، ونهرٌ متدفق، وذهن متوقدٌ، ويدرك ذلك من استمع إلى فتاويه، وأجوبته على أسئلة المستفتين، فإن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يحفظ السؤال، ويعيده، ويدرك مراد السائل، ويجيب بما يقتضيه العرف والحال، مع ذكر الأدلة الشرعية الوافية لبيان الأحكام.

سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن قول بعض العامة عن امرأته: "ماهيب معي" أو "أنها لو كانت معي ما خليتها تنحدر للزبير".

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٢٠٦٨)، ومسلم في صحيحه (ح: ١٥٨٤).
(٢) مذكرة بيع (٨) (ص٧١).

و"إني مفارقها"[(١)] هل هذا من الكناية في الطلاق؟

فأجاب: الذي أرى وقوع الطلاق بمثل هذا؛ لأن العادة والعرف الجاري بين العامة أنهم يريدون بهذا الطلاق، فهم لا يفرقون بين الصريح والكناية، فإذا عرف مراد المتكلم، وقصده من لفظه، وما يريد به ثبت له مقتضاه - والله أعلم -[(٢)].

وسُئل رحمه الله فيما إذا قال رجل لآخر: اكتب طلاق زوجتي طلاق السنة، ولم يزد الزوج على هذا.

فأجاب: الظاهر إن هذا توكيل من الزوج للكاتب في طلاق امرأته، فإذا كتب الوكيل ما أمره به موكله وقع طلاق السنة، وإذا لم يكتب، أو أن الموكل عزله قبل أن يكتب فلا طلاق حينئذ؛ فإن غرض الزوج في قوله: اكتب طلاق زوجتي توكيل الكاتب في إيقاع الطلاق على زوجة موكله، وعرف الناس ومقاصدهم لابد من مراعاتها، واعتبارها في مثل هذا - والله أعلم -[(٣)].

وسُئل رحمه الله عن رجلٍ له أرضٌ متسعة بين بيوت، وقد استعملوها لإلقاء القمامة ونحوها، فهل تثبت وقفيتها بذلك؟

فأجاب: لا تثبت وقفيتها بترك مالكها لها هذه المدة، واستعمال الجيران لها بإلقاء زبل بيوتهم بها؛ لأن مالكها لم يوقفها، وإنما العادة جارية بأن الأرض

---

(١) هذه الألفاظ من كنايات الطلاق والمفارقة عند بعض العامة، وقوهم: "ماهيب معي"، أي ليست معي، وهي من الألفاظ العامية.
(٢) ينظر: مذكرة طلاق (٢).
(٣) ينظر: مذكرة طلاق (٢) (ص٢٦).

يلقي فيها جيرانها كناسة بيوتهم إذا وجدوا متسعًا لذلك، ومثل هذا ونحوه لا يثبت وقفا، أشبه ما لو مر الناس مع ملك زيد؛ لتهدم جداره، فلا يثبت بهذا طريق؛ لعدم إذن المالك فيه -والله أعلم-(١).

كما سُئل - في الباب نفسه - عن رجلٍ له مسكن محاذٍ طريقا ضيقًا غير نافذ، فهدمه وأخذ ما فيه من خشب وطين، فكان سعةً للطريق مدة خمس وعشرين سنة تقريبا، ثم اليوم أراد بناء المسكن على حاله، زعمًا منه أن تركه له سابقا هو لأجل عمارته متى شاء، فخاصمه أهل الدرب أن لا يتعرضه والحالة هذه؟

فأجاب رحمه الله: صاحب المسكن هو على ملكيته لأرضه، وتركه له هذه المدة غير مخرجة لها عن يده، ما لم يثبت أنه أوقفها سعةً للطريق؛ لأن مثل هذا لا تثبت وقفيته؛ لأن الوقف إنما يثبت بالقول، أو الفعل الدال عليه دلالة عامة، ومثل هذا لم يكن دلالته عامة؛ فإن الإذن الخاص لا يكون به واقف؛ لوقوعه على غير الموقوف، فلا يفيد دلالة الوقف، مع أنه لم يأذن وإنما وجد منه السكوت فقط - والله تعالى أعلم-(٢).

ومن الجوانب المتعلقة بالاستنباط لدي الشيخ قدرته على استنباط الأحكام الدقيقة من الأدلة؛ فإن الشيخ - رحمه الله قد يستخرج من الدليل الواحد أحكاما متعددة، وقد يستدل للمسألة التي يرجحها بدليل لا يخطر على بال، يكون في غاية الجمال والدقة في الاستدلال.

---

(١) ينظر: مذكرة (٥) وقف وصايا.

(٢) ينظر: (ص٦) مذكرة وقف وصايا.

سُئل رحمه الله عن إتلاف كتب البدع والخرفات وآلات المعازف ونحوها، إذا قلتم بجواز إتلافها فهل يقتصر على ما كان محذورا أم يعم الشيء كله الكتب المجلدة، فهل يضمن الجلد والورق الأبيض؟

فأجاب الشيخ بذكر أدلة من قال بعدم الضمان للمحذور فحسب، وأدلة من قال بعدم الضمان للكل، ثم استدل هو لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠].

ثم ذكر وجه الدلالة من هذه الآية بقوله: "إذا كان هذا في المجاورة المنفصلة فكيف المجاورة التي صارت جزءا من أجزاء المحرم أو لصيقة به"[(١)].

يقول الشيخ عبد الله بن جبرين عن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد -رحمهما الله-: "كنا نحضر درسه ونتعجب من فوائد يستنبطها من الدروس، سواء في التفسير أو في العقيدة أو في الحديث أو في الأحكام أو في اللغة حيث إن له تمكنا في ذلك كله[(٢)].

(١) ينظر: مذكرة ٦: (ص٢٢-٢٣).
(٢) ينظر: مذكرة خطاباته (ص٢).

المبحث الثامن

مكانته العلمية

كان سماحة الشيخ يتمتع بشخصية جذابة، تتجلى في مهابته ووقاره النابعين من علمه الغزير وتطبيقه لمسالك العلماء، واحترامه للعلم وأهله، وتقديره لكل من يُظهر اهتماما به، أو تبدو عليه ملكة أو موهبة.

وبالنظر إلى التكوين العلمي لسماحة الشيخ، والتأمل في أهم سمات حضوره العلمي، نلاحظ أن العامل الأول الذي يسبق كل العوامل ويتقدمها القرآن الكريم، فبه ابتدأ علمه وأينع عقله؛ لأنه أشرف العلوم ومفتاحها، فقد أولى الشيخ كتاب الله تعالى كل عنايته، وكرس له همته، فكان صاحبه طول حياته، صاغ به - بفضل الله - نفسه، فاستوحاه في سيرته، وترسم خطاه، وقطع به ليله، وتدبره واسترشد به، وبنى عليه معارفه وعلومه، ليقينه بأنه غذاء القلوب وعلاج النفوس.

أما آخر حياته فقد أكثر من تلاوته وتدبره والصلاة به آخر الليل، فكان يختمه تلاوة كل أسبوع أو أقل من ذلك، كما يؤم به في صلاة التراويح في بعض السنوات.

كما تميز الشيخ بشخصيته الفقهية الاستنباطية النادرة الواعية الحاضرة الرصينة؛ فمع أن الشيخ رحمه الله تفقه في مذهب الإمام أحمد وحفظ متونه واستوعب شروحه، ودرسه ودرَّسه، وانتسب إليه، لكن ذلك لم يحمله على التعصب أو الانغلاق في فقهه وفتاواه وأقضيته؛ بل كان يتحرى الدليل ويتمثل الوقوف بين يدي الله عز وجل.

ولقد منحه الله بصر الفقيه وأداة المجتهد فهو يحترم مذاهب الحق، ويحفظ لكل ذي حق حقه، ويقدر لكل ذي منزلة منزلته، فكان كثيرا ما ينظر في مختلف المذاهب وآراء أصحابها، ويأخذ ما يدين الله به مما راه أسعد بالدليل وأظهر في الحجة وأوفق مع النص.

ومن أجل هذا تراه مهر في المذاهب، وكل ذلك أظهر فيه ملكة حل معضلات المسائل، وسوف يتضح ذلك من علمه في الأبواب المتعلقة بالمسائل والفتاوى والأقضية.

ومن أجل ذلك انتدبه الملك عبد العزيز رحمه الله إلى كل من مكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة للنظر في قضايا متأخرة مستعصية لدى المحاكم فنظر فيها وأنجزها، وحمدت سيرته فيها، فكان مثار الإعجاب علما وعقلا وحكمة وحكما وعدلا.

لقد كان رحمه الله من كبار أهل العلم ذكاء وحفظا، واستقلالا في الرأي وقوة في الحق، لا يخشى من إبداء رأيه، واضحا في كل مسألة يبحثها، ولهذا كان له مواقف ومحاورات ونقاشات وردود مع بعض أهل العلم في مؤلفات ومقالات ومراسلات ومكاتبات في شتى وسائل المعارف[1].

المطلب الأول: قوته القضائية

أولا: الشيخ عبد الله ابن حميد عُرف بالقوة ونصاعة الرأي، والفهم لدقائق

(١) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام (ص٢٧-٢٩) لإبراهيم الحمدان.

الأحكام الفقهية وأبعادها، وما ركب في طبعه من الحزم والجزم والحسم، وإدراك أغوار الرجال وتقييمهم وتفحيصهم، وأحوال الخصماء وتشخيصها وتمحيصها من لحن حوارهم وأساليب عرضهم، كما عُرف الشيخ بتقدير القضايا النازلة من حيث المقاصد الشرعية في ضوء كتاب الله وسنة النبي ﷺ وآثار السلف الصالحين وفقههم.

ولهذا اختاره الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله رئيسًا للمجلس الأعلى للقضاء، فصدر الأمر الملكي رقم: (أ/٢٤٨) في ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ بتشكيل هذا المجلس وتعيين الشيخ عبد الله ابن حميد رئيسا له برتبة وزير[(١)]، وهو بذلك أول رئيس يشغل هذا المنصب الذي يعد مرجعًا لجميع القضاة في المملكة، فاستمر في هذا المنصب حتى وافته المنية[(٢)].

ثانيا: منهجه في القضاء يكشف عن فرادة شخصيته القضائية.

روى الشيخ سليمان العثيم عمن حضر عند الشيخ عبد الله ابن حميد في مجلس القضاء، وقد توافقت أقوالهم على منهجه: أن الشيخ يفتح بابه مرتين في اليوم الواحد؛ الأولى: أول النهار بعد نهاية الدرس في الجامع، ثم يمكث إلى قرب أذان الظهر، والمرة الأخرى: بعد صلاة العصر، أي عقب انتهاء درسه الذي يلقيه في الجامع، حيث يمكث إلى غروب الشمس، وفي كلا الوقتين يدخل كل من له حاجة من تقاضي أو استفتاء أو استشارة، لكن غالب من يحضر

(١) ينظر: جريدة أم القرى العدد (٢٥٩٨) في ١٩ شوال ١٣٩٥هـ.
(٢) ينظر: تاج القضاة (ص١١٢) لسلميان العثيم.

أصحاب الخصومات، وربما فتح الباب للخصماء في غير هذين الوقتين لضرورة أو نازلة أو لمسافرين ونحو ذلك، ويجلس الشيخ وعنده كاتبه محمد بن رشيد الربيش رحمه الله، كما يحضر عنده عدد من الخوياء[1] لتنظيم الناس وإحضار من تلكأ عن الحضور من الخصوم إلى مجلس القضاء، وتنفيذ ما يقضي به الشيخ من أحكام.

ثم يقول الشيخ: من له دعوى يقترب فيقترب الخصوم الأول فالأول، فإذا جلسوا أمامه سأل الشيخ قائلا: من المدعي؟ وبعد الإجابة من أحدهما أنه المدعي يقول الشيخ: ما اسمه؟ فإذا قال فلان بن فلان، قال الشيخ: أنت فلان بن فلان، وإذا لم يكن الخصم حاضرا قال الشيخ لأحد الخوياء: اذهب مع هذا الرجل واحضر خصمه، أما إذا كانوا حاضرين وقد سألهم عما تقدم فيواصل الشيخ قائلا للمدعي: ما هي دعواك يا فلان؟

ثم يتكلم المدعي والشيخ مطأطئًا رأسه في الغالب مستجمعا جميع انتباهه للمتكلم، فإذا سكت المدعي قال له الشيخ: هل انتهت دعواك يا فلان؟ فإذا قال نعم: قال أعد دعواك، فيعيد والشيخ منصت، فإن اختلف في بعض قوله الثاني عن الأول، قال له الشيخ: ألست تقول قبل قليل كذا وكذا؟ حرر دعواك يا ولدي ولا تختلف، فإذا انتهت من المرة الثانية قال له الشيخ: هل انتهيت؟ فإذا قال نعم، قال له الشيخ اسمع أنت تدعي كذا وكذا، ثم يعيد عليه دعواه بتفاصيلها، فإذا انتهى الشيخ من إعادة دعوى المدعي قال للمدعي تذكر يا

---

(١) الخوياء: المراد بهم من يقوم بمهمة الشرطة في ذلك الزمان.

ولدي هل بقي من دعواك شيء؟ فإذا قال: لم يبق شيء، قال له الشيخ: لا تتكلم حتى آذن لك، ثم يلتفت إلى المدعى عليه ويقول له: يا فلان ما جوابك على دعوى أخيك؟ ثم يدعه يتكلم حتى ينتهي، والشيخ مطأطئًا رأسه في الغالب فإذا سكت قال له الشيخ: هل انتهيت؟ فإذا قال نعم، قال: ردَّ قولك فإذا رده واختلف منه شيء عن الأول ناقشه الشيخ، ثم يطلب البينة والشهود إن لزم الأمر، فإذا أراد إصدار الحكم قال: سيصدر عليه الحكم المفلوج[1].

فإذا اقترب أخذ بيده -في الغالب- فإن كان المدعي قال له: قلت كذا وكذا، وأجاب أخوك بكذا وكذا، والله ﷻ يقول كذا، ثم يورد الآية، ويفسرها، أو يقول: قال الرسول ﷺ كذا وكذا، ثم يورد الحديث ويشرحه، والعلماء يقولون كذا وكذا.. أفهمت بارك الله فيك؟

فإذا كان الحق للمدعي، قال للمدعى عليه: اقترب مني يا فلان أفهمك، ثم يقول له القول السابق، ثم يقول: الحق كذا وكذا قم أعط أخاك حقه الآن، فإن تلكأ قال لأحد الخوياء: اذهب مع فلان فإن أعطى أخاه حقه وإلا اذهب به إلى الأمير يضعه في الحبس، ثم يلتفت إلى الجالسين المنتظرين دورهم، ثم يقول: من له حاجة يتقدم، وهكذا يُنهي جميع القضايا، وأغلبها ينهيها في اليوم نفسه.

وأما إذا كان المختصمان متجاورين بيَّن لهما حقوق الجوار، وإن كانوا أقارب أوضحَ لهم عِظم حق القرابة والرحم، وهكذا.

---

(١) المفلوج: أي المغلوب (٢/ ١٣٦) المصباح المنير.

وكان رحمه الله شديد الحرص في عرض الصلح بين المختصمين، خاصة في القضايا الزوجية؛ بل إنه عين أشخاصا من أهل الخبرة والوجاهة محتسبين للقيام بإصلاح ذات البين، فكان يرسل بعض الخصماء إلى هؤلاء وأحيانا يوعز إلى بعض طلبة العلم ممن يتوسم فيهم الحصافة والحكمة أن يقوم بالصلح خاصة في النزعات بين الأقارب أو الزوجين، كما يختار رحمه الله من ذوي الكفاءة والخبرة حتى يرجع إليهم عند اختلاف الخصماء في البيع والشراء أو تحديد عيوب السلع، وتقديم الأرش وفوات الشروط، وتقدير الحروث والأراضي، وسائر ما يحتاجه الناس.

فمثلا؛ حينما كان الشيخ قاضيا في القصيم عين عبد الله بن موسى العضيب مرجعا عند الاختلاف في قيمة الإبل ومعرفة عيوبها والغبن فيها إلى غير ذلك مما يحتاج إليه، كما جعل على بعض الدواب محمد الحسين، وفي الغنم محمد الهلال، وفي البقر صالح الرشيد، كما عيَّن آخرين للعقار وتقييم الثمار[1].

ومما يُعرف عنه رحمه الله -حينما تولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء- أن قضية مرت به كان حكم بها في القصيم قبل ثلاثين عاما، فلما كان القارئ يقرأ عليه الصك الذي دوَّن فيه القضية إذا يمر بعبارة فيها تحريف فما كان من الشيخ إلا أن سبح الله واسترجع، وقال سبحان الله! لقد قلت لهم في حينه أن يصلحوها بصيغة كذا، فسامحهم الله لم يصلحوها؟!![2].

(١) ينظر: تاج الفقهاء (ص١٣٣-١٣٦) لسليمان العثيم.
(٢) ينظر: مجلة الدارة عدد ٣،٤ (ص٦٣-٦٤).

فانظر إلى الشيخ وقوته القضائية مستذكرا القضية برمتها وبعباراتها وألفاظها!

المطلب الثاني: ثناء العلماء والأعيان عليه

قال عنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: لقد ترك الشيخ أثراً كبيراً وفراغــاً عظيمــاً لغزارة عمله وكثرة فضله واهتمامه بأمور المسلمين، كما كان رحمه الله زميلًا لي في طلب العلم والتحصيل ودراسة المتون ومراجعة الشروح والمعاني والأحكام وحلّ الإشكالات، ومن هنا ربطني بالشيخ عبد الله رحمه الله علاقة متينة ازدادت على مر الأيام في المذاكرة والتعاون على البر والتقوى لولاة أمور المسلمين، لقد تأثرت بوفاته كثيرًا؛ لأنه من أخلص أحبائي، ومن أميز أهل العلم الذين تعاونت معهم، خصوصا وأن أغلب ما كان يدور بيني وبينه ما يتعلق بالمصالح العامة للمسلمين، وتذكيرهم بالحق، ودعوتهم إلى الالتزام بأحكام الشريعة، والحذر مما يخالف ذلك، كما كان رحمه الله غاية في تحري الحق والعناية بالأدلة في ترجيح ما يوافق الحق من مسائل الخلاف[١].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ[٢]:

إن الحديث عن الأعلام حديث طويل متشعّب، ومن ذلك الحديث عن سماحة شيخنا العلامة عبد الله بن محمد ابن حميد، وهو من الأعلام البارزين

---

(١) ينظر: جريدة البلاد: عدد ٧٢٢٢.

(٢) المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، عرفته علمًا فقيهًا، باذلًا لعلمه، حريصًا على طلابه، وعرفته صلبًا في دينه، باذلاً للنصيحة بالوجوه الشرعية، وعرفته مهتماً بشأن أمته غيوراً على دين الله.

وكان درسه- غفر الله له ورحمه- عامراً بالتعليقات النافعة، وتحليل العبارات، وذكر تنبيهات نفيسة، مع ترجيحات له – غفر الله له – يوردها أحيانًا، وكان الحضور عنده كبيرًا جدًّا.

هذا مجمل ما عرفته عن سماحته، وإلا فإن الحديث عن مثل ذلك العالم الكبير يطول جدًّا، ومهما حاولنا فلن نوفي المقام حقه رحمه الله رحمة واسعة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله(١):

كان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله يحرص على توجيه الشباب ونصحهم بالتعقل والرزانة، وكان يكره الفتن ويكره إثارتها، ويجعل قاعدة "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" نصب عينيه.

ورزق الشيخ قوة الشخصية والهيبة والوقار، أما علمه فهو فقيه لا يشق له غبار، ولي مع المترجَم صله وثيقة ومودة أكيدة، وعلاقة علمية هي أقوى وأوثق من علامة النسب.

---

(١) عضو هيئة كبار العلماء ورئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية سابقًا رحمه الله.

قال سماحة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل رحمه الله:

الشيخ عبد الله ابن حميد القاضي والمفتي.

شيخنا، لكنني توليت القضاء قبله، هو تولى القضاء عام ١٣٥٨هـ وأنا توليت عام ١٣٥٤هـ.

وكان الشيخ قاضيًا في الرياض، ثم عُزل الشيخ العنقري من القضاء في المجمعة فعين الشيخ عبد الله قاضيًا فيها، ولكن لأن عزل الشيخ العنقري لم يعجب أهل المجمعة، فإن بعضهم لم يستقبل الشيخ عبد الله الاستقبال التام، بل لم يذعنوا وتكون حزب ضده، وجاء بعضهم مع الشيخ عبد الله يساندونه، ثم بعد فترة أجمعوا كلمتهم عليه، وارتضوه جميعًا وصاروا يحبونه ولا يرضون عنه أحدًا، وجلس في المجمعة فترة، ثم بعد وفاة الشيخ عمر بن سليم وهو قاضي بريدة نقل الشيخ عبد الله إلى بريدة، ولكنه أول الأمر كان مدرسًا فقط ووضعوا عنه قاضيين، ثم صار هو القاضي والمدرس في بريدة، واستقامت الأمور به، واستمر في القصيم هو القاضي والمفتي، وكانوا يحبونه حبًّا عظيمًا، وإذا ذهب إلى الرياض زيارة أو غيرها أرسلوا الرسائل: (أن شيخنا تأخر علينا) لأنهم يخافون أنه نقل عنهم إلى مكان آخر، وهذا يدل على تعلقهم به وحبهم له.

وتكوَّن له طلاب، وقامت له دروس ومحاضرات ونحوها، ثم بعد ذلك شكلت هيئة التمييز وعُين الشيخ محمد بن إبراهيم رئيسـًا لها وكان من أعضائها الشيخ عبد العزيز السبيل عم الشيخ محمد، أما الشيخ عبد الله رحمه الله فلم يرغب

في الانتقال إليها، وأراد أن يتفرغ للتدريس، وترك القضاء، وغُذِّيت مكتبته بالكتب العظيمة، وكان معه محمد العبودي، والحصين وغيرهم.

ثم عينه الملك فيصل رحمه الله مسؤولًا عن رئاسة الإشراف الديني بالمسجد الحرام، وبقي في الحرم، وكانت له دروس في الحرم نافعة، وكان نائبه في شؤونه الشيخ محمد السبيل وهو يثق به ثقة عظيمة، وكان إذا كلمه في الهاتف وهو في الرياض أو في مكة يجلس معه بالساعات.

وبعد إنشاء مجلس القضاء الأعلى عينه الملك خالد رحمه الله رئيسًا له، فاستجاب لذلك وعمل فيه وكان أول من تولى هذا المنصب، وعمل فيه مع عمله في رئاسة الإشراف الديني بالحرم المكي إلى أن أصابته بعض الأمراض، فأخذ رحمه الله في علاجها وسافر إلى أمريكا للعلاج، وتوفي الملك خالد، فأرسل خطابات توكيد الولاء للملك فهد حتى جلس فترة بعد رجوعه، ثم سافر مرتين أو ثلاث إلى أمريكا حتى توفي رحمه الله عام ١٤٠٢هـ وصُلي عليه في المسجد الحرام، فرحمه الله رحمة واسعة[١].

قال سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[٢]:

سماحة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد كما عرفته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين،

(١) **ينظر**: عبد الله ابن حميد وحياته العلمية (ص٥٠٣) لمحمد أحمد سيد.

(٢) عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وقدوة العلماء العاملين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد سُئلت عما أعرفه عن سماحة شيخنا "الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له"، وأنا لا أعرف عنه الكثير لأنني لم أسكن في البلد الذي كان يقيم فيه وقت عمله في القصيم وهو بريدة، وإنما كنت أسكن في بلدة الشماسية التي تبعد عن بريدة بثلاثين كيلو.

وكانت وسائل النقل حينذاك هي الدواب والأقدام وقليل من السيارات، ولم أستوطن في بريدة إلا وقت دراستي في آخر المرحلة الابتدائية، وفي المعهد العلمي، ولكني كنت أسمع من أخباره وثناء الناس عليه وإعجابهم به.

ثم لما استوطنت في بريدة للدراسة كنت أحضر كثيراً من دروسه، وشاركت الطلاب في بعضها عليه، لكني انتقلت إلى الرياض لمواصلة الدراسة في كلية الشريعة.

أما عن تكوينه العلمي فقد درس على أكابر علماء الرياض حتى برز وفاق أقرانه في العلم، ثم تولى القضاء في الرياض ثم في سدير ثم في القصيم ثم تولى رئاسة الإشراف الديني في المسجد الحرام إبان تأسيس هذه الرئاسة، فقام بعمله خير قيام رغم أن هذه الرئاسة ناشئة، فتأسست على يديه وخطط لها حتى برزت وأنتجت، وصار لها آثار عظيمة في تنظيم أعمال الحرم، وكان عمله فيها إداريًّا وتوجيهاً ورقابياً، وقام بالتدريس في المسجد الحرام، وتولى الإفتاء فيه، وأنشأ معهد الحرم ووضع له المنهج الدراسي واختار له المقررات الدراسية، وعين له

المدرسين، واستمر هذا المعهد يؤتي ثماره كل عام، ثم نقل من رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام إلى رئاسة القضاء الأعلى في الرياض، وبقي فيها إلى أن وافته المنية فانتقل إلى رحمة الله، وأحدثت وفاته ثلمه عظيمة في العالم الإسلامي، ولكن هي سنة الله في خلقه، والحمد لله على قضائه وقدره، ونسأل الله أن يجعل في ذريته خير خلف يقوم مقامه ويسد ثلمته.

كان يقوم رحمه الله في البلد الذي يتولى العمل فيه إلى جانب عمله الرسمي بالتدريس والإفتاء والحسبة والإمامة والخطابة، وهي أعمال يحتاج كل جانب منها إلى رجال من ذوي الكفاءات الفائقة والقدرة والقوة. كما قيل:

والناس ألف منهم كواحد ✻ وواحد كالألف إن أمر عنا

وكذلك الشيخ رحمه الله واحد كالألف.

ومن صفاته: كان آيةً في الذكاء والفطنة وقوة الذاكرة والإدراك، كان يدرس في مختلف الفنون" في الفقه والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والأصول"، كان يجلس للتدريس بعد الفجر وبعد طلوع الشمس وبعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب وأحياناً بعد العشاء، وكان له مطالعون يقرءون عليه ما يحتاج إلى الاطلاع عليه في شرحه للدروس، إلى جانب مطالعاته الثقافية التوسعية في مختلف الفنون، وكان يجلس للناس في بيته لتلقي أسئلتهم وإشكالاتهم والإجابة عليها، أما جلوسه للقضاء فكان يجلس ضحى إلى الظهر وبعد العصر على النظام القديم، وكان آية في استيعاب حجج الخصوم والمقارنة

بينها ودقة الملاحظة، وكان الناس يقتنعون بحكمه وفتواه ولا تسمع من يعترض، كان له هيبة ووقار مع تواضع جم وخلق رفيع، كان كلامه موزونا لذيذ المسمع يؤثر في السامعين ويتناقلون كلماته إعجاباً بها ومحبة لها، أما الكتب التي كان يدرسها فكان يدرس المتون كمتن زاد المستنقع في الفقه ومتن القطر في النحو وأحياناً ملحة الإعراب، وبلوغ المرام في الحديث، وفي التوحيد الواسطية في العقيدة، وشرح مختصر التحرير في أصول الفقه، مع قراءة شروح هذه المتون بعدما يقوم بشرحها أثناء قراءتها عليه جملة من ذاكرته، وكان يقرأ عليه في المطولات كصحيح البخاري وتفسير ابن كثير والبداية والنهاية في التاريخ وصحيح مسلم وكتب السنن[1].

قال معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي رَحِمَهُ اللَّهُ:

شيخي الشيخ عبد الله ابن حميد كان مرجعًا للقضاة في زمانه:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ يعدّ شخصية "عالمية"، فهو شخصية شملت بعملها عددًا من طلبة العلم، والمشايخ، والقضاة على مستوى المملكة، وما أنا إلا أحد تلاميذه، وكان يخصني بمزيد من العناية، وكان يطلب مني أن أرافقه في السفر إلى الرياض وغيرها، وقد رافقت الشيخ

---

(١) **ينظر**: الشيخ عبد الله ابن حميد (ص٥٠٦) لمحمد أحمد سيد.

عبد الله ابن حميد في رحلة استغرقت تسعة أشهر، وذلك حين شكا عدد من أعيان المنطقة الغربية للملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تأخير القضايا في بعض محاكم الحجاز، وذكروا أن بعض القضايا تمكث عشرين سنة أو نحوها دون حسم، ذلك في عام ١٣٧١هـ، فأمر الملك عبد العزيز رحمه الله بأن يذهب صاحب السماحة الشيخ عبد الله ابن حميد لأنهاء تلك القضايا المتأخرة، وقد كتب له الملك عبد العزيز برقية بأن يكون معه لجنة من طلبة العلم تساعده ويختارها هو، ويكون عددهم اثنين أو ثلاثة لمساعدته في هذه المهمة التي هي إنها القضايا القديمة في محاكم الحجاز.

وهي تشمل كلًا من: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف.

فاختار الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله ثلاثة من طلبة العلم هم:

عبد العزيز العجاجي، من كبار طلبة العلم في بريدة، وأنا الثالث: محمد بن ناصر العبودي.

ثم أبرق الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله للشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة بأن الشيخ ابن حميد سيأتي لإنهاء القضايا المتأخرة في بعض محاكم المنطقة الغربية، وحددت بأنها القضايا التي مرت عليها خمس سنوات في المحاكم فأكثر.

وكان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله رجلًا حازمًا وعنده صبر وجلد، إلى جانب تبحره في الفقه ومرانه على القضاء، فأنهى كثيراً من القضايا، وكنا نساعده فقط، أما القضاء فكان بيده.

فكان الشيخ عبد الله... على سبيل المثال يأمرني، وكنت أصغر المساعدين له أن أراجع المسائل في كتب الفقه في المراجع، كما كنت أقرأ عليه الحجج والصكوك الطويلة المكتوبة بخط اليد، وكان الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله رجلًا قوي الشخصية وحازمًا، فأنهى كثيرًا من المعاملات المتأخرة.

وقد جلس في مكة قرابة ستة أشهر لإنهاء تلك القضايا والمعاملات المتأخرة المتعلقة بها.

وكانت مكة في ذلك الوقت لا يوجد بها كهرباء، وكان بها بعوض كثير، وقد هيأت لنا الحكومة سيارتين: سيارة للشيخ، وسيارة للهيئة المساعدة، إضافة إلى بيت الضيافة، وكانت الضيافة سخية يومية، وكنا بعد صلاة العشاء في المسجد الحرام نخرج لما يسمى آنذاك بحوض البقر، وهو الآن شمال العزيزية، ولم يكن فيه سكان، بل ليس فيه أنيس ولا نور، ولا يمر به أحد، ولكن الهواء به طلق فكنا نخرج إليه هربًا من البعوض وننام إلى أذان الفجر حيث نعود لأداء الفجر في المسجد الحرام، ثم ذلك انتقلنا إلى الطائف، وجلسنا فيها أربعين يومـًا لإنهاء القضايا القديمة.

وبعد ذلك ذهبنا إلى جدة ومكثنا فيها خمسين يومًا، ثم ذهبوا إلى المدينة المنورة ولكنني لم أذهب معهم إليها لأنني كلفت من صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الكليات والمعاهد العلمية آنذاك بافتتاح المعهد العلمي في بريدة وإدارته، الذي كان ثاني معهد يفتتح في المملكة بعد المعهد العلمي في الرياض.

وكان الشيخ عبد الله عصاميًّا، فقد توفي والد الشيخ وعمره قرابة سنتين،

وكذلك والدته توفيت، فكفله أبو الأيتام محمد بن بكر كما سبقت الإشارة في أول الترجمة، وقد كُفَّ بصره وهو صغير فلم يفت ذلك في عضده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يثنه عن طلب المعالي.

وكان موسوعيًّا، يهتم بأنساب الناس، وبجميع أنواع المعرفة وكان مما سألته في إحدى المناسبات عما سمعت به من أن نسبه يتصل بآل حميد الذين كانوا من كبار بني خالد وكانوا حكام الإحساء. أذلك صحيح أم لا؟

فقال الشيخ: كنت صغيرًا عندما مات والدي لا أعرف هذا بالضبط.

وهذا من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإلا فإن الذي ذكره لي عدد من العارفين بالرياض صحة ما ذكرته.

وقد عينه الملك عبد العزيز قاضيًا للرياض وهو صغير، وكان الشيخ ابن زاحم رئيس محكمة الرياض، ثم أرسله إلى سدير في مهمة قضائية صعبة لوجود أملاك قديمة.

وكان من أنبغ وأبرز طلاب شيخه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مع الشيخ ابن باز -رحم الله الجميع-، وهو أكبر من الشيخ ابن باز بسنتين؛ حيث ولد هو عام ١٣٢٨هـ، والشيخ ابن باز عام ١٣٣٠هـ.

وقد قال لي مرة: إنني بلغني أن أحدهم يريد أن يخاصم الملك عبد العزيز في المحكمة لوجود مشكلة يدعي فيها حقاً له لدى الملك عبد العزيز، وقال: جاءني الرجل وقال: أنا عندي خصومة مع الملك عبد العزيز، قال الشيخ: أنا ما

عندي أي مانع إذا تخاصمتما عندي وأمر الملكُ أن أنظر القضية مثل أي خصومة أخرى، ثم ذهب الرجل وقال للملك عبد العزيز: أنا سأخاصمك عند الشرع، فأرسل الملك عبد العزيز للشيخ عبد الله قائلاً: إن الرجل يريد أن يخاصمني وأنا رجل مشغول، فهل إذا وكلت أحداً يكفي ذلك عن حضوري؟ فقال الشيخ ابن حميد رحمه الله: نعم مثلك مثل أي شخص آخر يوكّل غيره في قضية.

فحضر وكيل الملك عبد العزيز إلى المحكمة وحكم الشيخ على الملك عبد العزيز.

وفي عام ١٣٦٢هـ في شهر ذي الحجة توفي قاضي القصيم الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وهو من كبار العلماء، وكان شيخاً لكبار طلبة العلم الذين كان منهم قضاة وعلماء كبار، ويحتاج الأمر إلى شيخ مثله ليحل محله، فأرسل الملك عبد العزيز آل سعود الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله إلى بريدة في بادئ الأمر مدرساً فقط، وعين الشيخ محمد بن عبد الله ابن حسين من أهل بريدة قاضياً فيها، فجاء الشيخ عبد الله من سدير إلى بريدة، وبقي ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً في بريدة، ثم عاد إلى الرياض.

وبعد فترة عزل الملك عبد العزيز الشيخ محمد بن عبد الله بن حسين عن قضاء بريدة حيث نقل إلى عنيزة، فأرسل الملك عبد العزيز الشيخ ابن حميد عام ١٣٦٣هـ في شعبان إلى بريدة قاضياً وشيخاً لطلبة العلم، فحضر الشيخ فقرأنا عليه، وكنت من أصغر طلابه، وقد ملأ المكان الذي شغر بوفاة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأوجد طريقة جديدة في المناقشة والبحث في حلقات الدروس.

من صفاته: ومن صفات الشيخ عبد الله ابن حميد قوة الشخصية وسرعة الاستنتاج، ولذلك كان المتخاصمون يحسبون للشيخ حسابًا، وماذا يقول لهم، لأنه يقول من أجل الوصول إلى الحقيقة أشياء لا يظنونها.

ومن صفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذكاء، فقد سأله أحد طلبته في حلقة العلم عن السلام على المأموم والإمام يخطب يوم الجمعة، فقال: السلام على المأمومين ليس مشروعًا والإمام يخطب، فقال أحدهم: ألا يسلم عليه سراًّ؟ فقال الشيخ: وهل يسمعه؟ وكيف يعرف أنه سلم عليه إذا كان ذلك سرا؟

وكان من صفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ محبة التعبير الأدبي، فكان إذا مر عليه بيت شعر غريب أو لفظ غريب يعجب منه ويكرره، مثل البيت الذي قيل في رجل خفيف العقل:

لو أن خفة عقلة في رجله سبق ❁ الغزال ولم تفته الأرنب[1]

وقال فضيلة الدكتور محمد الشربيني في حفل تكريم جامعة أم القرى لسماحة الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أيها الحفل الكريم: أسعدكم الله جميعًا.

إن برنامج جامعة أم القرى لتكريم الرواد ليس عملاً رائعاً فحسب بل أسلوب حديث وبنّاء وخلاّق.

---

(١) ينظر: عبد الله ابن حميد وحياته العلمية (ص٤٩٦) لمحمد أحمد سيد.

اليوم يكرّم سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله ليس كرائد بل كبير الرواد، وليس عالمًا بل كبير العلماء، نظراً لما أكنه من وفاء ليس في قلبي بل في كل جوارحي لسماحته، وجدت نفسي تندفع دون تردد لاستئذان المسؤولين بالسماح لي وما أشد فرحتي إذا وافقوا؟!

لقد كان لي أعظم الشرف أن عرفت سماحته منذ أكثر من ٣٥عاماً جلست معه كثيراً وتناقشت كثيراً وتعلمت كثيراً فكان مثلاً أعلى.

لن أتكلم عن علمه الذي جمع بين الوفرة والسهولة، وشخصيته التي جمعت بين القوة والتواضع، وجلساته التي جمعت بين العلماء وطالبي العلم، وبين الأغنياء والفقراء، وبين العرب والعجم، وبين المسؤولين والعامة.

لكن هناك بعض لقطات عايشتها بنفسي سأعرضها مجرد عرض بدون تعليق، فالتعليق متروك لكم؛ لأن المجال لا يكفي والوقت لا يسمح، وما سأعرضه جزء يسير من كم كبير.

- نظرته للحياة: لقد تقلد مناصب عديدة: إماماً، قاضياً، رئيساً للشؤون الدينية بالحرم الشريف، رئيساً لمجلس القضاء الأعلى.
- كان يقول لي: أتعامل مع الناس كعبد الله ابن حميد الإنسان، ليس كمنصب تقلدته. فنال حب واحترام الجميع.
- التشجيع على العلم: في معظم اللقاءات يسألني أسئلة تضطرني لمراجعة الكتب، فمثلاً؛ أحد الأسئلة: هل الشعرة جوفاء أم صماء؟

- إحساسه بما حوله عجيب؛ ففي مفترق الطرق دخل السائق طريقاً ونبهه الشيخ!
- اهتمامه بالعمل: يجلس في عمله من الصباح إلى ساعات متأخرة من الليل في مجلس القضاء الأعلى.
- الذاكرة عند سماحته من الغرائب: سلم عليه رجل وعرفه الشيخ من الصوت حيث راجعه في قضية له منذ سنوات عديدة.
- اهتمامه بالرياضة: كان يمشي مسافات طويلة إلى درجة أن الشاب المرافق له يتعب.
- دقة التفكير عند سماحته من النوادر: موضوع الختان في الجراحة، الظفر الغارز، وصل الأمعاء، فقد وجه الشيخ إلى طرق جديدة وجديرة.
- دقة التفسير عند سماحته: حديث الرسول ﷺ: "من تعلم لغة قوم أمن شرهم"، قال لي: ليس لغة الكلام فقط، بل لغة التعامل عامة.
- تواضع سماحته: عند الطعام يجلس بجوار السائق والخادم.
- لطفه مع من يتعامل معهم: أثناء اختباراتي أنا وزوجتي يقول: أنا لو أستاذكم أعطيكم امتياز بدرجة الشرف الأولى.
- اهتمامه بالإعلام: علم بوجود مسلسل تلفزيوني اسمه (الرجل ذو الستة ملايين دولار)، ويظهر فيه بقوة خارقة إلى درجة أن بعض الأطفال قالوا -ونستغفر الله العظيم- أقوى من الله، فاتصل على الفور بالمسؤولين وأوقف عرض المسلسل.

- اهتمامه بحقوق الناس: قال لي صديقي الأستاذ محمد الحازمي أن قاض أخذ منه ٣٠٠,٠٠٠ ريال رشوة، وأخبرت سماحته فقال: إذا أثبت ذلك وسوف أرجع له نقوده وأحاسب المسؤول.
- الطرائف: لا يخلوا حديث سماحته منها.
- تقدير: المسؤولين لسماحته:

١- الملك فيصل طيب الله ثراه: قال لي صديقي معالي الشيخ حسين عرب رحمه الله: إن الوحيد الذي يذهب الملك فيصل لاستقباله واصطحابه إلى مكان جلوسه هو سماحة الشيخ عبد الله.

٢- الملك خالد طيب الله ثراه: قال لي الملازم أول خالد الثقفي رئيس نقطة أجياد -في ذلك الوقت-: كان الملك خالد يطوف، وإذ به يترك الطواف ويذهب مسرعـاً، وعرفنا أنه علم بوجود الشيخ خارجا من الخلوة، فذهب ليسلم عليه ويعود ليكمل طوافه.

٣- الملك فهد طيب الله ثراه: لما علم بوفاة سماحته اتصل بولي العهد سمو الأمير عبد الله وطلب منه صلاة الغائب في أنحاء المملكة، وقال كلمته الشهيرة: "إن سماحة الشيخ رجل لا يعوض".

- أدار الأمور بدقة وعناية وحكمة ودراية فلم يخلُ مكان عمل به من بصماته الدقيقة ولمساته الجميلة.
- جاهد بتفان وإخلاص، عمل فأبدع وبالعطاء أنتج وأشبع، وإنجازاته أضحت تغييراً ملموسـاً وتطويراً ملحوظـاً، يشهد به الجميع، فجزاه الله خير الجزاء.

مهما تكلمت فإنني أوجز في العبارة، وأكتفي بالإشارة، وإذا فارقنا جسداً فهو في قلوبنا على مدى الأيام، وكنزنا على مدى الأعوام، وسلواننا هو تاريخه العطر، وكتبه القيمة، وأولاده البررة، وتمنياتي أن يجعل الله التوفيق لهم قريناً، والود أخاً شقيقاً، والسعادة رفيقًا وطريقًا[1].

قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن عمر خياط:

إنه سماحة الوالد الفقيه الورع-طيب الله تربته: تشرفت بتلقي الدعوة من جامعة أم القرى العريقة في سلسلة دعواتها لتكريم الرموز، وحرصت جدًّا على أن أكون من بين الحاضرين، ذلك أن المحتفى به في تلك الليلة المباركة؛ عَلَم في رأسه عِلمٌ وحكمة، من كبار رجال الفقه والحديث والتاريخ والأدب، دانت له المفاخر فامتطاها وبهر، ذلكم هو سماحة الشيخ الوقور المبجل عبد الله بن محمد ابن حميد -طيب الله ثراه-، فرغبت أن أكتب شيئًا عنه مقتديًا بالأستاذ الألمعي/ الشريف خالد الحسيني، فاستعصى القلم ورفض أن يستجيب، ولكنني أصررت فاسترضيته وأوعدته بأن أكون الأمين -على قدر حالي-، فاستحيا وأثنى ظنًا منه أنني سأفي بما قطعته على نفسي، ولكن أنى لمثلي أن يفي ذلك الإنسان حقه أو بعض حقه، والله أسأل أن يوفيه لقاء ما قدم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وعلى الله أعتمد ومنه أستمد العون.

ولد رحمه الله بالرياض في ١٣٢٩/١٢/٢٩هـ وتوفي بمستشفى القوات

(١) ينظر: عبد الله ابن حميد وحياته العلمية (ص٤٩٧-٤٩٩) لمحمد أحمد سيد.

المسلحة بالهدا في ١٤٠٢/١١/٢٠هـ وصلي عليه بالحرم الحرام، ولُحد بمقابر العدل بمكة المكرمة، ولئن أخذ الله بصره فقد عوضه بإنارة بصيرته بنور العلم والمعرفة والذكاء المتوقد، فنفع به الإسلام والمسلمين في كل ما أنيط به وأوكل إليه.

«والعلماء ورثة الأنبياء» وبحكم عملي برئاسة القضاء طيلة أربعة وثلاثين عاماً بوظائف مختلفة في المحاسبة والموظفين والإدارة والتفتيش، ولفترة قصيرة كلفني فضيلة مدير الفرع رَحِمَهُ اللَّهُ بإدارة مستودع الفرع، وصادف في تلك الفترة أن استأجر مجلس القضاء الأعلى عمارة بمكة المكرمة بالششة، مالكها عبد الله أفندي باخطمة، وصدر أمر مقام الوزارة إلى الفرع بتأثيث العمارة بكل ما يلزم حسب رغبة المجلس، فأمرني فضيلة مدير الفرع بالتوجه إلى حيث تلك الدار لأقابل المسؤول، ومن حسن حظي أن سماحة الرئيس الشيخ عبد الله ابن حميد وفضيلة المساعد عبد الله بن عقيل كانا موجودين، وبعد التشرف بالسلام قال لي سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ: المطلوب تأثيث هذا المنزل التأثيث المعقول، فرجوت المعاون فضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل أن يتكرم بمرافقتي في مشوار واحد لتحديد نوعية الفرش، فوافق ومشيت معه إلى معرض السِّرَيِّع، وبالمحل الزَّل الذي اختاره والمكاتب (ماصات وكراسي ودواليب)، فقال لي: يا خياط إنني وسماحة الرئيس عائدين اليوم إلى الرياض وسنعود إلى مكة بعد حوالي أسبوع أو عشرة أيام والمطلوب منك إتمام كل شيء قبل وصولنا إن شاء الله، فرددت حاضر إن شاء الله.

وفعلًا انتهى كل شيء وحتى التلفونات في أقل من أسبوع، وهاتفت مكتب

الرياض بأن كل شيء على ما يرام، فرد فضيلة الشيخ عبد الله بن عقيل: شكرًا يا خياط، وبمكة كنت في استقبالهم وسلمت كل شيء، ووقع مدير الإدارة على مذكرات الإخراج كالمتبع، وأتاح لي الفرصة فضيلة المساعد للسلام على سماحة الرئيس، وبعدها بعدة سنين وبالتحديد عام ١٤٠٠هـ في فترة الاعتداء الجهيماني على الحرم الحرام كنت بمعية فضيلة الشيخ صالح التويجري للسلام على سماحة الشيخ ابن حميد - رحمهما الله-، وبعد سلامي عليه قال: خياط راعي المستودع؟ فرددت نعم، وإنني الآن راعي القضايا الجنائية بمعية هذا الإنسان طيب القلب الشيخ صالح التويجري.

ومن الذكريات التي تستحق الإشادة اتهام الأستاذ محمد حسين زيدان بأنه كتب في إنكار البعث وأمر الملك فيصل بمحاكمته لدى سماحة الشيخ ابن حميد، الذي أُحضر إليه ووجد السيد علوي عباس المالكي عنده، وصح أن المقال للأستاذ فتحي الخولي، وليس فيه ما يعني إنكاره للبعث، ووجه ابن حميد عدة أسئلة إلى الزيدان وأجاب عليها، وحبكت مع السيد علوي الذي قال لسماحة الشيخ ابن حميد: إن هذا يا شيخ قطع حصير المسجد، فاتصل الشيخ بالملك فيصل ليخبره بسلامة الأمور، وخرج الزيدان سالمًا غانمًا.

وقصة مدير الأمن العام علي جميل مع ذلك الرجل الذي ضم جزءًا من أرضه إلى أرضه لتعديل العمارة بميدان الغزاوي، واشتكى الرجل إلى المحكمة وبقيت المعاملة بالمحكمة أكثر من عام عقدت خلالها عدة جلسات، ولحسن حظ المدعي أن جاءت قضيته ضمن القضايا المحالة إلى سماحة الشيخ ابن

حميد للبت فيها، وفي جلستين انتهت القضية بالصلح، ودفع الشيخ علي جميل عشرين ألف ريال، كما انتهت كل القضايا التي أحيلت إلى ابن حميد، وكانت أكثر من مائة معاملة في أقل من ثمانية أشهر، وبعدها سافر إلى المدينة المنورة فالطائف فجدة لإنهاء القضايا المتأخرة، ووُفق في إنهائها.

ومكة لا تنسى فتواه في التكبير بعيدي الفطر والأضحى، وتوحيد الأذان من مؤذن واحد، وما قام به من جهود موفقة بمعهد الحرم الذي كان له الأثر الطيب الموفق، ولا أوفي الشيخ حقه فقد عاش كالنخلة كله فائدة، جزاه الله خيرًا ورحمه وبارك في خلفه المباركين، آمين آمين.

قال فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد[١]:

وما أحسن ما نُسب إلى الشافعي رحمه الله من قوله:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ✻ قلت الفضائل ما تعدت منزله
إن زارني فبفضله أو زرته ✻ فلفضله فالفضل في الحالين له

وأنشد الأزدي:

وَقِّر مشايخ أهل العلم قاطبة ✻ حتى توقرَ إن أفضى بك الكبر
واخدم أكابرهم حتى تنال به ✻ مثلا بمثل إذا ما شارف العمر

(١) عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية.

إنهم العلماء وارثو الرسالة، خلفاء النبي في أمته، المحيون لما مات من سنته، وهم الحملة العدول، والحفاظ الفحول، بهم قام الكتاب وبه قاموا، بهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

ومن هؤلاء العلماء الذين جمعوا أمهات المكارم وكانوا أعلاماً في كل المعالم، الشيخ العلامة الفقيه والقاضي النبيه، حسنة الأيام ومفيد الأنام عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله، كان أمة لما جمع الله فيه من أمهات المكارم وأنواع الفضائل ما لم يجتمع لغيره إلا في القليل النادر، كان مكبًا على العلم وتحصيله والدعوة إليه، حاملاً لأمانته ولوائه، ناشرًا ما أفاض الله عليه منه بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، بالكلمة الهادئة الهادفة التي تثري العقول، وتؤثر في القلوب.

وهو إلى جانب ذلك لا يحقد ولا يحسد، يده بالعطاء ندية، ونفسه بالخير سخية، فهو بحق فريد زمنه، وشمس عصره، أدبًا وفضلًا وكرمًا ونبلًا، إنه جامع الأخلاق الكريمة، والسجايا العظيمة، وحصن الفضيلة، وسيف الإسلام المنافح عن عقيدة التوحيد، والذاب عن حياض السنة، المكافح والمجاهد ضد البدع والمنكرات.

إن الكتابة عن الشيخ الجهبذ عبد الله ابن حميد رحمه الله وعرة المسالك، صعبة المنال، والحق يقال، أنني منذ أن هممت أن أخط خط عرفان ووفاء عن إمام جليل، ومحدث جهبذ، ودوحة فارعة، فلق الله نواتها في رياض الخير من المملكة العربية السعودية، وتعهدها ووالاها، حتى استخرجت شطأها، وامتدت وأظلت بلاداً وعبادا، وراح رائحتها دانون وقاصون، ومنذ ذلك وأنا

أتردد متهيبا مشفقا أقدم وأحجم، أتساءل كيف يسبر وليد أغوار والد؟

وكيف تحيط بصمة في كف عملاق بخصيصة من خصائص ذلك العملاق؟ ومع ذلك فقد حملتُ النفس على الإقدام، وأنا أعلم يقينًا أن المقام مدهش، والخطب جسيم، والحمل ثقيل، والكتابة عن سماحته فيها شيء من المخاطرة بالنفس، ولا عجب، فإن المترجم جمُّ الفضائل، غزير العلم، عظيم الهمة، متعدد المواهب، وقد سألت نفسي وعيناي تفيض بالدمع كيف الدخول إلى ساحة هذا العالم وباحته؟ وكيف يستطيع طالب علم أن يسبر أغوار عوالمه؟ وكيف يغوص وليد في أعماق والد اتسعت جوانب عطائه؟

ترددت وفكرت طويلًا ثم أدركت أن هذا التردد راجع إلى عمق شخصية هذا العالم - المترجم له -، وتعدد جوانب الخير فيه، كما أنني أدركت أيضا أن في الكتابة عن سماحته خير للأجيال القادمة وللأمة الإسلامية إن شاء الله تعالى.

بل هو عمل تهنأ به النفس، وينشرح له الصدر، ويتفتح له القلب، وتقر به العين، وتستريح في ظله الخواطر، كيف لا والعلماء ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل في أممهم.

ونحن إذ نعدد من مناقب شيخنا العلامة ما نعدد، لا نبتغي إغراقا في المدح، ولا غلو في الثناء، إنما القصد إبراز جوانب من حياته تؤكد وتبرهن على أنه رحمه الله كان في غاية في الصلاح والاستقامة وحب الخير وأهله، والمثابرة على العمل الصالح، في غير رياء ولا سمعة، وهذه الصفات كانت بعد توفيق الله من أعظم أسباب محبة الناس له وتعلقهم به.

وفضلاً عن ذلك فإن الغيرة على الدين والصدع بالحق وإقامة السنة والتحذير من البدعة من الصفات الحميدة، والخلال الحسنة التي أقام عليها الشيخ حياته، وكرس لها جهوده، بل كانت فيما ظهر لي مفتاح شخصيته وسر جاذبيته، وتأثيره الآسر لتلاميذه ومعاصريه.

لقد ربى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الصفات وتلك المؤثرات جيلًا من الدعاة لا يزالون يَحمدون غبها، ويذكرون فضلها، ويجنون ثمارها.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

مؤلفاته وآثاره العلمية

المبحث الأول: منهجه في مؤلفاته

المبحث الثاني: منهجه في دروسه العلمية

المبحث الثالث: آثاره العلمية الموسوعية

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

منهجه في مؤلفاته

لم تكن مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مما يتناسب مع علمه الواسع وبذله الكبير، وجهوده الطويلة في التحصيل والمطالعة والقراءة والإقراء والتدريس والإصلاح ذات البين في العامة والخاصة، وذلك يرجع إلى أمور:

١- ما نشأ عليه وما تلقاه من شيوخه من عدم الاحتفاء بالتأليف؛ تواضعا واكتفاء بما وضعه العلماء الأقدمون، فإن الشيخ رحمه وشيوخه من أئمة الدعوة من المقلين في التأليف جدا، وكأن لسان حاله وحالهم يقول: هل لدينا وقت كاف لنقرأ كل ما كتبوا أو نحيط ببعض ما دونوا.

٢- الانصراف التام للتعليم والتدريس، وقضاء حوائج الناس، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى أعماله الرسمية وعضويته ورئاسته لكثير من المنظمات والمجامع والمجالس والهيئات، مما لا يدع له وقتا للإنتاج المتناسب مع علمه الغزير وفهمه العميق.

٣- قد نظر الشيخ بين حالة التفرغ للتأليف كبقية العلماء المؤلفين وبين الأولويات التي تناط به للأمة الإسلامية، فقدم حاجة الناس الماسة على التأليف وآثرها عليه.

ومع هذا فقد بارك الله في أوقاته، فخلف من الآثار ما يبقى به الذكر ويمتد

به النفع - إن شاء الله- من تحرير بعض المسائل والمشكلات والنوازل الفقهية أو التوجيهات من خلال وسائل الإعلام المتعددة والصحف المتنوعة.

كما أن له وقفات ومناقشات ومطارحات مع بعض أهل العلم في مسائل خلافية، دونها في رسائل يردّ فيها على بعض من اختلف معهم فيها، وهي أنواع:

النوع الأول: فتاوى حررها بنفسه تمس المستجد من الوقائع والنوازل، أو تحرير بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين المتقدمين، فدلل عليها وعلل ثم رجَّح، ثم عرضها للطباعة.

النوع الثاني: فتاوى هي إجابات عن أسئلة السائلين إما من خلال دروسه في مواسم الحج والعمرة أو من خلال البرامج الإذاعية مثل: "نور على الدرب" وبرنامج: "اسألوا أهل الذكر"، وهذه متداولة بين الناس في أشرطة.

النوع الثالث: الفتاوى والقرارات المشتركة التي كانت تصدر برئاسته أو بعضويته من خلال اللجنة الدائمة للإفتاء والإرشاد بهيئة كبار العلماء، أو المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي أو المجلس الأعلى للقضاء.

النوع الرابع: ردود بصورة مقالات على بعض التيارات الوافدة مثل: العلمانية والليبرالية والاشتراكية، والمنظمات الدخيلة على العالم الإسلامي كنوادي "الروتاري" و"الليونز"، والتي تضر الأمة الإسلامية في عقيدتها وأوطانها واستقرارها، وذلك كان من خلال الصحف والمجالات، وهذه

المقالات مطبوعة في هيئة كتب، وبعضها لم يعد طبعها بعد نشرها قديما في الصحف.

النوع الخامس: كتب ألَّفها، وطُبعَ بعضها في حياته، وبعضها لازال مخطوطا.

النوع السادس: كتب أشرف عليها في الإعداد أو قدم لها أو طبعت بمشورته.

المبحث الثاني

منهج دروسه العلمية[(١)] :

قال معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد:

"للشيخ رحمه الله جهود متميزة في التدريس وطرق التعليم، كان لها أثر بالغ في إفادة الطلاب، وتمييز المتميزين، وتجلية المواهب، وأول عهد الشيخ بالتدريس كان سنة ١٣٥٦هـ، حين كلفه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بمساعدته في التدريس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم؛ لِمَا رآه من تأهله التام للقيام بذلك، فكانت حلقته في جانب من المسجد بينما حلقة الشيخ محمد بن إبراهيم في الجانب الآخر.

وقد درّس في هذه المرحلة: كتب العقائد، والفقه، واللغة العربية، وانتفع به خلق كثير، واستمر على ذلك أربع سنوات.

وحين نُقل إلى بلدة المجمعة، عقد حلقاته العلمية في مسجدها المعروف بمسجد ناصر، فرتب للطلاب جدولا يسير عليه في دروسه وهو كالتالي:

- بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس درس في التوحيد، والنحو، والفقه، ومصطلح الحديث.

---

(١) ينظر: مجلة الدارة (ص٤٨)، والفتاوى والدروس في المسجد الحرام لإبراهيم علي الحمدان، ورسالة سمية بنت عبد الله عبيد الموسى (ص٣٣-٣٨).

- وفي بيته درس بعض المطولات مثل: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، والآداب الكبرى، وشرح منظومة الآداب، ومجموعة الرسائل النجدية، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وكتب أخرى.

- بعد الظهر يعقد حلقته العلمية الثالثة في مسجد ناصر: في قراءة التاريخ من كتاب البداية والنهاية، ومنتقى الأخبار.

- بعد العصر تكون الحلقة الرابعة: في بلوغ المرام، وكتب أخرى كالأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، والعقيدة الواسطية.

- بعد المغرب مخصص لعلم الفرائض والمواريث.

أخذ على ذلك قرابة ثلاث سنين، ونفع الله به خلقا كثيرا.

وفي عام ١٣٦٣هـ حلّ في بريدة حتى عقد حلقته العلمية في جامعها الكبير المسمى الآن: بجامع خادم الحرمين الشريفين، وأوقات انعقاد الحلقات كانت بعد صلاة الفجر وبعد طلوع الشمس، وبعد الظهر، وبعد العصر، وبعد المغرب.

- درّس آنذاك في التوحيد والعقيدة: كتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والدرة المضيئة، ومجموعة الرسائل النجدية، ومختصر الصواعق المرسلة.

- وفي الفقه: جل المطبوعات في الفقه الحنبلي آنذاك، كمختصر المقنع، وشرح الروض المربع، والإقناع، وغاية المنتهى، والمغنى، وكشاف القناع، وعمدة الفقه، وأخصر المختصرات، وكان الطلاب يستظهرون مختصر المقنع.

- وفي النحو: ألفية ابن مالك استظهارا؛ مع شرح ابن عقيل عليها، ومراجعة بعض الحواشي كالخضري، والسجاعي.

- كما أن له عناية بتوجيه بعض الطلاب نحو المطولات، فيقرؤونها عليه في الحلقة، وقل أن يطبع في ذلك الوقت كتاب في الأمهات إلا ويكلف الشيخ أحد طلابه بقراءته عليه، ومن هذه المطولات:

١- البداية والنهاية لابن كثير.

٢- تاريخ الأمم والملوك للطبري.

٣- جامع البيان للطبري.

٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٥- مروج الذهب للمسعودي.

٦- غذاء الألباب للسفاريني.

٧- بعض كتب الشافعية.

٩- الكتب الستة في الحديث.

وغيرها من الكتب الحاوية للمعارف الإسلامية؛ عقيدة، وفقها، ولغة، وآدابا، وتاريخا.

- أما بعد الظهر فيعقد حلقة لمنسوبي وزارة المعارف الذين لا يتمكنون من حضور الحلقات أول النهار.

- وبعد العصر: درس في مصطلح الحديث.

- وبعد المغرب: حلقة مخصصة لعلم الفرائض والمواريث، وإن بقي وقت فيقرأ فيه شيئا من التاريخ.

- وما بين أذان العشاء وإقامتها تكون القراءة لتفسير ابن كثير، ويعلق عليه الشيخ فيها بعض التعليقات المناسبة من إيضاح غامض، أو بيان لدرجة حديث أو تعليق واعظ.

وفي عام ١٣٨٤هـ انتقل الشيخ إلى مكة المكرمة مجاورا بيت الله العتيق، فيعقد حلقته هناك بين المغرب والعشاء، خلف مقام إبراهيم، وكان يركز فيها على جانبي التوحيد والأحكام.

ففي التوحيد حرص على بيان توحيد العبادة، وما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله من الشرك الأصغر، وبيان البدع التي تقدح فيه، والمعاصي المنقصة لثوابه(١).

كما درس الشيخ في المعهد العالي للقضاء خلال قيامه برئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام(٢).

وبعد انتقال الشيخ من مكة المكرمة إلى الرياض، عقد حلقات تدريسه في مسجد ابن رضيان في حي دخنة في الرياض.

وكان يدرس بعد صلاة المغرب إلى وقت الإقامة لصلاة العشاء؛ أربعة أيام في الأسبوع هي: السبت، والأحد، والثلاثاء والأربعاء، يوم في متن زاد

---

(١) ينظر: مجلة الدارة: ٤٨ - ٥١، والمبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر لإبراهيم بن محمد ناصر السيف، وتاج القضاة (ص٤٠ - ١٠٦) لسليمان العثيم.
(٢) ينظر: تاج القضاة (ص١١٢).

المستنقع، يظهره الطلاب، ويقرأون شرحه في الروض المربع، ويوم في الرحبية في الفرائض، ويوم في الآجرومية في النحو، ويوم في كتاب التوحيد وشرحه تيسير العزيز الحميد، وإذا انتهى الشيخ من الشرح وتقرير المسائل قرئ عليه سنن أبي داود(١).

هذه هي السنوات المزدهرة بالتدريس في حياته، ومن عام: ١٣٥٧هـ كلفه الملك عبد العزيز بالقضاء في الرياض، والمجمعة ومنطقة سدير كاملة، ومنطقة القصيم، ومكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة، واستمر على ذلك حتى أواخر عام: ١٣٧٧هـ حيث آثر السلامة فطلب الإعفاء، فرفعت رغبته إلى الملك سعود فأجاب بعد مراجعات وإلحاح شديد فتفرغ للتدريس، ثم عينه الملك خالد رئيسا للمجلس الأعلى للقضاء وذلك عام ١٣٩٥هـ، ليكون المرجع النهائي للقضاء، واستمر في هذا المنصب حتى وافاه الأجل رحمه الله(٢).

---

(١) ينظر: تاج الفقهاء (ص١١٢) لسليمان العثيم.

(٢) ينظر: أقوال الشيخ عبد الله ابن حميد في التفسير (ص٣٦-٣٧) لسمية عبد الله الموسى باختصار.

الفصل الخامس

وظائفه الرسمية وجهوده الدعوية وأعماله الخيرية ورحلاته العلمية

المبحث الأول: الوظائف الرسمية التي تقلدها

المبحث الثاني: جهوده الدعوية

المبحث الثالث: أعماله الخيرية وسعيه في قضاء حوائج الناس

المبحث الرابع: رحلاته

الفصل الخامس

وظائفه الرسمية وجهوده الدعوية وأعماله الخيرية ورحلاته العلمية

لم تكن الدعوة إلى الله تعالى لتحقق ما تصبو إليه من غايات سامية، إلا حين ارتبطت بها بعض العوامل المهمة التي ساهمت في ترسيخ دعائمها، وعلو شأنها، وغزارة نتاجها، وسلامة مقاصدها، يحمل رايتها صفوة اصطفاهم الحق سبحانه لها وشرفهم بها، إنهم وسط بين الجفاة الغاليين والقوم المتساهلين، لم يعنفوا المدعوين ويتعالوا عليهم، ولم يهملوهم وينساقوا وراء أباطيلهم وشهواتهم، انتظموا في المجتمعات وتحلوا بكل خلق كريم، لم ينعزلوا عن الناس ولم يتميعوا معهم، فكون لهم ذلك الالتزامُ بتلك المبادئ النبيلة شخصية يجلها عامة الناس قبل خاصتهم، فشاركوا في رعاية وقضاء شؤونهم وتولي أمورهم لم يمنعهم لمز الغلاة الحاقدين ولا خور المقصرين المتقاعسين عن التطوع في خدمة الإسلام والمسلمين، فانخرطوا في المجتمع يبلغون رسالة الله ودينه وتعاليمه، فلم يتركوا للجاهل ولا للمفسد طريقا للإضرار بسماحة هذا الدين الحنيف، فكانوا لا يملّون من توجيه الأمة وإرشادهم والفصل بينهم ونصرتهم على من ظلمهم، ومعاونتهم في أمورهم الاجتماعية؛ كتأسيس منابر لأعمال البر والخير، والرحلة المستمرة في أرجاء الأرض لتبليغ شرائع الله، لإخراج الناس من غياهب الظلمات إلى النور المبين، فارتضت القلوب السليمة من الناس فعالهم بهم، لما كانوا يلاقونه من ظلم وعناء على أيدي أهل الباطل والفساد، فأحبوهم وأكرموهم وانتفعوا بهم.

إن مثل هذه العوامل المهمة التي اتسمت بها دعوة العارفين من العلماء العاملين الربانين في تبليغ رسالة الله لها أثر بالغ في قبول المدعوين لدعوتهم، وميل أفئدة الناس إليهم دون غيرهم.

إن في معايشة الداعية لمجتمعه ومشاركته الإيجابية في شؤونه، وتفاعله مع قضايا الناس؛ أثرٌ كبير في تأليف نفوسهم لمحبة الرسالة التي جاء بها وقبولها.

فهذا نبي الهدى -صلوات الله وسلامه عليه- إمام الدعاة العارفين وسيد ولد آدم أجمعين، وجده مجتمعه في كافة شؤونهم، لم يترك خير إلا دعاهم إليه وما من شر إلا وحذرهم منه، يقضي بينهم بقضاء الله، ويعينهم على الخيرات، ويحبب إليهم الطاعات، يبعث البعوث ويرسل الدعاة سفراء لنقل الرسالة الخالدة إليهم، فكان منهجه مدرسة ذات تأثير كبير، جندت رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يسيحون في سبيل إقامة هذه الشعيرة العظيمة على نهجه القويم المبارك، فعم الخير وبلغ مبلغه الشامخ والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الوظائف الرسمية التي تقلدها

مناصبه وأعماله:

كان الملك عبد العزيز رحمه الله شديد الإعجاب به وبغزارة علمه وسداد رأيه وصفاء ذهنه وقوة شخصيته حتى قال عنه: "لو أردت أن أولي بلداً فيها أميرٌ وقاضٍ في شخصية رجل واحد لكان ذلك هو الشيخ عبد الله ابن حميد".

لقد بلغ الشيخ رحمه الله في علمه ومعرفته ودأبه ومثابرته مكاناً سامقاً ومنزلاً رفيعاً تأهل فيه لكل عمل جليل.

قضاء الرياض:

ومن ثم فقد وقع نظر الملك عبد العزيز رحمه الله على الشيخ ليوليه قضاء الرياض.

ففي شهر المحرم عام ١٣٥٧هـ استدعاه الملك عبد العزيز ليكلفه بالقضاء فامتنع الشيخ امتناعًا شديدًا حتى صار بينهما شد وجذب، وكان مما قاله الملك عبد العزيز: "لئن لم تقبل لأبعثنَّك إلى منطقة نائية موبوءة"، وكان مما قاله أيضًا: "إن ابن زاحم – وهو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم [١٣٠٠-١٣٧٤هـ] وهو أحد قضاة الرياض، رحمه الله رحمة واسعة- قد زحمته الأمور وليس لجماعتك إلا أنت"، فلم يزل الشيخ مصرّاً على موقفه مما دعا الملك عبد العزيز أن يقسم عليه بالله العظيم أنه إن لم يقبل ليبعثنه إلى تلك

المنطقة النائية الموبوءة، والملك قادر على تنفيذ وعيده، فما كان من الشيخ إلا الانصياع، فباشر العمل وحمد الناس سيرته في القضاء نزاهة وتجردا وحكمة وعدلاً، فظل في فض المنازعات بين الناس، ينظر في قضاياهم بعين الإنصاف وتحري الحق، واختص الشيخ ابن زاحم بقضايا البادية ومشكلات السوق، واختص الشيخ عبد الله ابن حميد بما عدا ذلك من الدماء والأموال والعقار ونحوها، كما كان يقوم أيضاً بعمل الشيخ ابن زاحم إذا سافر أو طرأ عليه طارئ، فظل على ذلك قرابة ثلاث سنين(١).

قضاء منطقة سدير:

ثم خلفَ الشيخُ ابن حميد العلامةَ الشيخَ عبدَ العزيزِ بن عبد العزيز العنقري (١٢٨٧ - ١٣٧٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في القضاء عام ١٣٦٠هـ حيث طلب الملك عبد العزيز من الشيخ التوجه إلى بلدة المجمعة ليحل محله في القضاء والتدريس، فما وسعه إلا الامتثال فتوجه إليها في ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ فسار في القضاء سيرته المعهودة من النزاهة والقوة، إضافة إلى قيامه بالتدريس في (مسجد ناصر). وكان قضاؤه شاملا منطقة سدير كلها.

قضاء القصيم:

بعد وفاة علامة القصيم العالم الرباني الشيخ عمر بن محمد بن سليم عام ١٣٦٣هـ رَحِمَهُ اللَّهُ استدعى الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله ابن حميد. وكان

---

(١) **ينظر**: مجلة الدارة، العددان ٣ و ٤ السنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ (ص٥٥).

الملك مقيما في الروضة الموسومة (بروضة خريم) شرق مدينة الرياض، فبعث الملك للشيخ أحد رجاله وأمره بالتوجه إلى جلالته، وكان رأي الملك أن ثلمة عالم كالشيخ عمر بن سليم لا يمكن أن يسدها إلا من كان ذا كفاية عالية كالشيخ ابن حميد، فعند وصول الشيخ أبلغه الملك برغبته في أن يتوجه إلى بريدة قاضياً ومدرساً في منطقة القصيم خلفاً للشيخ عمر بن سليم، فامتنع الشيخ امتناعا شديداً وأبدى مختلف الأعذار، ولكن الملك عبد العزيز رفض اعتذاره وأصر على إلزامه، فقابل الشيخ الإصرار بإصرار مثله، ومما قاله الشيخ: (لو وضَعت السيف على رأسي ما امتثلت).

ولما رأى الملك إصرار الشيخ قال: إذن سنجعل على القضاء الشيخ محمد بن حسين (١٣٠٨-١٣٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ وتقتصر على التدريس، فوافق الشيخ فشد رحاله إلى القصيم فوصل بريدة يوم الجمعة في عشرين من ربيع الثاني عام ١٣٦٣هـ، ونصب نفسه للتدريس، وعقد حلقاته في جامعها الكبير، إضافة إلى قيامه بالإمامة وخطبة الجمعة في جامع بريدة الكبير، (جامع خادم الحرمين الشريفين).

وفي شعبان عام ١٣٦٣هـ صدر إليه التكليف بالقيام بالقضاء من قبل الملك عبد العزيز، فلم يسعه إلا الامتثال لما رأى من الأحوال الداعية لذلك، فحُمِدَت سيرته في القضاء قوة وعدلا، وسماحة وفضلا[1].

---

(١) ينظر: مجلة الدارة، العددان ٣ و ٤ السنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ (ص٥٦).

رئاسة المعهد العلمي في بريدة:

استحث الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله الناس -خاصة الوجهاء- على المطالبة بفتح معهد علمي في بريدة، وذلك بعدما فُتح أول معهد علمي في المملكة وهو المعهد العلمي في الرياض، كما كتب بنفسه إلى ولاة الأمر بهذا الصدد، فجاءت الموافقة بافتتاح المعهد في عام ١٣٧٣هـ، ورشَّح الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله الشيخ محمد بن ناصر العبودي -وهو أحد طلابه البارزين- مديرا له، كما كُلف الشيخ ابن حميد بالرئاسة والإشراف على المعهد[(١)].

الانتداب إلى الحجاز:

في عام ١٣٧٢هـ انتدبه الملك عبد العزيز رحمه الله إلى الحجاز للنظر في قضايا متراكمة، إذ كان يوجد في محاكم مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف قضايا عَسُرَ البت فيها من قبل قضاة سابقين وطال فيها النزاع وتشابك فيها الخصوم فرأى الملك بثاقب نظره أن ليس لها سوى الشيخ عبد الله ابن حميد لبعد نظره، ودقة فقهه، وقوة فصله، فانتدبه للنظر في هذه القضايا، فمكث هناك سنة كاملة متنقلاً بين هذه المدن يمكث في كل مدينة المدة الكافية للنظر في قضاياها، فأتى عليها جميعا، وأمضى فيها حكمه بتوفيق من الله وعونه، فحمدت له فيها السيرة ووصل الحق إلى أهله وخسر المبطلون، فكان له الثناء الجميل من قبل ولاة الأمر والمسؤولين، ومن قبل العامة، مع ما يرجى له إن شاء الله من

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة (ص٢٩٦).

ثواب جزيل عند الملك المقتدر، ثم عاد إلى القصيم قائما بعمله في القضاء والتدريس والنظر في أمور الناس وحل مشكلاتهم والسعي في قضاء حوائجهم.

واستمر في القضاء حتى أواخر عام ١٣٧٧هـ حيث آثر السلامة وطلب الإعفاء، فرفع تلك الرغبة إلى الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله فأجيب طلبه بعد مراجعات وإلحاح شديد، ثم تفرغ للتدريس ومكث في القصيم حتى عام ١٣٨٤هـ حيث انتقل للعمل في مكة المكرمة رئيسا عاما للإشراف الديني في المسجد الحرام.

وقد أسِف أهل القصيم لفراقه فقد عرفوه أبا لصغيرهم وأخا لكبيرهم، فقدوا فيه المعلم ذا الحلقات العلمية المشهورة، والمصلح ذا الإصلاحات الكبيرة، وقد كان يبادلهم الشعور نفسه، فقد أحبهم وأحبوه، ولكن وكما يردد أهل القصيم في أمثالهم (ما طاب لك ما دام لك) غير أنه قد بقي اتصالهم به وثيقا حتى بعد رحيله، وبخاصة في بلدة مثل مكة المكرمة شرفها الله التي تجمع أبناء المسلمين من كل صقع[1].

مستشار الملك للشؤون الدينية:

في عام ١٣٧١هـ استدعاه الملك عبد العزيز رحمه الله وعرض على فضيلته منصباً رأى أنه لا بد من إحداثه حين توسعت الدولة وتشعبت أمور الحكم ورسخت دعائم الدولة، واحتاجت إلى مزيد من النظر في تراتيبها الإدارية، فاستحدث منصب (مستشار الملك في الشؤون الدينية).

(١) ينظر: مجلة الدارة، العددان ٣ و ٤ السنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ (ص٥٧)

ولكن ما إن علم أهل القصيم بهذه الرغبة الملكية حتى أرسلوا وفداً كبيراً منهم لمقابلة الملك وطلب إبقاء الشيخ عندهم لما رأوه من نفع في البلاد والعباد، قضاءً وتدريسا وفتيا وجمعا للكلمة، فألحوا على الملك في ذلك وهو يأبى، فلما رأى إصرارهم العجيب رق لهم، وحمد لهم صدق تمسكهم، فما كان من الملك إلا أن جمع بينهم وبين الشيخ في مجلس واحد، ثم قال: هذا هو الشيخ عبد الله وها أنتم أيها الوفد، ثم وجه الحديث إلى الشيخ قائلاً: هؤلاء أهل القصيم يريدون عودتك إليهم وأنا إمامك ومحتاج إلى بقائك عندي، فإن اخترت البقاء عندي فأنا إمامك وواجبك الطاعة لي، وإن أبيت واخترتهم فالله ربنا وربك، فأجاب الشيخ: أنا في السمع والطاعة إن أمرتني بالبقاء بقيت وإن أمرتني بالذهاب معهم فلا يسعني إلا تنفيذ ما تأمرون به، فسكت الملك قليلا ثم قال: ما دام أنهم قد توجهوا من بلادهم وطلبوني فإني أوثرهم على نفسي، عندئذ عاد الشيخ إلى منطقة القصيم وقرت أعينهم بعودة شيخهم إليهم[(١)].

الإشراف الديني على المسجد الحرام:

رأى الملك فيصل رحمه الله (١٣٢٤-١٣٩٥هـ) أن هناك حاجة لإنشاء جهاز خاص يدير شؤون المسجد الحرام إذ كانت المسؤولية فيه موزعة بين عدة إدارات، من وزارة الأوقاف ورئاسة القضاء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها فرأى أن يجمع ذلك في جهاز واحد، فكان الرجل المناسب

(١) **ينظر**: مجلة الدارة العدد (ص٥٨).

هو الشيخ عبد الله ابن حميد، فهو يجمع بين العلم والديانة وبعد النظر وحسن التعامل مع أصناف الناس، ولعل حسن السمعة التي خلفها حين أنهى القضايا المتخلفة في الحجاز عام ١٣٧٢هـ كانت من وراء هذا الاختيار، فلما أبدى الملك فيصل رغبته ما وسع الشيخ إلا الاستجابة، وبخاصة أنها أعمال ليست كأعمال القضاء، فكان ذلك عام ١٣٨٤هـ، واسم الجهاز: الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام.

فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام وباشر عمله ورتب الإدارة واتسعت دائرة اتصالاته بعلماء الحرمين الشريفين وبخاصة علماء المسجد الحرام والمدرسين فيه، كما تكثفت اتصالاته بالوافدين إلى المسجد الحرام من أهل العلم والصلاح في مواسم الحج والعمرة، كما شرع الشيخ في التدريس في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم في درس واعظ، وحلقة مشهورة، وفتاوى رصينة.

وكان من أهم ما اهتم به الشيخ تنظيم شؤون المسجد الحرام في أئمته ومؤذنيه، فقد كان الأذان متعددا إذ كان يوجد في كل منارة من منارات المسجد الحرام مؤذن يؤذن فألغى الشيخ ذلك وجمعهم على مؤذن واحد، إذ إن مكبر الصوت كاف في إسماع الأذان إلى جميع الأنحاء، وصار المؤذنون يأخذون نوباتهم من خلال جدول مرتب كل مؤذن يعرف أوقاته.

كما كان الشيخ رحمه الله يُحِبُّ أهل العلم ويكرمهم ويدنيهم من مجلسه، وبخاصة علماء المسجد الحرام ومدرسيه فقد كانت لهم عنده منزلة خاصة

وحظوة متميزة، فكان يعتني بهم ويسعى في تهيئة الجو المناسب لهم ليقوموا بمهمة التدريس على خير وجه، وسعى في صرف مكافأة لهم تشجيعا لهم، واعترافا بجهودهم وبفضلهم(١).

معهد الحرم المكي:

عرف عن الشيخ حبه للعلم، وسعيه في نشره، ورعايته لطلابه وحدبه عليهم وحبه لهم، وعلى الرغم من أن الشيخ تلميذ حلقة وشيخ حلقة ومشجع للحلقات العلمية، لكنه رأى بثاقب نظره ما عليه متغيرات العصر، وزهد الناس في التعليم الديني، وانصرافهم إلى التعليم النظامي بقصد نيل الشهادات، وتلمس وجوه الأعمال، فاقتضى نظره إنشاء معهد داخل أروقة المسجد الحرام يقوم على طريقة الحلقات لكنه يأخذ من التعليم النظامي محاسنه من حيث الضبط في الحضور والانصراف في المواعيد، واستقرار المواد العلمية التي يرغب بتدريسها، ويأخذ من الحلقات تحلق التلاميذ حول الشيخ واقترابهم منه، والتفافهم حوله في داخل أروقة المسجد الحرام، مما يعطي صفة خاصة لهذه الدروس، ومما يرجى معه نيل بركة المكان وفضل العلم.

وبالفعل تم تأسيس معهد الحرم المكي عام ١٣٨٥هـ معادلا مرحلتي المتوسطة والثانوية، واختار له المعلمين العلماء الأكفاء، فكان نبتة صالحة يخرج نباته بإذن ربه، فتخرجت فيه الأفواج تلو الأفواج، ولا يزال عطاؤه

---

(١) ينظر: مجلة الدارة (ص٦٠).

مستمراً وثماره متواصلة من أبناء البلاد وخارج البلاد من بلاد المسلمين كافة[1].

رئاسة المجلس الأعلى للقضاء

حينما ترك الشيخ القضاء عام ١٣٧٧هـ في القصيم، لم يفتأ المسؤولون -وفقهم الله- يعرضون عليه مناصب قضائية عليا ولكنه يأبى لما يدركه رحمه الله من شدة القضاء، وعظمة الوقوف بين يدي الله عز وجل، فقد عُرض عليه رئاسة محكمة الرياض، ورئاسة محكمة مكة المكرمة، ورئاسة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، ورئاسة محاكم الأحساء، ورئاسة محاكم القصيم، فأباها جميعا طلبا للسلامة، ولكنه قبِلَ أعمالا إدارية، كرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام، ونظرا لسمعة الشيخ وبعد صيته في القضاء وقوته فيه فلم يفتأ المسؤولون -يحفظهم الله- من بذل المحاولات لإقناع الشيخ بالقبول حتى كان عام ١٣٩٥هـ، حيث رغب منه الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله أن يتولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء، وهو منصب جديد استحدثه الملك خالد -يرحمه الله- ليكون المرجع النهائي في القضاء وله مهمات أساسية؛ منها الفصل فيما يختلف فيه القاضي مع هيئة التمييز، والبت في أحكام القصاص والحدود، وتعيين القضاة وترقيتهم وإعفاؤهم وإحالتهم للتقاعد بعد استصدار الأمر السامي في ذلك، حسب ما نصت عليه نظم مجلس القضاء ولوائحه، فما وسع الشيخ إلا الامتثال لطلب الملك فتولى رئاسة المجلس واستمر فيه حتى

---

(١) **ينظر**: مجلة الدارة (ص٦٢).

وافاه الأجل رحمه الله وهو في هذا المنصب مرجعا لجميع قضاة البلاد، ينظر في أحكامهم وأحوالهم واستحقاقاتهم، فكان محمود السيرة، حريصا على توجيه القضاة وتذكيرهم بمهمات أعمالهم، حافظا لحقوقهم، حاميا لجنابهم، كما كان قوي الموقف فيمن يخالف(١).

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها

١- عضو هيئة كبار العلماء في المملكة:

وقد تم اختياره بأمر الملك فيصل رحمه الله بتاريخ ٨/ ٧/ ١٣٩١هـ، وكان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله أحد أعضائها المجتهدين في حضور الجلسات سواءً أقيمت في الرياض أو الطائف، كما تولى رئاسة الهيئة في بعض الجلسات، واستمرَّ فيها إلى أن توفيَ عليه رحمة الله(٢).

٢- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي:

وقد أُنشئت الرابطة بقرار صدر من (المؤتمر الإسلامي) الذي عُقِد بمكة في ١٤ ذي الحجة عام ١٣٨١هـ، ولها مجلس تأسيسي يضُمُّ ستين عضواً من أهل العلم والمعرفة من شتى البلاد الإسلامية، والمجلس هو السلطة العليا للرابطة وهو الذي يعتمد كافة الخطط لأمانة الرابطة، وينعقد المجلس دوريا لاتخاذ القرارات ودراسة البحوث المقدمة من الأمانة أو أعضاء المجلس،

---

(١) ينظر: مجلة الدارة (ص٦٢).

(٢) ينظر: مجلة الدارة (ص٦٤)، وتاج القضاة (ص١٧٦) لسليمان العثيم.

والقيام على أبرز أهداف الرابطة من نشر الدعوة الإسلامية، وشرح مبادئ وتعاليم الإسلام في العالم، ودحض الشبهات التي تثار حوله، وفضح مخططات أعداء الإسلام، والنظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وأمالهم وحل مشكلاتهم.

وقد كان الشيخ عبد الله ابن حميد عضوا فاعلاً في النقاش ملازما لحضور الجلسات إلى أن توفيَ رحمه الله تعالى(١).

٣- رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة:

وهو مجمع يضم كبار العلماء من شتى أنحاء البلاد المسلمة، تأسس بأمر الأمانة االعامة للرابطة عام ١٣٨٤هـ، ويتم اختيار أعضائه من المجلس التأسيسي للرابطة، ومهمته تبيين أحكام الشريعة الإسلامية في القضايا والنوازل العصرية، وما يجِدُّ من الأحكام التي تتعلق بعامة الناس، من القضايا الطارئة والمشكلات التي تواجه المسلمين.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله رئيس المجمع إلى أن توفيَ رحمه الله عام ١٣٨٩هـ، فخلفه الشيخ عبد الله ابن حميد إلى أن توفي رحمه الله(٢).

٤- عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي:

وهو مجلس إداري يقوم بعمارة المساجد وصيانتها والعناية بها

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة (ص١٧٧) لسليمان العثيم.
(٢) المصدر السابق (ص١٧٩).

وتطهيرها، أنشئ بناءً على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد في رمضان عام ١٣٩٥هـ بدعوة من الرابطة، ويتكون المجلس من أربعين عضوا يمثلون الشعوب الإسلامية، وكان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله عضواً فيه مشاركاً في اجتماعاته ومبادراً بآرائه ونصائحه إلى أن توفيَ رحمه الله تعالى[١].

٥- عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة:

دعا إلى هذا المؤتمر جمع من أهل العلم من بينهم الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله، وذلك بموافقة ولاة الأمر، فأقيم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٧هـ، وتكون أعضاء المؤتمر من علماء من داخل المملكة وخارجها، كان من بينهم الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله[٢].

المعهد العالي للقضاء والرسائل العلمية:

حينما أنشئ المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٦هـ في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله طلبوا منه التدريس فوافق واستمر في التدريس فيه كل عام.

وحينما بدأت الجامعات السعودية تمنح الشهادات العليا في الماجستير والدكتوراه وطلبوا منه الاشتراك في مناقشة رسائل الطلاب وافق على ذلك؛ بل إن أول رسالة علمية في الدكتوراه في الفقه الإسلامي في المملكة نوقشت على

---

(١) المصدر السابق (ص١٨١).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٢).

يديه رحمه الله، وهي رسالة فضيلة الدكتور شرف بن علي الشريف[1]، وذلك في جامعة أم القرى عام ١٣٩٨هـ، وعنوانها: "حكم الإجارة الواردة على عمل الإنسان".

وكذلك ناقش سماحته أول رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٣٩٨هـ، وعنوانها: "الأطعمة ما يحل وما يحرم منها"، لمعالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

(١) ينظر: مجلة الدارة (ص٦٤).

الكتب والرسائل الجامعية المؤلفة في سيرة الشيخ وعلومه

أولا: الكتب:

١- تاج القضاة في عصره سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد، للشيخ سليمان العثيم.

٣- الشيخ العلامة عبد الله ابن حميد كما عرفته، لمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي.

٤-صاحب السماحة الشيخ عبد الله ابن حميد (حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة ومراسلاته)، للشيخ محمد بن سيد أحمد.

٦- سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في عيون محبيه وتلامذته وبعض رسائله وآثاره العلمية، للشيخ صلاح بن إبراهيم الزامل.

٧- سيرة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد وأقضيته في المجمعة وسائر إقليم سدير (منازع الأحكام ونوازع التاريخ)، للدكتور عثمان بن عبد العزيز العسكر.

ثانيا: الرسائل العلمية:

١- رسالة ماجستير بعنوان: "أقوال الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله في التفسير جمعًا ودراسةً من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة هود"، إعداد/ سمية بنت عبد الله بن عبيد الموسى، جامعة المجمعة، كلية التربية بالزلفى.

٢- رسالة دكتوراه بعنوان: "أقوال الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله في التفسير جمعا ودراسة من أول سورة يوسف إلى سورة الناس"، إعداد/ حليمة بنت عبد الله بن عبيد الموسى، جامعة المجمعة، كلية التربية بالزلفى.

٣- رسالة دكتوراه بعنوان: "منهج الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله في الحكم وأقضيته"، إعداد/ منصور بن عبد الله المنصور.

٤- رسالة دكتوراه بعنوان: "فتاوى الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله"، إعداد/ محمد بن عبد الرحمن المقرن.

٥- رسالة ماجستير بعنوان: "جهود الشيخ عبد الله ابن حميد في الدعوة إلى الله تعالى"، إعداد/ محمد بن حسين الشيعاني.

٦- رسالة ماجستير بعنوان: "جهود الشيخ عبد الله ابن حميد في تقرير عقيدة السلف الصالح"، إعداد/ ابتسام اللهيم.

٧- رسالة ماجستير بعنوان: "آراء الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله التربوية من خلال مؤلفاته المطبوعة"، إعداد/ حسن الناشري.

٨- رسالة ماجستير بعنوان: "أسئلة التفسير في فتاوى الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد (دراسة تحليلية)"، إعداد/ سلطان بن صغير بن نايف العنزي.

ثالثا: كتب تناولت آثاره العلمية:

١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية لمجموعة من علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٢- مجموع رسائل سماحة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد العامة للدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة.

المبحث الثاني

جهوده الدعوية

إن من أهم أسباب توفيق الداعية إلى الله تعالى سلوكه في دعوته المنهج الذي أمر به الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذا ما نلمسه جليًّا في دعوة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله؛ حيث سلك هذا المنهج القرآني في دعوته إلى أصول الدين وفروعه، وفي دفاعه عن حياض الدين بما أوتي من علم غزير؛ فيؤلف الكتب في الرد على الخارجين عن الحدود، وتُقرأ عليه المؤلفات والرسائل، والمقالات التي تنشر في المجلات الأسبوعية واليومية فيملي على كاتبه ما يراه مناسبا على ما قد يرد فيها من افتراءات وشطحات مخالفة للدين أو فيها ضرر على المجتمع الإسلامي في مختلف المواضيع، في الحدود والقصاص، والربا، والحج، والعمرة، والصلاة، والزكاة وغيرها، سواء أكانت أصولا أو فروعا، ويرسلها إلى الصحيفة أو المجلة الناشرة للموضوع المردود عليه، وكانت تلك الصحيفة تنشره فورا، فيقرأه أفراد المجتمع، فيجدون فيه -لا سيما طلبة العلم- إشراف العلم، والقول الفصل، والرد المستنير الهادئ الذي لا يخرج عن الموضوع، بل يوضح الحق، فما يلبث صاحب الشأن أن يقتنع ويرجع عن قوله غير السليم إلى الطريق المستقيم، وهكذا كان رحمه الله سنوات طويلة منافحا، ومدافعا عن دين

الله القويم، إلى جانب المؤلفات والرسائل والفتاوى العديدة في مختلف المسائل الفقهية والعقائد.

المطلب الأول: مجالاته الدعوية:

- **الإعلام المسموع:**

١. برنامج (نور على الدرب).

٢. برنامج (فاسألوا أهل الذكر).

٣. ندوات وزارة الحج والأوقاف لموسم الحج.

٤. ندوة مكتوبة (المساجد وأثرها)، عقدت بالرابطة.

٥. منابر المساجد.

- **الصحف:**

١. صحيفة البلاد.

٢. صحيفة الجزيرة.

٣. صحيفة الدعوة.

٤. صحيفة الرياض.

٥. صحيفة الشرق الأوسط.

٦. صحيفة العدل.

٧. صحيفة القصيم.

٨. صحيفة المدينة المنورة.

٩. صحيفة الندوة .

١٠. صحيفة حراء.

١١. صحيفة عكاظ.

• **المجلات:**

١. مجلة الأمة.

٢. مجلة البحوث الإسلامية.

٣. مجلة البلاغ.

٤. مجلة البيان.

٥. مجلة التوحيد المصرية.

٦. مجلة التوعية الإسلامية.

٧. مجلة الحج.

٨. مجلة الدارة.

٩. مجلة الدعوة.

١٠. مجلة الرابطة.

١١. مجلة العرب.

١٢. مجلة المنهل.

١٣. مجلة الهدي النبوي.

١٤. مجلة اليمامة.

١٥. ملحق المجلة العربية.

• **الخطابات:**

١. خطابات إلى الهيئات الرسمية.

٢. سجل القضايا لدى معالي الشيخ صالح ابن حميد.

٣. لقاءات مع معالي الشيخ محمد ناصر العبودي بمكتبة الرابطة.

٤. مجموعة وثائق لدى معالي الشيخ صالح ابن حميد.

٥. مختارات من قرارات المجمع الفقهي الإسلامي.

المطلب الثاني: منهجه في الدعوة إلى الله وتضحياته لها

المنهج هو الطريق الواضح، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وفي حديث العباس رضي الله عنه: "فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى وصل الحبال، ثم حارب وواصل وسالم، ونكح النساء وطلق، وترككم عن حجة بينة، وطريق ناهجة"(١) أي واضحة(٢).

والمراد: بيان الطرق والأساليب التي سلكها الشيخ رحمه الله في الدعوة إلى الله.

إن طبيعة المدرسة التي ترعرع وتعلم فيها الشيخ رحمه الله كفيلة بأن تنتج عنها تلك المنهجية الحكيمة في الدعوة إلى الله، لين وعطف مكسو بقوة وحزم، ولا غرو فإن مدرسة السلف الصالح -رحمهم الله - التي ينتمي إليها سماحته، كانت ذات منهجية دقيقة وشاملة، تتجلى منها الوسطية بأروع حللها، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

هذه المنهجية الحكيمة المقتبسة من دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، والتي أساسها رحمة الخلق، ولين القول والمنطق.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (ح:٩٤٦٠) من حديث العباس رضي الله عنه.

(٢) **ينظر**: لسان العرب (٢/ ٣٨٣) لابن منظور.

قال رحمه الله: "ينبغي للداعي أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا، فإن في تليين القول ما يكسر عناد الطغاة"(١).

ولم يزل رحمه الله يؤكد على هذا المنهج المهم، ليبين للدعاة أهميته في الدعوة إلى الله يقول أيضا: "ينبغي ألا يعنف أحدا، أو يعلن له بالفضيحة، ويشهر باسمه على رؤوس الخلق، فإن ذلك أبلغ في قبول الدعوة، وأحرى إلى الاستجابة والانصياع"(٢)؛ لأن في سترهم تأليف قلوبهم وتحبيبهم لشرائع الله.

ولا يعني هذا التهاونَ وعدمَ الحزم مع بعض المعاندين، بل كان يرى التعامل معهم بحكمة وإنصاف حسب ما تقتضيه المصلحة، ويتجلى ذلك النهج في خطابه لأحد أعضاء الهيئة وفيه: "نفيدكم أن طبيعة الناس تختلف، فمن كان الستر عليه يدفعه ويشجعه على التمادي في الفسوق والفجور، فالأولى إظهار فعلته ليرتدع هو وأمثاله عنها حسب ما تقتضيه المصلحة"(٣).

وقد حرص رحمه الله على هذا المنهج في عموم دعوته للناس، خصوصا مع ولاة الأمر وأصحاب الشأن، فأنزلهم منزلتهم، مبينا فضلهم وقدرهم وجهودهم أثناء مراسلتهم ومخاطبتهم، ومن ذلك قوله: "فإنه لم يبق الآن من ملوك الإسلام، من يؤمل فيهم النصرة للدين سوى هذه الأسرة الميمونة، ولا تزال هي محط أنظار العالم الإسلامي، كيف لا وأنتم حماة الحرمين الشريفين، وحماة

---

(١) ينظر: المجموع ٤٤-٤٥.

(٢) ينظر: فتاوي الشيخ عبد الله ابن حميد، رسالة الدعوة إلى الله (ص٣١١).

(٣) ينظر: جهود الشيخ عبد الله ابن حميد (ص ٢٣٣- ٢٣٤) للشيعاني.

قبلة المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وأسلافكم الأفاضل، هم كانوا حماة الدين ومنارا ساطعا لرفع راية التوحيد"(١).

ولقد كانت حدود الله وشرائعه أصولا وفروعا منهجا متبعا له، سخرها الشيخ رحمه الله في دعوته، لا يعدو في ذلك نهج السلف الصالح القويم القائم على أصول يصدرون عنها ويرجعون إليها عند الاختلاف ويردون إليها عند التنازع، وينزلون على حكمها ويعتمدون عليها في العلم والدين، تتلخص فيما يلي:

المصدر الأول: كتاب الله تعالى وهو كلامه أصدق الكلام، ولا أصدق منه.

المصدر الثاني: السنة الشريفة وهي هدي محمد ﷺ خير الهدي، ولا هدي خير منه. وهي التي تفسر القرآن وتبينه، وهي مثل القرآن في الحجة ولا تناقضه.

المصدر الثالث: الإجماع (إجماع المسلمين)، وهم الجماعة أهل السنة الذين لا يجتمعون على ضلالة. والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى، وأما بعدهم فكثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

المصدر الرابع: القياس: ينبني القياس على الثلاثة المصادر المتقدمة.

فهذه الثلاثة هي موازين أهل السنة والجماعة يزنون بها كل شيء، ويعرضون المسائل المهمة عليها كمسائل التوحيد والعلم والعمل، والإتباع وترك الابتداع، وتقديم النقل على العقل، والتدرج في الدعوة، والوسطية والاعتدال، والقيام بحقوق

(١) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٢٩).

ولاة الأمر، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالعلم والدين.

لقد كانت حياته حافلة بمناهج وأساليب مباركة موفقة في الدعوة إلى الله، حيث ظلت الدعوة شغله الشاغل إلى وفاته رحمه الله، فمنذ وقت مبكر قام بتبليغ شرع الله والدعوة إليه من خلال دروسه، ومواعظه، وخطبه، ولقاءاته، ومراسلاته الخاصة والعامة.

ومن تلك الكتابات توجيهاته للناس عامة في عصره يبين لهم فيها حقيقة وفضل الدعوة إلى الله، بمنهج الحكمة والإحسان، في قوله: "أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة إلى سبيله وبأن تكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فرتب الدعوة على حسب مراتب الخلق، والدعوة إلى سبيله مستلزمة لبيان السبيل للمدعو إليه، وقد بان هذا السبيل بالوحي الإلهي ما وضح قواعد الدين الاعتقادية والعملية، فما قام دين من الأديان ولا مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة إليه، ولا تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا انتكث فل شريعة بعد إحكامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها إلا وسببه ترك الدعوة.

فيا أيها العلماء وحماة الدين: ما لنا نرى الحق بدت معالمه تتضاءل؟ وآثاره تعفو وتندرس ومذاهب الباطل تموه بالدعوة ويعم انتشارها؟

إن الإسلام بدأ يضعف منذ أن اقتنع أهله بالترف والنعيم وأهملوا العناية بالدعوة إليه، فو الله لو بقي للعلماء سؤر من الغيرة على دينهم لنفروا خفافا

وثقالا للإرشاد والدعوة، فإن الأمة الإسلامية في مبدأ نشأتها قامت بالدعوة إلى دينها، مُبينة للأمم سماحته شارحة حكمه موضحة محاسنه، فقد أُعطيت أمثل التعاليم وهُديت إلى صراط مستقيم، وبذلك امتد سلطانها واتسعت ممالكها وأخضعت من سواها لأوامر القرآن ونواهيه، ثم ما لبثت أن حرفت فانحرفت وتمزقت بعد ما اجتمعت؛ حرفت التعاليم الحقة واشتبه عليها الحق بالباطل، وتبعت السبل فتفرقت بها عن سبيل الحق، فأصبحت اليوم شيعا متفرقة. لمّا أضاعت الحق والدعوة إليه ضاعت وهانت وصارت غثاء كغثاء السيل، فلو أن الأمة الإسلامية تمسكت بدينها وعملت بكتاب ربها واتبعت سنة نبيها، لكانت أرقى الأمم وأسعد الناس"(١).

وهكذا نذر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه للدعوة إلى الله، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع بيان عالمية الدعوة إلى الإسلام، ينتهج سنن الهدي النبوي الذي يقوم على تحقيق شروط العبادة من الإخلاص والمتابعة، ليصبح نبراسا للدعاة من بعده حين تضاربت تلك الأساليب وتعددت حتى أصبحت محل طعن المتربصين بالدعوة والناقمين عليها، الذين ينفثون فيها الشبهات للإضرار بها، فكانت أساليبه واضحة المسالك والغايات بعيدة عن التمييع الذي لا يقدر الثوابت، وعن المغالاة التي لا تراعي المصالح.

وفي بيان أهمية الإخلاص والمتابعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع العبادات ومنها الدعوة إلى الله قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ينبغي للمسلم أن يخلص نيته لله جل وعلا في جميع

---

(١) ينظر: توجيهات إسلامية (ص٢) لسماحة الشيخ عبد الله ابن حميد.

أعماله، فإنما الأعمال بالنيات، فيفرد الله بالعبادة دون سواه، فلا يجوز صرف شيء من العبادة لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما.

والعبادة لا تصح إلا إذا انبنت على أصلين عظيمين:

أحدهما: تجريد الإخلاص لله.

والثاني المتابعة للرسول ﷺ.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فالخالص يكون لله، والصواب يكون على السنة، فلا ينبغي لأحد أن يشرع ما لم يأذن به الله، إذ لا مجال للآراء، ولا مسرح للعقول في تغيير شيء من أنواع العبادة بزيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل... بل الدين كامل شامل لمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وفي كل ما يحتاجون إليه في شؤونهم كلها"(١).

وقال أيضا: "كمال محبة النبي ﷺ وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره، واجتناب نهيه، وإحياء سنته ظاهرا وباطنا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان"(٢).

فهذه رسالة واضحة لأولئك الذين ينتهجون الأساليب العشوائية ويشرعون ما لم يأذن به الله؛ ظنا منهم أنهم يسعون في خدمة دين الله، وهم

---

(١) **ينظر**: الإبداع شرح خطبة الوداع (ص ٦٧).
(٢) **ينظر**: الدرر السنية (١٦/ ١٠٤).

يضرون به من حيث لا يشعرون أو يشعرون! هدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم.

فمنهج دعوة العلماء العارفين الربانيين مبني على الإخلاص لله وحده، والمتابعة للرسول ﷺ، منهجٌ تترسخ فيه الثوابت وتُراعى المصالح، وهي أمور ضل وعجز عنها الدعاة إلى طوائفهم أو إلى أنفسهم، الذين لا يكادون يستقرون على وجهة واحدة، يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال، بينما تجد منهج العلماء العارفين ثابت لا يعتريه التخبط ولا تغيره الأيام والأحوال، فأصبح لدعوتهم أثر نافع وشامل.

يقول رحمه الله: "إن الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، يجب عليهم إصلاح نيتهم في أمرهم ونهيهم، وأن يقصدوا بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة... فإن من أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فلينها، وفي الألسن الذربة فقيدها، وفي يد السلطة فعقلها، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم"(١).

لقد كان الشيخ رحمه الله على دراية تامة بما يتعرض له الدعاة إلى الله وما يلاقونه من مشاق في سبيل تبليغ دين الله، فلا يزال يوجههم بالصبر والتصبر واستشعار الأجر العظيم من الله جل وعلا، ليبقى لدعوتهم الأثر الطيب، ومن حديثه عن هذا النهج ومشروعية التحلي به قوله: "وإنما الأجر على قدر

(١) **ينظر**: الدرر السنية (١٥/ ٤٦).

النصب... غير أن الناصح الداعي، والآمر الناهي، ينبغي أن يوطن نفسه على الصبر، ويثق بالثواب من الله عز وجل، ومن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى، وهان عليه كل ما يلاقيه في سبيل ذلك، وحين لم يُرد بعمله إلا وجه الله والدار الآخرة، فإن الله يحفظه من بأس الصائلين والمعتدين، وذلك ببركة إخلاصه وحسن مقصده وقوة توكله على الله"(١).

فلا ينبغي للدعاة التذمر واليأس من هداية المدعوين؛ لأن الهداية بيد الله وحده، وإنما عليهم البلاغ على النهج المأمور به شرعا. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

جاء في إحدى رسائل الشيخ رحمه الله التي وجهها إلى العلماء المصلحين، قوله: "وإن العلماء – وفقهم الله- يعلمون أن الدعوة إلى الله محفوفة بالمخاطر محوطة بالأشواك، ومن شأن تلك المخاطر تسرب اليأس إلى النفس، فيكون ذريعة لتثبيط همة الداعي المرشد.

ولكن من الخير والمصلحة أن يُحال بين اليأس وبين الداعي بما يراه من تلك العقبات، وتلك الشدائد التي يراها، بأنه لا غنى له عنها، وأنها سنة فيمن سبقه من الدعاة المصلحين كالرسل وأتباعهم.

فترك الدعوة والإرشاد، أو التقصير فيهما، سبب للانحراف عن الدين

---

(١) المصدر السابق (١٥/ ٤٦).

الذي من شأنه اختلاف الكلمة، وتصدع الوحدة، وتشتت للشمل، واختلاف الأمر. ويكون كلٌّ لا هم له إلا السعي وراء الغايات الشخصية، ولو كان في معصية لإلهنا، وضياع لأمتنا وعزتنا، مع ما انضاف إلى ذلك من تنابذ وشقاق، وترويج للباطل، وتمويه للحقائق"(١).

ويبين رحمه الله أن على الداعية أن يبذل الدعوة لكل أحد مهما كانت منزلته ومنصبه، فاسمع قوله رحمه الله: "فلا يتركه لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته، توجب عليه حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها؛ وصديق الإنسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك نفع في دنياه؛ وإنما كان إبليس عدو لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أولياء للمؤمنين، لسعيهم في مصالح أخراهم وهدايتهم إليها"(٢).

ومن منهجه أنه كان يحث الدعاة ويذكرهم كثيرا باقتضاء العلم العمل، ولا يكونوا كاليهود الذين يتكبرون ويتعنتون بأن يدعون الناس إلى الخير والصلاح وهم لا يفعلونه، قال رحمه الله: "فاليهود عندهم شيء من الكبر والعظمة فكل من وقع في شيء من هذا ففيه شيء من الكبر، ومن شعار اليهود أنهم يأمرون الناس

(١) **ينظر**: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله ابن حميد ١٩٤—١٩٦.
(٢) **ينظر**: الدرر السنية (١٤/ ٤٨٧).

بالبر وينسون أنفسهم، ومن وقع في مثل هذا ففي شبه من اليهود"[١].

ومن منهجه رحمه الله أيضا، تقديم النقل على العقل في كافة العبادات ومنها الدعوة إلى الله، فإن للعقل حدودا لا ينبغي له أن يتجاوزها، فلو تعارض أمر من وسائل أو أساليب الدعوة إلى الله مع النقل، قدم النقل على الأهواء والعقول، فلا يجوز إقحام أساليب محرمة مضطربة في الدعوة بأي حجة كانت، فدين الله تام كامل، ورجاله من السلف الصالح أعلم وأحكم وأسلم، فلا تسولن نفس للناس تشريع ما لم يأذن به الله ظلما وجهلا وافتراء. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٢].

فالشيخ رحمه الله راعى هذا المنهج في دعوته إلى الله وكان واعيا بأهمية هذا النهج، استمع إلى قوله وهو يوضح ذلك: "فقول القائل: (العقل يؤيد هذا) فنقول له: العقل لا مجال له في العبادة بل العقل عليه الانقياد والقبول والإذعان لما دل عليه الكتاب والسنة، أما العقل فاجعله بمعزل، لكن العقل قد يظهر له حكمة هذا الأمر أو حكمة هذا النهي، ولا يكون ميزانا في العبادة، كقول أحدهم: ينبغي أن نحث الناس على الخير، أو نحث الناس على الصيام أيام معينة، فلو أوجبنا عليهم صياما أو صلاة أو عبادة من العبادات هذا سنة، فنقول: كل بحسب اختياره، أو قلت مثلا: ينبغي أننا نأمر الناس أن يؤذنوا لصلاة

---

(١) **ينظر**: جهود الشيخ عبد الله ابن حميد في الدعوة (ص١٧٤) للشيعاني.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤).

الضحى اهتماما بصلاة الضحى، والعقل يؤيد ذلك حتى الناس أن يكونوا متصلين بخالقهم لطول المدة بين الفجر والعصر[1]، وإن قلت إن العقل يؤيده"[2].

يريد رحمه الله من هذا الكلام: أن المرجع عند أهل السنة والجماعة هو الكتاب والسنة لا ما استحسنته العقول والأهواء، وإن كانت نية الداعية حث الناس على الخير.

ومن منهجه رحمه الله أيضا البدء بالأهم فالمهم في الدعوة إلى الله، يقول رحمه الله: "وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، كما أمر النبي ﷺ معاذا حين بعثه إلى اليمن، فبذلك يصير الكافر مسلما، والعدو وليًّا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال"[3].

هذا هو منهج الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة الناس إلى الله جل وعلا، يدعونهم أولا إلى تحقيق التوحيد وإفراد الله جل وعلا بالعبادة دون ما سواه، ثم يعلمونهم ويأمرونهم ببقية الشرائع والعبادات القولية والعملية الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

---

(١) لعله يريد الظهر.

(٢) ينظر: جهود الشيخ عبد الله ابن حميد في الدعوة (ص١٨٨) للشيعاني.

(٣) ينظر: فتاوى الشيخ عبد الله ابن حميد، رسالة الدعوة إلى الله (ص٣٠٨).

ولقد قضى نبينا ﷺ ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو الناس إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك وأسبابه، فكانت العناية بدعوة الناس إلى توحيد الله، وبيان خطورة الشرك بأنواعه وتحذيرهم من كل ما يمس عقيدتهم بسوء، ومحاربة البدع والمنكرات من أولويات منهج الشيخ رحمه الله في الدعوة إلى الله، فجعل الدعاة العارفين ينتهجون هذا المنهج الرئيس عند شروعهم في الدعوة إلى الله تربية وتعليما بالتي هي أحسن، لتستوي الطريق أمام المدعوين وتنجلي المعالم وتتحقق الطاعة بتمامها، فدعوة الناس إلى حسن الخُلق مثلا، لا تجد له أثرا حقيقيًا أو قبولا إلا بعد تحقق معرفة الآمر بذلك وهو الحق سبحانه، وبيان عظمته في نفوس المدعوين؛ لذا أسس الشيخ هذا المنهج القويم في تلاميذه ومحبيه وإخوانه من العلماء ومعاصريه، حيث برز هذا المنهج في مؤلفاته ومحاضراته ودروسه وفتاويه، فلا يعظ أو يصنف إلا ويتكلم عن أهمية التوحيد وخطورة الشرك والابتداع في الدين، ويؤكد على هذا الأمر دون كلل أو ملل، ويرشد الدعاة في كل مناسبة إلى هذا الأصل العظيم.

ومن ذلك قوله وهو يتحدث عن فضيلة الدعوة إلى التوحيد وبيان أهميتها: "فلا شك أن الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، وإرشاد الخلق إلى الصراط السوي هي وظيفة المرسلين وأتباعهم الهداة المصلحين، والدعاة الناصحين"[(١)].

---

(١) **ينظر**: المجموع من مؤلفات سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد ص٤١.

فكان رحمه الله يراعي حاجة الأمة، فيقدم المهم من قضاياها في دعوته ويوليها اهتماما كبيرا، فيشرع بالحديث عنها أكثر من غيرها، ويوصي الدعاة بذلك، يقول رحمه الله: "فكان الأجدر العناية بما هو أهم، فقد حل بالأمة بل وبالخليج العربي من الدعايات الكاذبة والأهداف الرامية إلى ما يتنافى مع الإسلام مما يسمى تارة تحررا، وتارة تنورا وتمدنا، وهي حقا ظلمة وتحررا عن التكاليف الشرعية، فنجد المسلمين انتشرت بينهم مذاهب هدامة، وموجة إلحادية كبرى، وقد علم كل واحد ما آل إليه أمر المسلمين اليوم من الانهيار الديني والتدهور الخلقي.

والذي يشهد عليه التاريخ أن العلماء كلما أوغلوا في المناقشات الفرعية والأمور التي ليست لها علاقة بأصل الدين أدى هذا الأمر إلى النتائج الوخيمة والعواقب المرة في حق الإسلام، بينما كان من واجب علماء المسلمين أن يُشعروا الناس بالمضاعفات الخطيرة للظلام الحالك الذي يوطد دعائمه في المجتمع باسم النور والتفتح، ويطلعوهم على المصير الذي صار إليه أمر الشيوعية الاشتراكية. وآخر يدعو إلى أن لا دينية؛ إنكارا لوجود الإله.

فالاشتغال بالرد على هؤلاء وتبيين كفرهم وإلحادهم وتبصير الناس بدينهم العظيم، وغرس الإيمان في قلوبهم بعظمة خالقهم وباريهم ومحاربة هذه التيارات الإلحادية باللسان والقلم، أولى من كتابة في مسألة فرعية اختلف العلماء فيها، وترجيح المرجوح، وتبديع القائلين بالأضحية عن الميت"(١).

---

(١) ينظر: غاية المقصود (ص١١٠- ١١١) لسماحة الشيخ عبد الله ابن حميد.

ومن منهجه رحمه الله أنه كان مراعيا لحالات الإنكار التي رسمها النبي ﷺ للدعاة في قوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(١).

يقول رحمه الله: "ومراتبه ثلاث، باليد، واللسان، والقلب، وثالثها أضعفها إيمانا؛ فعدم إنكار المنكر بالقلب دليل على ذهاب الإيمان"(٢).

ثم أخذ يوضح المراد بالإنكار بالقلب وحكمه فيقول: "والإنكار بالقلب: فرض على كل واحد، لأنه مستطاع للجميع، وهو بغض المنكر، وكراهيته، ومفارقة أهله عند العجز عن إنكاره باليد، واللسان، لقول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧]، ومعنى لا يشهدون الزور: لا يحضرونه؛ والزور: يشمل كل منكر، ويدخل في ذلك الشرك، والكفر، وأعياد المشركين، والاجتماع على شرب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٦٩).
(٢) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٣٣).

الخمور، والتدخين، والأغاني، وآلات الطرب، وأفلام السينما، وأشباه ذلك من المنكرات؛ ذكر معنى ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية"(١).

فبالجملة فإن للشيخ رحمه الله طريقان كان يسلكهما في دعوة عامة الناس إلى الله، يحدثنا عنها معالي الشيخ د/ صالح ابن حميد -حفظه الله- فيقول: "أما العامة فكانت مناصحتهم وتوجيههم تتم من خلال الخطب والمواعظ الشفهية، كما تتم من خلال المواعظ المكتوبة، وهذا هو محل الحديث، وكان للوالد رحمه الله في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: ما عليه مشايخه وأسلافه من أهل العلم، وذلك بكتابة نصيحة تقرأ في المساجد الجوامع بعد خطبة الجمعة بأسلوب معروف ومضامين معروفة، ثم لما أخذ التعليم يفشو وأخذت الصحافة والمجلات في الانتشار في الوسط السعودي، شرع الشيخ منذ وقت مبكر في الكتابة في الصحافة في أنواع من الكتابة منها الردود، ومنها المقالات، ومنها الرسائل التوجيهية والإرشادية، وهذا هو المقصود هنا، إذ توجه الشيخ رحمه الله إلى هذا النوع من الكتابة، فأنشأ كتابات صحفية في مضامين توجيهية وإرشادية:

١- مكتوبة بخط اليد القديم السائد في تلك الحقبة، وهي نصيحة عامة.

أولها: من عبد الله بن محمد ابن حميد إلى من يراه من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم للعمل بما يرضاه، وجعلنا وإياهم من صالح عبيده وأوليائه

(١) **ينظر**: الدرر السنية (١٦/ ١٤٣).

آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإن الله تبارك وتعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له...الخ.

٢- نصيحة عامة موجهة عام ١٣٦٢هـ.

أولها:...إلى من يراه من إخواننا المسلمين سلك بنا وبهم ما هو أهدى وأقوى وجعلنا وإياهم من المتمسكين بالعروة الوثقى آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فالواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله...الخ.

هذان نموذجان مما كان يقرأ في المساجد بعد صلاة الجمعة غالبا.

الطريقة الثانية: إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ ينقل هذه النصائح العامة إلى صفحات الصحف مع تغيير متدرج في الأسلوب والمضمون حسب ما تقتضيه لغة العصر، وكذا مستجداته، وهذه نماذج منها:

١- كلمة في جريدة حراء في ١٤/ ٢/ ١٣٧٨هـ موجهة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبتدأ بقوله: من عبد الله بن محمد ابن حميد.

٢- في جريدة الندوة في شهر ١١ عام ١٣٧٨هـ موجهة للعلماء وأساتذة الكليات، مبتدأ بقوله: سلام عليكم أيها العلماء الأجلاء، تعلمون ما أصيب به الإسلام من انتقاضه عروة عروة.

٣- في جريدة حراء ٢٧/ ٥/ ١٣٧٨هـ من عبد الله بن محمد ابن حميد إلى كافة العلماء من أساتذة الكليات والمعاهد وغيرها من مدارس الحكومة حفظهم الله ونفع بعلومهم آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

تعلمون - وفقكم الله - أن هذه النابتة في المدارس على تنوعها هي أمانة في أيديكم.

٤- نصيحة عامة: من عبد الله بن محمد ابن حميد إلى كافة إخواننا المسلمين.

وهذه الرسائل المقالية الموجهة ذات مضامين عصرية ليست من مضامين ما كان يقرأ في المساجد، فصار يتناول التعليم والمثقفين وتوجيه الطلاب والتلاميذ، والشأن المالي والاقتصادي، بل حتى بعض القضايا السياسية ذات البعد الاجتماعي، بل كتب في الاستشراق وأغراض المستشرقين وغاياتهم، وأهداف المستعمرين، مما يبرز هذه الشخصية المستنيرة والمستوعبة لمستجدات عصرها ومتغيراتها.

وليلاحظ أنني أتحدث عن الستينات والسبعينات وأوائل الثمانينات الهجرية، أما فيما بعد ذلك فقد انتشرت الثقافة الجديدة وصار يشارك بها الجميع في وسائل الإعلام كافة"(١).

أما عن منهجه رحمه الله في الدعوة إلى الله تجاه ولاة الأمور فقد كان حريصا على حقوقهم الشرعية، من السمع والطاعة في المنشط والمكره، ودعوة الناس إلى لزوم إمام المسلمين وجماعتهم، والمناصحة لهم والتواصي معهم على

---

(١) ينظر: الإبداع والتحديث في فكر الشيخ عبد الله ابن حميد (ص١٣)، لمعالي الشيخ د. صالح ابن حميد.

الحق، ومن ذلك رسالته إلى أحد ولاة الأمور في هذه الديار المباركة، وقوله: "فإن الواجب علينا لكم النصح، والمحبة والإخلاص؛ لأن النصح لأئمة المسلمين، وهو من دين الإسلام ومعنى النصح لهم: تنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة، وغرس محبتهم في قلوب الرعية، ورد القلوب الشاردة إليهم، هذا الذي يجب لكم علينا وعلى أمثالنا"[(١)]، فكان ما لمسناه ونلمسه ولله الحمد والمنة من استتباب الأمن والرخاء والعدل والألفة وانتشار الخير، وحصول البركة ومضاعفة النعم على هذه الديار المباركة.

يقول رحمه الله: "فبولاة الأمور تأمن السبل، وتقام الحدود، وتنفذ الشرائع، وينتصر المظلوم، ويُردع الظالم، ولما في الخروج عليهم من سفك الدماء، ونهب الأموال، واختلال الأمن، وضياع الحقوق، والفساد الكبير، فمتى ما عُبِد الله حق عبادته، وأقيمت الصلاة مع بقية شرائع الإسلام، وطاعة ولاة الأمور في المعروف، كان سببا لدخول الجنة والنجاة من النار"[(٢)].

وإنما تحقق ذلك على يد ولاة هذه البلاد وعلمائها جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا الجزاء؛ بسبب عنايتهم بنشر العقيدة الصافية القائمة على توحيد الله واتباع سنة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى والسلام، لذا يرى رحمه الله بتعين إقامة شعيرة الدعوة إلى الله؛ لما يتحقق بها من الفضل الكبير والعظيم، يقول سماحته: "الدعوة واجب متعين في مثل عصرنا هذا الذي فشت

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٤٣٠).

(٢) ينظر: مجلة التوحيد المصرية، العدد الرابع، شهر شوال وذي القعدة، سنة ١٣٩٥هـ، ص٢٢.

فيه المنكرات، وفسدت العقائد؛ فترك الدعوة والإرشاد، أو التقصير فيهما، سبب للانحراف عن الدين الذي من شأنه اختلاف الكلمة، وتصدع في الوحدة، وتشتت للشمل، واختلاف في الأمر(١).

كان هذا هو واقع الدعوة الإصلاحية المباركة في هذه البلاد الطيبة، التي أثمرت ذلك الاستقرار والرخاء، وردت كيد الناقمين والمتربصين إلى نحورهم، حفظ الله علينا ديننا وأمننا وولاتنا وعلماءنا والمسلمين أجمعين من كل سوء ومكروه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإذا استعرضنا جهود سماحة الشيخ وتضحياته الدعوية التي خاضها، وجدناه مدرسة في مجال الدعوة، حيث أفنى عمره في نشر دين الله وبيان شرائع الإسلام، أصولا وفروعا. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان مكانة الدعوة وأهميتها: "أيها العلماء الأجلاء، ما مدح الله أهل العلم بما مدحهم به إلا لأنهم ورثة الأنبياء، يبلغون الشرائع للناس، ويوضحون طرق الفلاح والنجاح، وأسباب السعادة والعزة في هذه الدار، قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤].

أيها العلماء الفضلاء: لقد علمتم ما قال الله في ذمّ من لم يقم بواجبه، ولم يؤد ما عليه لدينه وأمته من الدعوة والإرشاد، والعظة والتذكير والإنذار، بسوء

(١) ينظر: الدرر السنية ١٥/ ٤٣٦.

العاقبة؛ فإن الآيات في الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، دلت الآية الكريمة على وجوب إظهار العلم وتحريم كتمان شيء من أمور الدين لغرض من الأغراض الفاسدة، والتأويلات البعيدة.

ومتى قام العلماء بما عليهم من إرشاد الأمة إلى اتباع كتابها، وهديها بإرشاده، وتهذيب أخلاقها بآدابه، وجمع كلمتها حول تعاليمه، استقامت أمورها، وانتظمت أحوالها، فتصبح عزيزة الجانب، متكافئة متضامنة، أمرهم شورى بينهم"(١).

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يزال يؤكد على العلماء القيام بواجب الدعوة إلى الله دون كلل أو ملل؛ لأنهم أولى الناس بذلك، يوضح لهم فريضته عليهم خاصة، وأن عليهم ما ليس على غيرهم، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا شك أن العلماء هم ورثة الأنبياء، والواجب عليهم من الدعوة والإرشاد وتبصير الأمة ما لا يجب على غيرهم لأنهم خلف لهم في وظيفتهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فما كان من سنن العلماء أن ينزلوا في بيوتهم ويقتصروا على مساجدهم وتعليم العدد اليسير من تلاميذهم؛ بل يلزمهم أن يتعرضوا للناس ويسعون وراءهم لتذكيرهم ووعظهم

(١) ينظر: الدرر السنية ١٥/ ٤٣٥.

وغرس العقيدة الحقة في نفوسهم، كما فعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث ذهب إلى فرعون يدعوه إلى الله.

وكما كان رسول الله ﷺ يأتي القبائل في منازلهم وقريشا في أنديتها، فيدعوهم إلى التوحيد الذي هو مدلول كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، فعلى هذا جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح رضوان الله عليهم، بدعوة الناس إلى الخير وإرشادهم إلى طريق الهدى بالجد والاجتهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محوطا بالأشواك والمكاره، غير هيابين ولا وجلين، متدرعين بالصبر واثقين من الله بالأجر.

فإن الإمام مالك لما قيل له: أتدخل على السلطان وهو يظلم ويجور؟ فقال: يرحمك الله، فأين يكون الكلام في الحق. وكان أبو الحسن الأشعري يذهب إلى مجالس المعتزلة ويقول: إنهم أولو رياسة فمنهم الوالي والقاضي ولرياستهم لا ينزلون إلي فإذا لم أسر إليهم فكيف يظهر الحق ويعلمون أن لأهل السنة ناصرا للحجة. مُحقٌّ من قال للعلماء قوموا بواجبكم نحو أمتكم دلوهم إلى الخير ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، أدوا الأمانة العظيمة التي في أعناقكم والتي أخذ الله عليكم الميثاق في بيانها وإرشاد الناس إليها فإن "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"، قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه الميثاق لا يكتمه"، وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على

العلماء أن يعلموا". مُحقٌّ من يوجه سهام اللوم نحو العلماء في تخليهم عن تذكير الأمة ودعوتهم إلى الحق حتى قام به الجهلة وتقدم إليه الأدعياء ممن لا يحسنون هداية الناس وإرشادهم وتهذيب أخلاقهم وتثقيف عقولهم، بل هؤلاء في حاجة ماسة إلى إصلاح أنفسهم وأحكام دينهم على وفق الكتاب والسنة وتصحيح عقائدهم بالهداة والمرشدين.

محق من قال للعلماء أنتم رعاة الأمة والمسئولون عنها في إصلاح أوضاع دينها، وتقويم أخلاقها، وتهذيب نفوسها وتبصيرها بطريق الرشاد فكل راع مسئول عن رعيته.

ومن رعى غنما في أرض مسبعة ❋ ونام عنها تولى رعيها الأسد

وحين قصر رجال العلم عن واجبهم وتخلوا عن وظيفتهم ورضوا بالانزواء في بيوتهم تصدى لإرشاد الأمة وتعليم الشبيبة غير الأكفاء من الجهلة وأولي الأهواء ممن فسدت عقيدتهم، فكانت النتيجة ما ترى مما يحتاج إلى جهود جبارة في أزمنة طويلة، يتصدى لها جمع كثير من أولي الدين والرأي والغيرة والشجاعة؛ لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته وغرس العقيدة الصحيحة في قلوب النشئ، بالوسائل المؤثرة والأساليب المقنعة بعد إعداد كامل العدة، والحصول على الذخيرة التامة مع مراعاة الرفق واللين وسعة في الصدر، ومع صدق في النية وإخلاص في العمل، والله الموفق"[1].

---

(١) ينظر: توجيهات إسلامية (ص ٣).

ومن حرصه البالغ وعنايته الفائقة بشعيرة الدعوة، حثه السلطان على إقامتها، إيمانا منه بأهميتها في حياة المجتمعات؛ لكي يأمنوا في دنياهم وأخراهم، وتصلح شؤونهم وتستقر أمورهم، ومن ذلك ما جاء في رسالة الشيخ رحمه الله لجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، يبين له ضرورة إنابة من يقوم بهذه الشعيرة من المسلمين، لما فيها من حصول الخير ودفع الشر عنهم. قال رحمه الله: "فتعين على الإمام وفقه الله أن يأمر النواب بأن يقوموا على من رأوه تاركا للأمر قياما تاما، ويلزموه بالطاعة، حتى تظهر طاعة الله ورسوله ﷺ في المسلمين، ويمتازون بذلك عمن خالفهم في الدين من أهل الجفاء والغفلة والإعراض، ولقد أفلح من كان لله محياه ومماته، وخاف الله في الناس ولم يخف الناس في الله"(١).

إن هذا الحضور الدائم لقضية الدعوة إلى الله في نفس الشيخ رحمه الله، يدلنا على أنه كان مهتما بها غاية الاهتمام، تأصيلٌ ونضال ومنهج يسير عليه على بصيرة وهدى ورشاد، سواء ذلك في الدعوة إلى أصول الدين أو فروعه.

ولقد تصدرت مسائل أصول الدين أولى اهتماماته في الدعوة إلى الله، ونعني بها مسائل الاعتقاد، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، يقول الشيخ رحمه الله: "إن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه هي عقيدة السلف الصالح... فهو يرى كما يرون من أن الله واحد، أحد فرد صمد، لا شريك له ولا مثيل له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، عالم بما كان وما يكون، قادر على كل شيء... يثبت جميع صفات الله العلا،

(١) ينظر: جهود الشيخ عبد الله ابن حميد (ص ٢٤٣) للشيعاني.

وأسماءه الحسنى، كما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، يؤمن بها، ويُمِرّها كما جاءت، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، فهو لا يكيف، ولا يمثل، ولا يعطل، ولا يحرف، بل يثبتها حقيقة على وجه يليق بكماله على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ويوجب أن يفرد الله بالعبادة، فلا يشرك به أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

ويبرأ من عبادة ما سواه كائنا من كان، ويبرأ من عبادة الأحجار، والأشجار، والصالحين، بأن يصرف لهم أي نوع من أنواع العبادة، فلا يجوز شيء من ذلك إلا لله عَزَّوَجَلَّ فلا استغاثة، ولا استعانة، ولا دعاء، ولا توكل، ولا ذبح، ولا نذر إلا لله عَزَّوَجَلَّ فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

ويؤمن باليوم الأخر، والبعث بعد الموت، ويؤمن بالحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، كما يؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

يقرر منهج السلف الصالح رحمهم الله المستمد من الكتاب والسنة، من الإقرار بربوبيته وهو: الاعتقاد الجازم بأَنَ الله وَحْدَهُ رَب كلِّ شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده، وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأَنه خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم، والإيمان بقضاء الله وقدره وبوحدانيته في ذاته، وخلاصتهُ هو: توحيد الله تعالى بأفعاله. وبألوهيته وهو: إفراد الله تعالى بأَفعال العباد، ويسمى توحيد العبادة، ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو: الإلهُ

---

(١) ينظر: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله ابن حميد، رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته (ص٢٤٥) للشيعاني.

الحق، ولا إلهَ غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأَن لا يشرك به أَحدا كائنا من كان، ولا يصرف شيئا من العبادة لغيره؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكُّل، والخوف والرجاء، والحُبّ، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأَن يُعْبَدَ اللهُ بالحُبِّ والخوفِ والرجاءِ جميعا، وعبادتُه ببعضها دون بعض ضلال. وبأسمائه وصفاته: ومعناه الاعتقاد الجازم بأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ له الأَسماء الحسنى والصفات العُلى، وهو متَّصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّهٌ عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات، وبسائر أركانه، وفق منهج السلف الصالح رحمهم الله.

ومن جهود سماحة الشيخ في هذا الباب: بيانه لمسائل الإيمان العظيمة التي ضل عن فهمها فرق عديدة من أهل الأهواء، ومن تلك المسائل مثلا مصير مرتكب الكبيرة؛ حيث يقول: "وأما المنزلة التي بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

وأن الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه، كما لا يسمى كافرا... فمنزله بين منزلتين... وهو عندهم مخلد في النار... وهذا أصل فاسد وخطأ واضح"(١).

ومن ذلك أيضا محاربته للبدع بشتى صورها، خاصة تلك التي تظهر في

---

(١) ينظر: مجلة التوعية الإسلامية، العدد الأول، السنة الثامنة (١٠/ ١١/ ١٤٠٢هـ).

المجتمعات المسلمة ويعم شرها، كإنكاره مثلا بدعة المولد التي أحدثت بطرائق شتى منكرة، وكان لها ضجيج كبير في العالم الإسلامي، يقول رحمه الله: "إن إقامة الحفلات لذكرى مولده ﷺ لم تكن مشروعة في هذا الدين الإسلامي، فإن الصحابة لم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك لا هم ولا أحد من الأئمة المجتهدين... مع أنهم أعظم محب، وهم على الخير أحرص، وعلى اتباعه أشد، فكمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أوامره واجتناب نهيه، وإحياء سنته ظاهرا أو باطنا"[1].

فلم يأل رحمه الله جهدا في بيان تلك الأصول بيانا شافيا من خلال دروسه، وخطبه، ولقاءاته، وكشف عوار عقائد أهل الأهواء وضحدها ومحاربة البدع بصورها المختلفة.

ومن ذلك أيضا وقوفه رحمه الله أمام محاولات الأعداء الهدامة ومحاربتها والتصدي لغاياتهم في هدم العقيدة والنيل منها، كالتيارات الفكرية المنحرفة التي عاصرها الشيخ رحمه الله، مثل: العلمانية، والقومية، والشيوعية ونحوها، ففي رده -مثلا- على ما كتب في صحيفة القصيم تحت عنوان "مباذؤنا الأصيلة" يشير رحمه الله إلى فساد الفكرة العوجاء التي قامت عليها العلمانية، وذلك في قوله: "وأما قولكم: (إن التطور والأحداث التي تقع تحتم المبادرة إلى إعادة النظر في جميع أوضاعنا...) إلى آخره. فيقال: ما المراد بالأوضاع؟ هل هو الوضع الديني؟ أو الوضع الاجتماعي؟ أو السياسي؟ أو الاقتصادي؟ أو يشمل الكل، كما يعطيه

(١) ينظر: جريدة الندوة، عدد (١١١٤)، ١٠/ ٤/ ١٣٨٢هـ، ص ٣.

مدلول كلمة "جميع"؟ فإنه يُفهم منها معنى الإحاطة والشمول، لا سيما حينما وضحتم بالعبارة التالية، وهي قولكم: إن النظام الأساسي للدولة كفيل بتحديد كل المعاني التي ننشدها جميعا، وأنا أعلم أن هناك من يعتقد أن النظام المذكور إذا وجد، فسوف يخالف تعاليم الإسلام وروحه، فيا لله العجب، أنحن في شك من ديننا؟! أنحن في أمر مختلط من وضعنا؟! أنحن في حيرة من أمرنا؟! أنحن فقدنا كل المعاني من أنفسنا، فننشدها كما تنشد الضالة من الحيوان؟! كلا، والله، فإن لدينا شريعة سماوية لم يكن مثلها، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيرها، وقد أرشدتنا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا، وما نحتاجه في جميع أمورنا... وأما قولكم: (ولا يكفي أن ننتقد الغير في مبادئهم وأنظمتهم، بدون أن يكون لدينا أنظمة أفضل منها نواجههم بها)، فيقال: أليس عندنا من النظم والمبادئ ما هو أفضل وأعلى وأكمل وأشمل، من كل نظام على الوجود؟ أليس نظامنا كتاب الله وسنة رسوله؟ أيستوي نظام من نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان، ونظام من حكيم خبير؟! أيستوي نظام في كل عصر يلغى ويبدل، ويضلل واضعه، ونظام مضت عليه القرون العديدة وهو يتجدد بذاته؟! أليس عقلاء المستشرقين وبحاثتهم قد أقروا أنه لا يوجد نظام على وجه الأرض أجمع وأكمل من نظام الإسلام؟...،

ومناقب شهد العدو بفضلها ❁ والفضل ما شهدت به الأعداء

وأما قولكم: نواجههم بها، فنقول: لو واجهنا جميع أنظمة العالم بنظامنا، وجلس الكل مجلس الإنصاف والتجرد من الشهوات النفسانية، لأقروا بفضله،

وظهرت لهم عيوب أنظمتهم وتناقضها، ولصارت أنظمة العالم بأسره كشمعة وقفت أمام الشمس في نحر الظهيرة؛ وهذا التنزل للمواجهة على سبيل الفرض والتقدير، وإلا فالنظام السماوي أعلى وأرفع، وأعز من أن يقارن به غيره.

ألم تر أن السيف ينقص قدره ❁ إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وأما هذه الصنائع والعلوم، فلم يدركوها بفضل أنظمتهم، ولكن باجتهادهم في العمل، فلو أن المسلمين اتبعوا جميع نظامهم، وعملوا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾ [النساء:٧١]، وبقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وبقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «استعن بالله ولا تعجز»[1]، لأدركوا مرادهم، وعملوا كغيرهم، وفاقوهم في العمل، ولكن لم يعملوا بقدر استطاعتهم، وأخلدوا إلى العجز والكسل؛ وهذا شيء ينهى عنه الشرع، وإلا فما المانع من أن نطبق مدلول هذه الكلمة: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

وأما ما ذكرتم من أن هذا العصر وقت التنظيم الحديث؛ ليكون الرخاء والتقدم من نصيبنا، فنقول: إن أريد التنظيم الحديث بمعنى المحدث في نظامنا الإسلامي، فلسنا في حاجة إليه. فالدين كامل لا يحتاج إلى تجديد، وبكماله كمل لنا كل معنى من المعاني التي نحتاجها؛ وقد حصل لنا من الرخاء والطمأنينة التي لا توجد في غير بلادنا، على حسب ما طبقنا من النظم الشرعية.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح:٢٦٦٤).

وأما التقدم، فإن أريد به الصناعي، فهذا لا يحتاج إلا إلى عمل وجد، وعدم انهماك في الشهوات، ولم يحصل تقدم لأحد كما حصل لأوائلنا الذين تمسكوا بدينهم حق التمسك، وطبقوا تعاليمه على الوجه الأكمل، فقد سادوا العالم أجمع؛ فلو طبقناه كتطبيقهم، لوصلنا إلى ما وصلوا إليه، ومبادؤنا لا تحتاج إلى صقل وتركيز - كما قلتم إنها تحتاج إلى ذلك - فهي الغاية في التركيز، والغاية في الوضوح والبيان؛ وقد قال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[1]، والله نسأل أن يهدينا وإياكم إلى صراطه المستقيم، وصلى الله على من بلغ البلاغ المبين، وآله وصحبة وسلم"[2].

ومن أبرز التيارات المنحرفة التي وقف الشيخ في وجهها وبين بطلانها وزيغها أيضا هي: "تيار الدعوة إلى القومية العربية"، يقول الشيخ في نشأتها: "والدعوة إلى القومية العربية إنما نشأت على قول كثيرين في أوائل هذا القرن، وأول من دعا إليها هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير، وظلت تنمو وتزداد حتى عُقد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة، وكثرت بذلك الجمعيات العربية، وتعددت الاتجاهات، وذلك أن أعداء المسلمين لما رأوا من جمع الإسلام لمختلفي الأجناس من بني آدم أرادوا إحلال العصبية الجنسية محل الوجدان الديني، فدعوا إلى القومية العربية بدلا من الأخوة الدينية"[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح: ١٧١٨٢) وسنده حسن.

(٢) ينظر: الدرر السنية (١٦/ ٢٨- ٣٩).

(٣) ينظر: الإبداع في شرح خطبة الوداع (ص٦٩- ٨٧).

ولقد تنبه رَحِمَهُ اللَّهُ لفساد مقاصدها، من إلغاء الصلات الدينية بين المسلمين، والتنشئة على القيم الجاهلية، فانبرى يحذر الناس منها ويدعوهم إلى الالتزام بالأخوة الدينية، فإنها الصلة الأقوى التي يرتبط بها المسلمون عموما.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقوله ﷺ: "ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى" صريح في إبطال العصبية الجنسية، وإبطال التفاضل بالألوان؛ فالأسود والأحمر والعربي والعجمي كلهم بنو آدم، خلقهم الله من ذكر وأنثى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

فدلت الآية الكريمة على أن الفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث الله به محمدا ﷺ من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا، فكل من كان فيه أمكن، كان أفضل؛ والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام والإيمان والبر، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح"(١).

وينادي سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ بوجوب التصدي لهذه الدعوة ونبذها قائلا: "فلا دعوة إلا إسلامية، وإن القومية العربية أو سواها من القوميات، متى ما فارقت الدين، ولم تلتزم بما يجب، ينبغي محاربتها، أو الابتعاد عنها حتى ترضخ

---

(١) ينظر: مجلة التوحيد المصرية، عدد (٤)، وتاريخ ذي القعدة، ١٣٩٥هـ (ص ١٥).

للإسلام وتدين به" [1]؛ لأنها دعوة باطلة، جاءت على خلاف هدي القرآن وهدي السنة النبوية الشريفة، وانجرفت عقول كثير من البسطاء إليها، فعم شرها فلم تزد الأمة إلا ضعفا وخورا وتشتتا وفرقة والله المستعان.

ويصف رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك الوضع في قوله: "وما اشتهر في هذه الأزمنة من التعصب للقومية العربية باطل تبطله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وإن كان للعرب شرف نسب، فلا ينفعهم هذا الشرف مع وجود الانحراف منهم عما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2].

ومن تلك التيارات الفكرية الضالة التي تصدى لها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: تيار الشيوعية، وهو: مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي.

ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية، التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار، وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق"[3].

---

(١) ينظر: الإبداع شرح خطبة الوداع (ص٨٢).
(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٨٢).
(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٩١٩).

ويبين رَحِمَهُ اللَّهُ المراد من هذا الفكرة ويوضح محتواها وحقيقة الدعوة إليها ويقرر مخالفتها لمبادئ الإسلام السمحة في رسالته لا اشتراكية في الإسلام، نقتبس منها قوله: "الاشتراكية في مجملها تناقض ما أقره الإسلام من إقرار الملكية الفردية واحترامها، وتناقض ما أكده القرآن الكريم من التفاضل بين الناس في الرزق، إذ إن تفاضلهم فيه هو كتفاضلهم في العقول وفي كافة شؤون الحياة يقول تَعَالَى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢].

إن القول بالمساواة بين الناس، أو محاولة فرض هذا التساوي تغافل عن الواقع؛ فالناس متفاوتون في الأرزاق، كما أنهم متفاوتون في المراتب والوظائف وأنواع الأعمال"(١).

ويرى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أنها ليست من الإسلام في شيء، بل إن أصولها ترجع إلى ما قبل الإسلام في بلاد فارس، فلا عبرة بقول بعض المنتسبين إلى الإسلام القائلين بالاشتراكية في المال... فلا تأميم ولا اشتراكية، وإنما هي الملكية الفردية، يقرر الرسول ﷺ حرمتها وصيانتها، فيستأذن ملاكها ويطلب رضاهم، ليشرع للناس أنه لا يحل لأحد مال أحد إلا بطيب نفس منه، وإذا كان هو نفسه ﷺ يستأذن الناس في التنازل عن حقوقهم، ويطلب رضاهم في ذلك فغيره من الناس من باب أولى، ومن هنا يتضح أنه لا اشتراكية في الإسلام، وإنما

---

(١) ينظر: لا اشتراكية في الإسلام (ص٩).

ذلك باطل دعا إليه بعض الناس، وزعم أنه من الدين وسمى ذلك اشتراكية إسلامية تمويها وتضليلا، فالمساواة بين الناس في المال مما لا سبيل إليه، وإنما هو تمرد على النظام السماوي"(١).

وكان رحمه الله يتصدى لمحاربة تلك التيارات على كافة المستويات، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الدول، يقارعهم بالحجج والبراهين، ويذود عن حياض هذا الدين، لا مجاملة عنده للرئيس ولا للمرؤوس، ولا محاباة لمؤسسة أو لأفراد في تبيين الحق والذود عن مبادئ هذا الدين العظيم، ومن ذلك قوله: "ونجد أن الرئيس... في أعماله يتابع خطى الشيوعيين في كل ما قالوه أو أمروا به، إذ كان الهدف منه ومنهم محاربة الإسلام بنقض تعاليمه أو التهجم عليه، كما في صحفه الناطقة بلسانه، فتنشر أن الله غير موجود – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا –، وهل يستطيع أحد أن يفوه بهذا الكلام؟! لا اليهود ولا النصارى فكيف بالمتنسبين إلى الإسلام! وتنشر أن هذا الدين الذي يبيح تعدد الزوجات دين رجعي – والعياذ بالله-...بل هو دين سماوي كامل في مصادره وموارده ما نزل على نبي من الأنبياء مثله، شامل لمصالح الدنيا والآخرة كما أقر به أعداء الإسلام"(٢).

ومن تلك الجهود أيضا تصديه رحمه الله للقوانين الوضعية التي تؤدي إلى التحاكم بغير ما أنزل الله، يقول رحمه الله: "إن من أقبح السيئات، وأعظم

(١) ينظر: الإبداع شرح خطبة الوداع (١٩-٢٠).
(٢) ينظر: دفاع عن الإسلام (ص ٥- ٦).

المنكرات التحاكم إلى غير ما أنزل الله من القوانين الوضعية والنظم البشرية، وعادات الأسلاف والأجداد التي قد وقع فيها الكثير من الناس اليوم وارتضاها بدلا من شريعة الله التي بعث بها رسوله ﷺ، ولا ريب أن ذلك من أعظم النفاق، ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق، وأحكام الجاهلية التي أبطلها القرآن، وحذر منها الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

وهذا تحذير شديد من الله سبحانه لجميع العباد من الإعراض عن كتابه وسنة رسوله ﷺ، والتحاكم إلى غيرهما، وحكم صريح من الرب عَزَّ وَجَلَّ على من حكم بغير شريعته بأنه كافر وظالم وفاسق ومتخلق بأخلاق المنافقين وأهل الجاهلية، فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم الله منه، وحكِّموا شريعته في كل شيء، واحذروا ما خالفها، وتواصوا بذلك فيما بينكم وعادوا وأبغضوا من أعرض عن شريعة الله أو تنقصها أو استهزأ بها، أو سهَّل في التحاكم إلى غيرها، لتفوزوا بكرامة الله وتسلموا من عقاب الله"(١).

إن هذه الغيرة المتوقدة من سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الدين العظيم، نابعة عن إلمام عميق بخطورة هذه التيارات الضالة وفسادها، فظل يواجهها ويكشف للناس سوء محتواها، ويحذرهم من الوقوع في تلك البراثن الفكرية المبنية على الشبهات

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل، للشيخ محمد بن إبراهيم، رسالة جماعية لمجموعة من علماء الدعوة، منهم الشيخ عبد الله ابن حميد (١٢/ ٢٥٦- ٢٦٠).

والأباطيل، داعيا أبناء هذا الدين إلى الاعتزاز بدينهم، لأن الالتزام به سبب لنيل شرف الدنيا والآخرة، يقول الشيخ رحمه الله: "إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وحقيقته، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون عليه معاولهم ليهدموه وليفرقوا أهله، ظنا منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي أخرهم..؟! وهيهات أن يكون الدين هو الذي أخرهم، ولكنهم أخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل، فأصبحوا في حيرة من أمرهم.

إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه؛ لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعي، ولكن تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة"[(١)].

وهكذا لم تكن جهوده رحمه الله محصورة في الدعوة إلى أصول الدين فحسب، بل كانت شرائع الإسلام عموما لها نصيب حافل في جهوده المباركة في الدعوة إلى الله، كدعوته إلى المحافظة على الصلوات الخمس وبقية أركان الإسلام، ومراقبة الله، والتحلي بالأخلاق الفاضلة واجتناب السيئ منها، ومن ذلك قوله: "فإن الله ذمّ من لم يؤدها بأوقاتها، (يريد الصلوات الخمس)، ويقوم بها في جماعة، ويجب تأديب من عرف بالكسل والتخلف عنها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همّ بإحراق بيوت المتخلفين عن الصلاة في جماعة، كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون

(١) **ينظر**: فتاوي الشيخ عبد الله ابن حميد: رسالة كمال الشريعة وشمولها (ص٣٢٩).

الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»(١).

وقال ﷺ: «من سمع النداء ولم يجب، فلا صلاة له»(٢).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية...»"(٣).

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لو أنكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"، ومن ذلك: الزكاة المفروضة، فإنها قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وقد ذم الله تعالى من لم يؤدها، وتوعده بأنواع من العقوبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٥].

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (١/ ٤٥١).
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ٢١٧).
(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١/ ١٥٠).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا، ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، فيقول: وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأباعدنهم (لأبعدنهم) ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا الذي فرضت لنا عليهم، فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لأدنينكم ولأبعدنهم، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥]»[1].

فيجب على كل من عنده شيء من أنواع التجارات أن يُقَوِّمها عند الحول ويخرج زكاتها، والعبرة بما تقَوَّم به، لا بما اشتريت به، وإذا زادت الثمار عن خرصها، وجب إخراج ما زاد عن الخرص.

عباد الله طهروا أموالكم من الزكاة، ونقوها منها، ومن المعاملات الربوية، فإن الله تعالى ذم آكل الربا، وتوعده بأنواع من العقوبات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (ح:٦٩٤) وفي الأوسط: (٤٩١٥) قال الطبراني: الإسناد تفرد به جنادة وهو ضعيف.

فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عُرِجَ به إلى السماء نظر إلى سماء الدنيا، فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام، قد مالت بطونهم، وهم منضودون على سابلة آل فرعون، موقوفون على النار، كل غداة وعشي يقولون: ربنا لا تقم الساعة أبدا، قلت: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا من أمتك، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»[١]، ومعنى: منضودون أي: مطروحون، أي: طرح بعضهم على بعض، والسابلة: المارّة. أي: يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي.

وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الربا ثلاث وسبعون بابا، وأيسره مثل أن ينكح الرجل أمّه»[٢].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما ظهر الربا والزنى في قرية إلا أذن الله بهلاكها"، وقال بعض العلماء: الربا مجرب بسوء الخاتمة والعياذ بالله من ذلك.

ويذكر أنه يوجد من بعض الناس معاملات ربوية، وعقود فاسدة؛ فيجب على كل أحد مجانبة المعاملات الربوية، والعقود الفاسدة، فإن العلماء رحمهم الله قالوا بتحريم تعاطي العقود الفاسدة؛ لأنها ذريعة إلى الربا، والذرائع معتبرة في الشرع، ولها حكم الغايات.

(١) أخرجه ابن الزبير في كتابه/ من حديث أبي عبيدة مجاعة بن الزبير (١/ ١١٢).
(٢) أخرجه الحاكم مستدركه (٢/ ٤٣)، وسنده صحيح.

فمنها: أن بعض الناس، إذا جاءه المحتاج مثلا، وباعه سلعة بثمن مؤجل، أو بحال لم يقبض، يعود فيشتريها منه بأقل من ذلك الثمن، كأن يبيعه سلعة بستين مؤجلة، ثم يشتريها منه بخمسين نقدا، فهذه هي مسألة "العِينة" المنهي عنها.

ومنها: ما إذا صار لرجل دين على رجل، فطلبه منه، فلم يقدر على وفائه، باعه سلعة بثمن مؤجل، ثم يشتريها منه بما عليه من الدين، وهذا حرام إجماعا، وهذا: هو "بيع الدين بالدين"، سواء كان الدين الأول والآخر له أو لغيره، وهو بيده مضاربة، ومجرد قوله: إن الدين الأول يخصني مثلا، وما ثبت في ذمته أخيرا لغيري، إلا أنه بيدي مضاربة، لا ينفعه، بل هو من الحيل المحرمة.

ومنها: ما يقع من بعض الناس في محل البيع والشراء؛ وهو: أن أناسا يشتركون في شراء سلعة، كبعير ونحوه، ثم يعرضونه على المشترين، فيزيد فيه بعض من له فيه شركة، فيغتر المشتري، ظانا أن هذا الذي يزيد ليس له فيه شركة، فيبني على سومه، وهو إنما قصد "النجش"، وتغرير المشتري. فهذا حرام ولا يجوز إقراره، ومن عرف بمثل هذا، فلا بد من تأديبه، ومنعه من البيع والشراء في أسواق المسلمين.

ومنها: ما إذا أراد الفلاح مثلا أن يبيع من ذمته عيشا أو تمرا، فيأتي التاجر، فيشتري منه بأنقص مما يبيع به الناس، بشرط أن يقرضه شيئا للعقد، كأن يكون السعر خمسمائة الوزنة في الذمة، بمائتي ريال، فيشتريها التاجر بمائة وخمسين، ويقرضه شيئا للعقد.

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «كل قرض جر نفعا فهو ربا»[1]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إذا كان لك على رجل دين، فأهدى لك شيئا، فلا تأخذه"، وأكثر الناس يأخذ من عميله الطعام والخضر، ولا يحسبه شيئًا، وهذا ربا محرم، ولو أخذ قليلا أو كثيرا دخل في التحريم إذا لم يحسبه من الدين.

ومما ينبغي أيضا: اجتناب هذا التنباك وهو المسمى بالتتن، وهو لا شك خبيث، ومفتاح كل شر ومقدم له، وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل مخدر ومفتر؛ مع أنه يتولد منه أمراض عامة، وعلل كثيرة.

منها: أنه إذا أكثر من شربه يفسد أفواه مجاري العروق، وحينئذ يمنع كل عرق من أخذ حقه من الغذاء، ومنها: أنه يحدث الغشاوة في العينين، والصداع في الرأس، واليبس في الدماغ، وثقل السمع، ويورث النسيان، والنوم الشديد، والكسل المفرط.

وقد يحدث السعال والسهر المضر، وتغيير الشفتين بالاسوداد والاصفرار، ونتن الفم وتغيير اللون، ويورث الارتعاش في جميع الجسم، ويولد عللا كثيرة، لا يفطن لها إلا صاحب بصر وبصيرة نافذة.

فيا عباد الله راقبوا الله تعالى، وقوموا على كل من عرف بارتكاب المعاصي قياما تاما، وتجردوا من الذنوب، والجار يقوم على جاره، والرجل يقوم على أولاده، ومن في بيته، وعلى أقاربه، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

---

(١) ذكره الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ٥٠٠)، وسنده ضعيف.

وعليكم ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والتقرب إلى الله تعالى بما يجب من فعل الطاعات وترك المنهيات، كالتشاحن والتباغض والتحاسد، والتقاطع، والتدابر؛ وائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، وأخلصوا في ذلك النية لله تعالى، وعلى أهل الولاية أن يقوموا بذلك القيام التام، ويؤدبوا كل من عرف منه تكاسل عن الصلاة في جماعة، وشرب من هذا التنباك الخبيث، ولا يناظروا في ذلك أحدا من الناس.

نرجو الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، من صلاح ديننا ودنيانا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا يؤآخذنا بسيئات أعمالنا، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[(١)].

ويخص رَحِمَهُ اللَّهُ بعض المنكرات بالتفصيل والإطناب، فيبين خطرها ويفند أمرها كالسفور والتبرج مثلا؛ لما فيها من أثر بالغ في الإضرار بسلوكيات المجتمعات المسلمة، فكما تصدى رَحِمَهُ اللَّهُ للمنكرات المتعلقة بباب الشبهات وأولى عنايته بها، تصدى أيضا لباب الشهوات، ومن ذلك تكراره النصيحة للنساء، يوجههن ويحثهن على مشروعية الحجاب وفضيلة الاحتشام، وعدم التبرج والسفور، خاصة عند دخولهن بيوت الله كالمسجد الحرام؛ حيث أصدر توجيها بمنع المتبرجات من دخول المسجد الحرام؛ لما يسببنه من فتنة عظيمة على المسلمين، جاء ذلك في قوله: "من خراب المجتمع: تبرج النساء؛ فلقد افتُتن كثير من النساء في وقتنا هذا بما يزيد على عمل نساء الجاهلية الأولى، من

(١) **ينظر**: الدرر السنية ٤٩١- ٤٩٤.

التبرج، وإظهار المحاسن والجمال أمام الرجال الأجانب، مما يثير الشهوة، ويوقع في الفتنة، ويوجب غضب الرب سبحانه وتعالى.

وخروج المرأة إلى المجتمعات سبب لتغير زوجها الغيور عليها والمحسن إليها، ووالد أولادها، فتحصل بينهما الفرقة بعد الألفة، والبغضاء بعد المحبة، والشقاوة بعد السعادة.

ولا شك أن من أقبح المنكرات وأكبر البلايا وأعظم الأخطار على المجتمع، أن تتبرج المرأة، وتظهر زينتها للرجال الأجانب في الطرقات، والأسواق، وبيوت التجارة، أو المساجد وغيرها من المجتمعات.

فهي في كل يوم تزداد في تبرجها، وتتفنن في أشكال ملابسها، فخلعت عنها ثياب الحشمة، والصيانة، والحياء، والعفاف، وظلت لا تراعي الآداب، ولا تبالي بهتك الحجاب.

فماذا سترت المرأة إذا خرجت إلى السوق عارية الذراعين والساقين، كاشفة عن وجهها وصدرها، بادية النهود والأرداف، حاسرة الرأس؟! فلا دين يمنعها، ولا حياء يردعها، ولا ولي يحافظ عليها ويوقفها عند حدها؛ قد استشرفها الشيطان، فخرجت متجملة متعطرة فاتنة!

ألم تسمعوا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أمتي لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها،

وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

أما يكفي هذا ردعا وزجرا؟! مع قوله ﷺ: «إذا خرجت المرأة -متجملة متعطرة-، استشرفها الشيطان»(٢).

كيف ترضون أن تكون نساؤكم محط الأنظار، ومثار الفتن؟!

لقد قال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»(٣).

كيف تخرج المرأة إلى السوق تتمطى في مشيتها عجبا وتيها، وتتلون اختيالا وزهوا، بتدلل وتكسر وتظرف؟!

كيف يرضى حياؤها أن تكون مبعث إثارة فتنة وشهوة في نفس رجل يراها؟! وكيف تطيق الشعور والصبر، بأنه يصبو إليها ويتمناها؟!

كيف ترون ذلك وتصبرون؟! أما تغارون؟ أما تخجلون؟ أما تخافون من رب العالمين؟ فالمرأة مأمورة بالاحتشام والحياء، والبقاء في قعر بيتها، لئلا تفتن وتنفتن، فتتنغص عليها حياتها وسعادتها، ويخدش عرضها، وتهان كرامتها، وتنطلق إليها النظرات الوقحة الجريئة.

ما هو والله إلا التقليد الأعمى سيطر على النفوس واستعبد القلوب،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ٥٧٠٤).
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (ح: ١١٧٣).
(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٤/ ٣٩٦).

أعمى بصائر الرجال والنساء، خضعوا له من غير تفكر ولا تدبر، ومن غير تورع ولا تأمل، وانقادوا له باستسلام ونشوة، فسلبت زهاهم مضرته وفتنته.

فالتبرج ضرره جسيم، وخطره عظيم، يخرب الديار، ويجلب الخزي والعار؟ إنكم مسؤولون أمام الله عما أولاكم، وجعلكم قوامين على النساء، فلماذا أهملتم؟ فأحسنوا تربيتهن وتوجيههن، وخذوا على أيديهن، فإنه إذا نزل العذاب عم الصالح والطالح.

فما لنا نرى المرأة في مجتمعنا، تزداد كل يوم في تبرجها؟! وإظهار جمالها ومحاسنها، بثيابها الجميلة وحليها البراق؟! وكأن المعني بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩] غيرها.

فيا للأسف! لقد خلعت المرأة ثياب الحشمة والصيانة، وتجردت من الحياء والعفاف والكرامة، كل هذا بسبب ضعف الدين في القلوب، وعدم الغيرة من وليها.

والمرأة اليوم زادت في تبرجها على ما كان عليه نساء الجاهلية الأولى، فقد قال بعض المفسرين في ذلك: هو أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فلم يوار قلائدها وقرطها وعنقها، هذا هو تبرج نساء الجاهلية الأولى، فهل نساء اليوم قد ابتعدن منه وحذرنه؟! لا والله، بل زدن عليه، وأتين بما هو أشد.

بل نرى المرأة تجوب الشوارع العامة، وتأتي المجتمعات، عارية الذراعين

والساقين، بادية الصدر والنهدين، كاشفة عن وجهها، مظهرة لمحاسنها؛ فلا دين ولا حياء ولا مروءة، ولا ولي يحافظ عليها، ويوقفها عند حدها؛ بهذا وأمثاله يسري الفساد على الأسر والبيوتات.

والله يوفق المسلمين لما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم".

وقال أيضا: "إن من أخطر ما ابتلي به مجتمعنا في الآونة الأخيرة من زماننا هذا: تبرج النساء، وخروجهن كاشفات عاريات، إلى الأسواق والشوارع والطرقات، ومن أعظم البلاء وأشد الخطر: دخولهن في المسجد الحرام وهن على هذه الحال، من غير ما رادع ولا زاجر، وهذه بادرة خطيرة على المجتمع كله.

يجب على ولاة الأمور ومن بأيديهم السلطة من رجال الفكر والعلم والدين، التيقظ والتنبه لهذه البادرة الخطيرة، والشر المتفاقم، كما يجب على ولاة أمور النساء محاربة ذلك، والقيام بواجبهم الديني والخلقي والاجتماعي، كرعاة مسؤولين عن القيام على رعاية النساء، وحمايتهن من العبث بشيمتهن وكرامتهن، وحفظهن من السهام المسمومة: سهام إبليس الممدودة إلى أفئدة الخارجين على قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وروي حديث: «لتغضن أبصاركم، ولتحفظن فروجكم، ولتقيمن وجوهكم، أو لتكسفن وجوهكم»(١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٠٨)، وسنده ضعيف.

وفي حديث آخر: "إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركه مخافتي، أبدلته إيمانا، يجد حلاوته في قلبه"(١). هذا وقد فرض الله الحجاب على النساء، وأمرهن بملازمة البيوت، فلا تبرج، ولا خروج إلا لحاجة، متسترات متحشمات، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

لئلا يطمع الذي في قلبه مرض من ضعفاء الإيمان، خبثاء الأنفس، المتعرضين- على السبل، والشوارع، والأسواق، وأبواب المسجد الحرام- للنساء المستهترات بالدين، والخلق الإسلامي القويم، اللاتي يتسببن بالفتنة، وفساد المجتمع، وانحطاط الأخلاق، ويتعرضن لسخط الله، وغضبه، واللعنات، حيث روي عن المصطفى ﷺ: «أيما امرأة استعطرت - ثم خرجت-، فمرت على قوم ليجدوا ريحها؛ فهي زانية، وكل عين زانية»(٢).

وحتى في الصلاة إذا خرجت إليها، فالواجب أن تخرج في ثياب بذلة غير متطيبة، ولا مستعملة لأي شيء من مظاهر الزينة التي تحرك الشهوة، أو تجر إلى الفتنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخورا، فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة»(٣).

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١٠/ ١٧٣). ضعيف.
(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٩١).
(٣) أخرجه مسلم صحيحه (١/ ٣٨٢).

وقد رأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من النساء شيئا تكرهه، فقالت: "لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء ما رأيناه، لمنعهن من المسجد، كما منعت نساء بني إسرائيل".

رضي الله عن أم المؤمنين وأرضاها، فلو رأت في زماننا ما أحدث النساء من التبرج الذي تعدى تبرج الجاهلية الأولى، من التكشف وإظهار محاسنهن، والتمشي والتمايل في الشوارع والأسواق، بل بالمسجد الحرام، وفي الطواف بالبيت الحرام، لو رأت ذلك، فماذا كانت تقول؟!

إنها حقا لمصيبة دهماء، وفتنة عمياء، وداء عضال على المجتمع الإسلامي، يجب التنبه والتيقظ له، قبل أن يحل بنا الخطر، ويتسع الخرق على الراقع، ولات ساعة مندم.

ومن المعقول والمعلوم أن المسؤول عن المرأة والراعي لها شريك في إثم ما ترتكبه من التبرج والسفور، وما تحمله غيرها من الناظرين إليها ولمظاهر زينتها، من الإثم، إذ هو المقصر في أداء واجبه نحو القيام بمسؤوليته، ورعايته نحو أهله، ومن جعلهم الله تحت إمرته ويده.

لذا، فنهيب بولاة الأمور القيام بواجبهم نحو هذا السرطان الفتاك، والأخذ على يد السفيه، وأطره على الحق، حتى لا يحل بنا ما حل بمن قبلنا من الأمم السابقة من المصائب والكوارث، لما تركوا أمر النساء بأيديهن، يعبثن بكرامتهن، ويفسدن أخلاق النشء والمجتمع، وصرن هن القائمات بالأمر، عكس الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤]، كما هو

لواقع اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا: ونهيب بالجمهور الكريم، من ولاة أمور النساء أن يتعاونوا مع إخوانهم المسؤولين، في دفع هذا الشر المستطير، ويمنعوا نساءهم من التعري والتبرج، وإظهار محاسنهن في الشوارع والأسواق، ولا سيما في المسجد الحرام، الذي هو محط أنظار العالم الإسلامي بأسره.

وليعلموا ويُعلموا أن مثل هذا هتك لحرمة هذه البقعة المقدسة، والكعبة المشرفة.

كما نود أن نشعر الجميع من اليوم فصاعدا: أن أي امرأة تريد دخول المسجد الحرام، متبرجة متعطرة، حاسرة ساقيها وذراعيها، كاشفة وجهها وصدرها، مظهرة محاسنها التي يحرم النظر إليها من غير محارمها، ملفتة بذلك العمل الشنيع وتلك التقاليد الغربية السيئة، أنظارَ الأجانب من الرجال والشباب إليها، ليعلم الجميع أنها تمنع منعا باتا من الدخول في المسجد الحرام، وهي على هذه الحال.

وعلى رجال هيئة الأمر بالمعروف، والمراقبين، ورجال الشرطة بالحرم الشريف أن يقوم كل بواجبه، تجاه هذا الشر المستطير، وتلك الفتنة العمياء، بالقيام على أبواب الحرم، ومنع النساء اللاتي يردن الدخول في المسجد الحرام، وهن على هذه الحال. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[(١)].

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٢٦٢- ٢٦٩).

وكإنكاره أيضا على من أجاز الغناء وتساهل في سماعه، وذلك في قوله: "لا شك أن الغناء حرام، دل عليه الكتاب والسنة، لما فيه من الضرر البين، والفساد العريض، فإنه يلهب النفوس، ويوقدها فيقيمها ويقعدها، لأنه وضع ليفعل أقصى ما يتصور من التأثير على السامعين والسامعات... وأعوذ بالله أن يقول مسلم بإباحة ما يحرض على الزنى ويدعو إليه، وأعتقد أن سماع صوت المغنيات، الباعث إلى هذا الفحش، لا يجرُؤ مسلم على أي مذهب، بأن يقول بإباحته، فلا يجوز لمن يتولى الحكم على أفعال المكلفين بالإباحة والحرمة، إلا أن ينظر في ذلك نظر تأن وحكمة، لينفذ بثاقب فكره إلى الأعماق منها، بتأمل الأحاديث الشرعية المفيدة حكم التحريم والإباحة، ثم بعد ذلك يحكم"(١).

ولا فرق عند سماحة الشيخ رحمه الله في دعوته بين رئيس ومرؤوس، إذ كان يتعاهد ولاة الأمر أيضا بالمناصحة والوعظ والإرشاد يقول معالي الشيخ صالح ابن حميد -حفظه الله-: "أما ولاة الأمور فالغالب أن المناصحة معهم تتم إما بالحضور الشخصي والحديث الشفهي، وإما بالكتابة حول بعض الموضوعات والمستجدات، وكان للوالد في ذلك رحمه الله باع طويل ومتين أجزل الله مثوبته وجعل ذلك في ميزان حسناته، وكان ولاة الأمور رحم الله الأموات وحفظ الأحياء وسددهم يعرفون ذلك منه رحمه الله، ويقدرونه غاية التقدير ويتفاعلون معه كل التفاعل، وهذا من فضل الله علينا في هذه الدولة المباركة"(٢).

(١) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ١١١- ١١٨).

(٢) ينظر: حياة الشيخ عبد الله ابن حميد (ص٤٠٧) لأحمد محمد سيد.

ومن ذلك رسالته لجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في تقصير كثير من المسؤولين في الدين، قال فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن محمد ابن حميد، إلى حضرة المكرم: صاحب السمو ولي العهد، ورئيس مجلس الوزراء، فيصل بن عبد العزيز، أعزه الله بطاعته، وأمده بعنايته، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعده: لا يخفى على سموكم الكريم ما قد حصل في هذه الأوقات الأخيرة، من النقص الكبير في الدين، وعدم الاكتراث بأوامره ونواهيه، من كثير من المسؤولين في الدولة، على ما أعطاهم الله من النعم الوافرة في الأبدان، وفي الأموال والجاه. ومع ذلك لم يعطوا هذه النعم حقها من الشكر، ولم يحصل عندهم أي غيرة على الدين، ولم يتأثروا بما أصيب به الإسلام من النقص الكبير، ولم يظهر منهم كراهية لذلك، بل الكثير منهم- عياذا بالله- أصبحوا ضدا للدين وأهله، وصمدوا صمودا منكرا أمام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ولا يخفى أن مثل أولئك، لا تبرأ الذمة بتوليتهم أعمال المسلمين، فإذا كان هذا بالنسبة للمسؤولين في الدولة، فكيف بمن سواهم، الذين هم من الرعاع، الذين يقول في وصفهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: وسائر الناس همج رعاع أتباع كل ناعق!. الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فهم أتباع كل ناعق ضد الدين، أتباع كل ناعق ضد السياسة، أتباع كل ناعق ضد الأخلاق وحسن السيرة، أتباع كل ناعق ضد الأمن والطمأنينة، أتباع كل ناعق ضد الملوكية والولايات الشرعية، أتباع كل ناعق بالفتن، أتباع كل

ناعق بالحرية المزعومة الغربية، أتباع كل ناعق بسقوط المروءات، أتباع كل ناعق وإن جهلوا غاية الناعق، ومبدأه ومقاصده، كما يقول المفتون في قبره: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

فإذا كانت هذه أحوال البعض من الناس، ثم صار كثير من المسؤولين في الدولة مثلهم، متى تستقيم الأحوال؟ متى تتم الأمور؟ متى تقوم دعائم الدين؟ متى تتمكن أسس الملك؟ إن الدين والملك أخوان، فمن كان ضد الدين فهو ضد ملوك الإسلام وأهله؛ ومن كان ضد ولاة الأمور فهو ضد الدين، وإن تظاهر بالنصرة للإسلام؛ لأن الإسلام ينهاه عن كل ما يمس السياسة الرشيدة، والإسلام يقول: «من فارق الجماعة قيد شبر فمات، فميتته ميتة جاهلية»(١)، والإسلام يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»(٢)، والإسلام يقول: «السلطان ظل الله في أرضه»(٣)، فمن خرج على الإمام يريد نصرة الإسلام بزعمه فهو كاذب، ما لم يعين ما أخل به الإمام، ويناصحه سرا مرارا، ثم يعلن له ذلك عند العجز عنها في السر، ولما قال النبي ﷺ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح: ٧٠٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (ح: ٢٣٨٨).

(٣) أخرجه: البيهقي (٩/ ٤٧٥).

بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(١)، فهذه سياسة الإسلام للشعوب مع ولاة أمورها، لما يترتب على منازعة الوالي من ذهاب الإسلام، وتسلط الأعداء، وإراقة الدماء، والفوضى، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، كما هو مشاهد الآن في كثير من البلاد العربية وغيرها...وبما أنه قد علم أن الدين والملك أخوان، يقوى هذا بقوة صاحبه، ويضعف بضعفه، كان من المتعين على ملوك الإسلام، التمسك بالدين وحمايته، وصيانته عن كل ما يناقضه أو ينقصه، لا سيما مثلكم"(٢).

ولم يكتف رحمه الله بتعاهد بعض الولاة دون بعض في الدعوة، بل شملت دعوته كافة ولاة أمور المسلمين ومناصحتهم، ومن ذلك خطابه لولاة أمور المسلمين حول وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، يقول رحمه الله: "من المعلوم أن الشريعة الإسلامية أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، وأوجب على المسلمين حاكمين ومحكومين الالتزام بها والقيام بتطبيقها، ووعدهم على ذلك النصر في الدنيا والسعادة في الآخرة، وحذرهم من مغبة الإعراض عنها والتخلي عن تطبيقها، وتوعد على ذلك بالعقوبات الدنيوية والأخروية، قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، وإن من الواضح أن الفرق بين شريعة الله وبين القوانين الوضعية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح: ٤٩١٠).
(٢) ينظر: الدرر السنية (١٥/ ٢٧- ٢٩).

التي وضعها البشر كالفرق بين الله وبين خلقه، ولا يستوي تنظيم البشر مع شريعة أنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الرحمين على محمد ﷺ لتكون هداية ورحمة للعالمين.

وإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في رحاب مكة المكرمة، وعلى مقربة من الكعبة المشرفة ليناشدكم الله مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، أن تبادروا إلى تطبيق شريعة الله لتنعموا وتنعم رعيتكم بالأمن والطمأنينة في ظل الشريعة الإسلامية، كما حصل ذلك لسلف الأمة الذين وفقهم الله لتطبيق شرعه، فجمع لهم بين النصر على الأعداء، والذكر الحسن في هذه الحياة الدنيا، وما أعده الله لهم من الأجر والثواب خير وأبقى"[(١)].

وقوله أيضا: "من واجبات ملوك ورؤساء الدول الإسلامية أن يعتنوا بأمورهم، ويتفقدوا أحوالهم، والنظر في شؤون شعوبهم، وينبغي أن يكون ملك الدولة أو رئيسها متمسكا بمبادئ الدين الشريف، ويكون له في المقام الأول، وينظرون للواجبات الخاصة به قبل النظر في سياستهم، إذ بالدين الإسلامي يصلح كل شيء من الأقوال والأفعال وسائر التصرفات، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]. وأن يكونوا قدوة حسنة في التقى والخير والتمسك بالدين القويم لكافة شعوبهم"[(٢)].

---

(١) ينظر: قرارات المجمع الفقهي من الفترة ١٠/ ٨/ ١٣٩٨هـ إلى ١٧/ ٨/ ١٣٩٨هـ.
(٢) ينظر: مجلة المجتمع، (ص٢٦) عدد (٢٥٩)، تاريخ ١٣/ ٧/ ١٣٩٥هـ.

وكذلك كان رحمه الله يتعاهد المؤسسات العلمية والتربوية والعلماء بالنصح والتوجيه، ويذكرهم بواجبهم ومهامهم، ويعقب على بعض أقوالهم وأفعالهم مصوبًا ومصححا، كإنكاره - مثلا- على موافقة مجمع البحوث الإسلامية بمصر على قانون الأحوال الشخصية، والمراد منه: إعطاء الزوجة حق الطلاق من زوجها عند زواجه من أخرى، قال الشيخ رحمه الله: "فإنه لمخجل موافقتكم على هذا القانون الجائر والأعضاء المحترمين، فهذا القانون لم يقره شرع ولا عقل، ومن تأمل أسرار الشريعة وحِكمها بجعل الطلاق في يد الرجل دون المرأة علم يقينا فساد هذا القانون ... فحق على شيخ الأزهر أن يعيد النظر في موافقته تلك، ويخشى الله ويتقيه، ويعلن فساد هذا القانون ويتبرأ منه، وحق على العلماء العاملين أن يتمسكوا بتعاليم دينهم، موضحين للناس حِكمه وأحكامه متبرئين من كل ما يخالفه ويناقضه"(١).

ولمّا كان القضاء من ضروريات أمن المجتمعات، وذو مكانة مهمة في الإسلام، حرص الشيخ رحمه الله على متابعة أمره وتقديم توجيهاته وملحوظاته لمن يهمه أمره، ومن ذلك خطابه لشيخه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله أجمعين، يُعْلِمُه ببعض ما لمسه من ملحوظات في السلك القضائي - آنذاك- وذلك قوله: "من عبد الله بن محمد ابن حميد، إلى حضرة المكرم الأحشم، سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، رئيس القضاة؛ أدام الباري عليه إحسانه، وأجرى بالصواب قلمه ولسانه، آمين.

---

(١) ينظر: مجلة التوحيد المصرية، عدد ٥ - ٦، وتاريخ جمادى الأول - جمادى الآخرة عام ١٣٩٦هـ.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فأرجو الله أن يحفظكم ويوفقكم لما فيه رضاه، وأن يسدد خطاكم، ويجعلكم من صالح عبيده وأوليائه.

سلمك الله، بما أني أعتبر نفسي كواحد من أبنائكم، وأن الواجب علينا جميعا التناصح، والتساعد على ما فيه الخير والصلاح العام، والتعاون على البر والتقوى، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن، لذا أحب أن أبدي لكم ما في نفسي، نصحا ومحبة، وحرصا على هذه الشريعة الكاملة في مصادرها ومواردها، أن تنتهك حرمتها، أو تنال بسوء، أو أن يخف وقعها في النفوس، وذلك بما هو معلوم لديكم ولدى الناس عامة، وهو ما أصيب به القضاء من ضعف، وما حصل به من خلل.

وغير خاف عليكم حفظكم الله، مكانة القضاء من الإسلام وما عليه الناس اليوم، فإعطاؤه العناية الكاملة من كل الوجوه، وبذل النفس والنفيس في تركيزه على الطريقة المثلى التي ركزها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، والتناصح في ذلك من أوجب الواجبات.

فتحكيم الشريعة الإسلامية مفقود من جميع نواحي المعمورة، سوى هذه المملكة الإسلامية أيدها الله، وأدام تمسكها بهذا الدين الحنيف.

لذا ولما تقدم: رأيت من المتعين عليّ أن أبين لسماحتكم بعض ما لاحظته على القضاء في هذه المملكة، والله يعلم أني لا أريد إلا النصح، والسعي فيما فيه حفظ حقوق المسلمين، واحترام الشريعة الإسلامية بأن لا تكون في نفوس بعض العامة وغيرهم غير كافلة لمصالحهم، بحيث يرون أن غيرها

أحفظ لحقوقهم منها، وأعوذ بالله أن يكون ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سبق أن شافهتكم كثيرا وكاتبتكم مرارا في هذا الموضوع، وهو: أن الحالة القضائية انحط شأنها، وضعف في نفوس الكثيرين مكانها، وذلك لأمور:

منها: تولية غير الأكفاء، كبعض الطلاب المتخرجين من الكليات وغيرهم، ممن لا يُعرف دينه وعقله وعلمه وأمانته، فيما ولي مثل هذه الأعمال الهامة؛ والتحقق عن جميع ما ذكر واجب.

والأولى أن تتولى ذلك بنفسك، ولا تعتمد على أحد، لأهمية هذا العمل؛ وذلك بأن يكون القاضي ممن اشتهر بالعلم والورع والديانة والأخلاق الفاضلة، وإن كان ممن مارس هذا العمل فهو أولى.

ثانيا: تهاون بعض القضاة بالأخلاق الفاضلة، وبشعائر الإسلام الظاهرة، وعدم تخلقهم بها، مما يسقط مكانة القضاء والقضاة من نفوس العامة.

ثالثا: إدخال بعض الأنظمة على القضاء التي من شأنها تعقيد المسائل، وتطويل المعاملات، بكثرة السؤال والجواب، وطول الأخذ والرد، وتكليف الخصوم بما يحصل المقصود بدونه، مما يجعل أحدهم يسب القضاء والقضاة والحكومة، بسبب ما تحمله من التكاليف في بدنه وماله.

رابعا: قصور علم بعض القضاة، وفقد غالب الشروط التي ذكرها العلماء في القاضي، كما لا يخفى وكما هو مشاهد، فإن بعضا من القضاة لم يعرفوا أحكام صلاتهم، فضلا عن أن يحكموا بين الناس باسم الشريعة الإسلامية، وقد

بلغنا كثير من فتاويهم وأحكامهم، ومع هذا يحكم في الأموال والحدود، والفروج، والأوقاف وغيرها بلا خجل ولا حياء.

خامسا: تكثير المحاكم في كل هجرة وقرية، من غير تحقق في كثرة السكان وبعد المسافة، بل بمجرد الطلب يوافق على ذلك، والأولى التقليل من ذلك لقلة وجود الأهل لهذا العمل الهام.

سادسا: إلزام بعض أهل البلاد على قضاتهم، إذا كان بينهم وبينه خلاف واقعي صحيح، وهذا يخالف المصلحة. فالمستحسن نقل كل من تظلم أهل بلده منه، أو رمي بتهم لا تليق به، حفظا لكرامته، وصونا لسمعته، ونقله- والحالة هذه- أولى من إلزامهم به، لما يترتب على ذلك من الأمور التي هي غير محمودة.

ولما تقدم يترتب عليه أمور:

منها: أن في وجود ما ذكر في القضاء والقضاة، تكثيرا للمشاكل، وإتعابا للناس وللحكومة ولكم، في كثرة المراجعات، وإبداء التظلمات، وإطلاق ألسنتهم في المنتسبين، مما يجعل القاضي كأقل موظف، بل وأحط رتبة منه في نفوس الناس؛ في حين أن القاضي يجب احترامه وتوقيره وتقديره، لأجل المنصب الذي يشغله، لا لشخصيته.

ثانيا: إن كثيرا ممن يحكم عليه يرى أنه مظلوم، وأن الحكم ليس بصحيح، لعدم ثقته بقاضيه وارتياحه منه؛ لأنه يرى ويسمع منه، ما يصيره معتقدا أن قاضيه ليس على

حق في حكمه، فيعتقد أن الحكومة ظلمته بتولية مثل هذا، ولم تراع له حقا.

ثالثا: إن في ترك الناس على هذه الحالة، سببا إلى ميول العامة إلى القوانين الوضعية، وأنها هي التي تضمن لهم حقوقهم؛ ولا شك أن هذه بلية عظمى، متى رأى الناس هذا الرأي، وإن لم يتفوهوا به.

هذا بعض ما دار في النفس، أحببت أن أكتب لكم به، نصحا وبراءة للذمة، وحرصا على هذه الشريعة الإسلامية، ومحبة لهذه الحكومة ولكم، وثقة بعقلكم وبعد نظركم، ولعل الله أن يقدر الاجتماع بكم، فأبين لكم جميع ما في نفسي حول ذلك مما لا تنبغي كتابته.

والله أسأل أن يوفقكم ويكلل أعمالكم بالنجاح، ويبارك في علومكم ومساعيكم والسلام"(١).

ومن أعماله رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا السياق أيضا تنبيهه على أوهام ابن محمود في كتاب سماه "غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود"، بين فيه الصواب في مسألة الأضحية عن الميت، وقد ردّ فيه على من جعل وصول أعمال البر للأموات بدعة، وساق لذلك أدلة من الكتاب والسنة، وذلك في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومما يدعو إلى الأسف هو أن بعض العلماء لا يزال شغله الشاغل إثارة المجادلات الفرعية الخلافية كالأضحية عن الميت، ووصول ثواب الأعمال إلى الأموات، في حين أن المنع منهما قول ضعيف لا يعبأ به"(٢).

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١٦/ ١٩١- ١٩٦).

(٢) ينظر: غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود، للشيخ عبد الله ابن حميد، ٣-٤.

ورسائله في الدعوة إلى شرائع الإسلام عموما كثيرة مبثوثة في مؤلفاته وخطبه وخطاباته ودروسه، يُرغِّب الناس في الدعوة إلى الله، ويَعايش ذلك بنفسه، فقلما تجد أمرا من أمور الدين إلا وتحدث فيه، مبينا للناس حكمه، وموضحا حكمة الأمر به أو النهي عنه، لا تأخذه في الله لومة لائم، لاسيما أن عصره شهد كثيرا من المتغيرات، حيث ظهرت فيه بوادر الحضارة والنهضة العلمية والاقتصادية، التي بدورها خلقت صراعات بين القديم والحديث، فاستجدت نوازل وأحداث هي بحاجة ماسة إلى العلماء الربانين العارفين، إذ تشكلت الشركيات والبدع والمنكرات في قوالب مختلفة، لا يفطن لها إلا القليل من العلماء العارفين، خصوصا وأن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في بداية دخولها على البلاد -آنذاك- قد اعتراها شيء من البرامج المثيرة للشهوات، والداعية للشبهات، فانطلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلما ومرشدا ومنافحا ومكافحا، يجلي للناس أمور دينهم بكل ما أوتي منهج سديد وحرص وغيرة على هذا الدين القويم، فلم يزل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التصدي لها حتى وافته المنية، فترك لمن بعده إرثا تليدا زاخرا، أسس لهم فيه منهجا قيما ورثه عن سلفه الصالح رحمهم الله جميعا رحمة واسعة، وأعلى درجاتهم في عليين... آمين.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

أعماله الخيرية وسعيه في قضاء حوائج الناس

المطلب الأول: استقباله الناس لقضاء حاجاتهم:

لقد بذل الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه لقضاء حاجات الناس الدينية والدنيوية، وتسهيل ما يحقق مصالحهم، فقد كان الناس يفدون إليه في أوقات الصلوات وغيرها، كما كان يستقبل أصحاب الحاجات في منزله الذي كان يقضي فيه في كل من المجمعة وبريدة، كما كان يستقبل الناس في مكتبه في رئاسة الحرم في مكة ثم في رئاسة القضاء.

إضافة إلى ذلك فإن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ خصص موعدين في الأسبوع يفتح بابه لعموم الناس، فالموعد الأول يوم الثلاثاء بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء، والموعد الآخر يوم الجمعة ضحى بعد ارتفاع الشمس بساعة تقريبا لمدة ساعتين، وكان هذان الوقتان معروفين لدى عموم الناس في بريدة والقرى، فكان القادمون عليه ما بين زائر ومستفت وطالب شفاعة ومستشير وصاحب حاجة.

وهذا يدل دلالة قاطعة على قرب الشيخ من الناس ومعايشته أحوالهم، وبذل نفسه لقضاء حاجاتهم - عليه رحمة الله-، ولذا كانوا يُطلعون الشيخ ويستشيرونه حتى في بعض أمورهم الخاصة، ومن ذلك أن رجلاً من تجار بريدة أتى للشيخ يستشيره في أي أملاكه يجعله وصية بعد موته في أعمال البر، وكان الرجل له بيوت ومزرعة، وكان من تجار العقيلات الذين يسافرون للتجارة،

فقال له الشيخ: يا فلان إذا أردت أن تسافر في تجارتك هل تأخذ زادك من الطعام والشراب معك أو تسافر وحدك وتقول لأولادك: الحقوني بزادي؟ فقال الرجل مباشرة: بل لا أتجاوز البلد إلا ومعي طعامي وشرابي، فقال له الشيخ: قدِّم ما تريد أن يكون لك زاداً وذخرا عند الله الآن تجده أمامك وتقدم عليه، ولا تنتظر شيئا بعد موتك، فإنك لا تدري ما يعتري المال الموصى به، أو الوصيَّ ما تدري ما يحصل له[(١)].

ولما عُيِّنَ الشيخ رئيسا للرئاسة العامة للإشراف الديني في المسجد الحرام وسكن مكة، وكثر قاصدوه من داخل البلاد وخارجها، كان رحمه الله يفتح بابه بعد صلاة العصر من كل يوم إلى قبيل غروب الشمس، كما كان يستقبل الناس ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع.

ولما عُيِّن رئيسا لمجلس القضاء الأعلى وسكن الرياض استمرَّ على عادته في فتح الباب للزائرين وأصحاب الحاجات بعد صلاة العصر من كل يوم بالإضافة إلى ضحى يوم الجمعة[(٢)].

قال معالي الشيخ صالح بن عبد الله ابن حميد: "لم يكن الشيخ رحمه الله من العلماء الذين يحصرون أنفسهم في ميادين ضيقة، أو يكتفي بمجالس العلم والتعليم، بل كان متصلا بالحياة والأحياء والمجتمع في نواح شتى، ومن أهم أغراضه في ذلك الدعوة إلى الله، والاستماع لحوائج الناس، والسعي في قضائها،

(١) ينظر: تاج القضاة (ص٣١٦) لسليمان العثيم.
(٢) المصدر السابق (ص٣١٧).

ورفع المظالم عنهم، وإيصال الحقوق إلى أهلها، ومن أجل هذا كان بيته مفتوحا ومقصداً للقاصي والداني والصغير والكبير، فترى في مجلسه العالم والأمير، والوجيه والأديب والتاجر والفلَّاح، وكل طبقات المجتمع دون استثناء، وكُلٌّ يأنس بمجلس الشيخ.

ومن حكمة الشيخ ودماثة خلقه ولطف معشره أن خصه الله عز وجل بالقدرة على التحدث مع كل واحدٍ بما يناسبه، فلو رأيته وهو يتحدث مع الأمي العامي ليسأله عن أحواله وبلده أو طبيعة عمله، بل لعله يسأله عن أهله وأسرته، فللشيخ إلمام كبير بمعرفة القبائل والأسر وأصولهما، مع ما تميَّز به من حفظ عجيب للأسماء والقبائل والأسر وتاريخها.

ولو رأيته في المطارحات الأدبية والمقطعات الشعرية في سردها ونقدها وإصلاح أوزانها.."، وقال: "كما كان كريما ذا بذل، فقلَّ أن يأتي غريب زائر، أو عائد من سفر إلا ويدعوه الشيخ إلى مأدبة يقيمها في بيته، ويدعو لها جمعا من الناس، مما يتناسب مع طبقة الضيف، فهو كريم مفضال، قد تبرع ببيته للضيوف والغرباء[1]".

المطلب الثاني أعماله الخيرية:

- **الجامع الكبير في بريدة**

من المعلوم ما كانت عليه المساجد في الجزيرة العربية بعامة ونجد بخاصة، من بنائها باللبن والطين وسقفها بالجريد وجذوع النخيل، مما يجعل

---

(١) ينظر: مجلة الدارة، العددان (٣،٤) السنة (٢٤) عام ١٤١٩هـ (ص٦٩، ٧٠).

بناءها ضعيفا وعمرها قصيرا، فلا تستطيع الصمود طويلا أمام مياه الأمطار وعاديات الرياح.

وحينما بدأت تظهر في البلاد المواد الجديدة في البناء من الخرسانة المسلحة، كان الشيخ رحمه الله من أول المسارعين إلى الاستفادة من هذا الجديد المفيد، حيث رفع إلى جلالة الملك سعود يطلب إعادة بناء الجامع الكبير ببريدة بالمسلح، فوافق رحمه الله على ذلك، وأعيد بناء الجامع بإشراف الشيخ، وفُرغ منه عام ١٣٧٩هـ وبقي على بنائه حتى أعيدت عمارته مرة أخرى على نفقة الملك فهد -رحمه الله- عام ١٤١٦هـ[(١)].

• عمارة وترميم المساجد

سعي الشيخ رحمه الله في إعادة ترميم كثير من المساجد في القرى حيث كان يحُثُّ المحسنين والأهالي على أن يُساهم الشخص بما يستطيع، فكان بعضهم يدفع ما تجود به نفسه من المال، وبعض المزارعين يسهم بالخشب والجريد، وبعض الناس يسهم في مباشرة العمل بنفسه، حيث يتكفل بالعمل عدَّة أيام، وهذا كله بتوجيه من الشيخ عليه رحمة الله[(٢)].

• إعانة الأئمة والمؤذنين:

سعي الشيخ رحمه الله في حث الموسرين وأصحاب الأموال في إيقاف بعض

---

(١) **ينظر**: المصدر السابق (ص٦٠).

(٢) **ينظر**: تاج القضاة (ص٢٩٨) لسليمان العثيم.

البيوت ليكون ريعها مساعدة للأئمة والمؤذنين تصرف لهم، وهذا قبل أن تنتظم الحال لدى وزارة الأوقاف وشؤون المساجد[1].

● المكتبة العامة في بريدة:

من مشاريع الشيخ العلمية في القصيم أنه استصدر الموافقة السامية لإنشاء مكتبة عامة لما يعرفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قيمة الكتاب وبناء طلب العلم عليه، فلما كان عام ١٣٧٥هـ أنشئت المكتبة وخُصص لها بناء على الطراز المعماري الحديث في وقته، فجلب لها أمهات الكتب في الحديث والتوحيد والفقه والتفسير والمصطلح والنحو والأدب والتاريخ والاجتماع والدوريات وغيرها من ألوان الفنون والمعارف.

ومن أجل أن يُعوِّد الشيخ الطلاب على ارتياد المكتبة صار يعقِدُ فيها بعض اللقاءات العلمية، كما كان يجعل لنفسه فيها وقتا فيرتادها مع بعض خواص طلابه ليعتادوا ارتياد المكتبة، وكان يتعاهدُها بتزويدها بالكُتُب، فلمَّا غادر القصيم إلى مكة ضُمت المكتبة إلى وزارة المعارف[2].

● التبرع لفقراء البادية:

كان عام ١٣٧١هـ سنة قحط ماتت فيه ماشية البدو، وهي بالنسبة إليهم كل شيء، يحيون بحياتها ويموتون بموتها، ولذلك لجأ الأعراب للمدن ومنها بريدة، لجأوا نجاة من الجوع بعد أن ذهب مالهم، إلا أن بعضا منهم لم تلائمهم

---

(١) **ينظر**: المصدر السابق (ص٢٩٨).

(٢) **ينظر**: مجلة الدارة (ص٥٩).

حياة الحاضرة وانقطاعهم عن اللبن، حتى مات عدد منهم، ولذلك جمع الشيخ عبد الله ابن حميد التجار والوجهاء في جامع بريدة ووقف فيهم خطيبا، فحثهم على الصدقة على هؤلاء الفقراء الذين أُصيبوا في أموالهم وأنفسهم، وألح عليهم وقال: إنكم يا أهل بريدة أهل خير وأهل بر ومعروفون بالمسارعة إلى الخير والبر ومشهورون بذلك وهذه فرصة يجب أن تُغتنم وفيها أجر وثواب من الله تعالى في إغاثة هؤلاء الفقراء المساكين. حتى قال: وما من بأس على من يريد أن ينوي أن ما ينفقه يحتسبه من الزكاة المفروضة.

فافتتح الشيخ الصدقة بمائتي ريال، فتبعه التجار والوجهاء.

كما كان للشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ مكاتبات معروفة مع الملك عبد العزيز يطلبه الصدقة لفقراء القصيم[(١)].

- **جمع الزكاة وتفريقها على الفقراء في بريدة:**

كان الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ يتولى جمع الزكاة حيث عين السعاة لجباية وتحصيل الزكاة من أصحاب الأموال الزكوية في عموم بلاد القصيم فكانوا عدة لجان؛ لجنة للمواشي ولجنة للحبوب ولجنة للتمور، كما عين من يقوم بحفظها في البلد، وقد استأجر مستودعات لحفظ الحبوب والتمور، وكان المشرف على هذه المستودعات الأخ الفاضل سليمان بن حمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ، كما عيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أناسا يقومون بحصر الفقراء في عموم البلد ومن ثم توزيع الزكاة

---

(١) **ينظر**: الشيخ عبد الله ابن حميد كما عرفته (ص٢٣٣) لمحمد بن ناصر العبودي.

عليهم حسب الحاجة، وفي غالب الأمر لا يأتي الفقير للسؤال وإنما يُدفع إليه ما قُدِّر له من هذه الزكوات، وكان الشيخ رحمه الله يُحَرِّض القائمين على توزيع الزكاة على تلمس المتعففين والأيتام والأرامل والعجزة وغيرهم(١).

• **حفر الآبار:**

من المصالح العامة التي قام بها الشيخ سعيه في حفر آبار للسقيا في طرقات المسافرين وبعض القرى، وكان يحث الأغنياء بالاعتناء بحفر الآبار في موارد الناس وعند الجوامع.

• **الحفاظ على المصالح العامة:**

ومن أعماله: السعي في المحافظة على الساحة الكبيرة الواقعة شرق بريدة التي كانت معروقة بـ(أثل الجرب) وكان يأوي إليها المسافرون ويربطون جمالهم وركائبهم فيها، كما كانت ساحة لتجمع المسافرين من أجل الانطلاق للسفر على شكل قوافل، وتستخدم -كذلك- محطة للقوافل القادمة إلى السوق من مواش وغيرها.

وروى عدد من كبار السن منهم الأخ الفاضل عبد العزيز بن تركي الشاوي، قال: "في عام ١٣٧٠هـ همَّ مجموعة من الناس أن يستحوذوا على جزء كبير من أرض (أثل الجرب) والتي كان حماها وعيَّنها الوجيه/ فهد بن علي الرشودي رحمه الله للمصالح العامة وخدمة المسافرين، فلما نمى ذلك إلى الشيخ

---

(١) **ينظر**: تاج القضاة (ص١٦٩) لسليمان العثيم.

ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ بادر بإرسال رسالة عن طريق البرقية إلى الملك عبد العزيز يخبره بذلك ويطلب منه الموافقة على أن تكون وقفًا لمصالح البلد، وأن يُسعى في ترسيمها وحمايتها، فجاءت الموافقة من الملك بذلك، ثم كُلِّف أمير البلد أن يضع علامات عليها وأن يقوم بحمايتها.

وقد استفاد منها البلد فائدة عظيمة منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا[(١)].

- **تسوير المقابر:**

سعى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تسوير بعض المقابر في بريدة والقرى التابعة، فكان يحث الناس على جمع تبرعات لذلك، ومن ليس عنده نقود يحثه على العمل بيده إذا كان قادرًا، ولذلك سوِّرَت مقابر كثيرة في زمانه كما حُفِظت مساحات من الأرض مقابر للأجيال القادمة[(٢)].

- **إعانة طلاب العلم:**

حرص الشيخ عبد الله ابن حميد على الإنفاق لما له من آثار في نفوس الناس، ولم تقف جهوده على بذل المال من الزكوات والهبات والأعطيات، بل تعدته لتشمل طلبة العلم الذين كانوا في بادئ الأمر لا يجدون ما يسد رمقهم من مال أو طعام، ونظرا لما يمثله الإنفاق في سبيل الله من رافد مهم لنشر العلوم والمعارف ودعم المناشط والوسائل الدعوية، سعى الشيخ عبد الله ابن حميد

(١) **ينظر**: تاج القضاة (ص٢٩٦) لسليمان العثيم.
(٢) **ينظر**: المصدر السابق (ص٢٩٧).

لدى ولاة الأمر بشأن تخصيص مرتبات مالية لطلبة العلم، فكان خير معين للطلاب ليستكملوا جهودهم في تحصيل العلوم الإسلامية.

ومما يوضح كثرة إنفاق الشيخ عبد الله ابن حميد كثرة ما يرد عليه من المعاملات والطلبات المتعلقة بطلب النفقة، ومخاطباته مرغبا في الإنفاق، ومكاتبته ولاة الأمور بشأن بعض الفقراء.

ومن تلك النماذج خطاب موجه من الخاصة الملكية وفيه: "حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله ابن حميد... بعد التحية حسب أمر مولاي البرقي رقم/ ... القاضي بصرف ثلاثمائة ريال لـ... معاونة له بواسطة فضيلتكم...".

- **إعانة المحاجين:**

كان سماحة الشيخ رحمه الله مقصد أصحاب الحاجات، وفي سجلاته نماذج كثيرة من الطلبات الواردة إليه بمختلف حاجات الناس، كغلبة الدين أو قصور ذات اليد، ومختلف الأسباب ككبر السن أو المرض.

فكانت تدرس هذه الطلبات ويُعطى المحتاج ما يكفي لسد خلته ورفع الضراء عنه(١).

- **بذل الجاه لمساعدة الناس:**

كان الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله باذلا شفاعته في شتى أوجه الخير،

---

(١) **ينظر**: جهود الشيخ عبد الله ابن حميد في الدعوة (ص٥٥٢) للشيعاني.

فكان يبذل في ذلك ماله وجاهه ووقته وعلمه كما كان يحب أن يشفع للناس ولا يدخر جهدًا في مساعدة المحتاجين من طلبة العلم والعلماء والمقيمين، والسجلات الخاصة بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مليئة بالشفاعات إلى الجهات الخاصة.

وهذه نبذة عن الموضوعات التي كان رَحِمَهُ اللَّهُ يشفع فيها:

١- الشفاعة في منح الإقامة النظامية.

٢- الشفاعة في منح الرعاية السعودية.

٣- الشفاعة في قبول الطلاب ضمن المعاهد العلمية.

٤- الشفاعة لبعض المسجونين ممن تنطبق فيهم الشروط.

٥- الشفاعة في الوظائف الحكومية لمن توافرت فيه الشروط.

٦- الشفاعة لزيادة عدد طلاب معهد الحرم المكي.

٧- الشفاعة لتعمير المساجد، وإنشاء المكتبات العلمية.

٨- الشفاعة في إصلاح وسائل الإعلام المختلفة.

وهو في شفاعته يتَثَبَّت ويطلب -أحيانًا- تزكية اثنين من العلماء المعروفين، فإذا استوفى ذلك كتب خطاب الشفاعة.

ومن تلك النماذج نعرض نموذجين:

الأول: خطابه إلى أمير منطقة مكة المكرمة -آنذاك-: "بما أن.... قد كتب لنا بشأن أخيه... المودع في السجن منذ مدة على إثر حادث اصطدام مع دراجة نارية توفي على أثرها رجل... في حين أن الخطأ لم يكن من جانبه، حيث

لم يلزمه من الدية سوى نصفها أي ثمانية آلاف ريال، وقد طلب منا التوسط له عند سموكم الكريم بالتكرم بالأمر بإطلاقه مع التزامه بتسليم المبلغ وإقامة كفيل مستعد بتسليم المبلغ وإحضارهم عند اللزوم، نظرا لحضور والدته وهي كبير في السن، وضياع أطفاله. ولكم منا ومنه وافر الشكر".

الثاني: خطابه إلى وزير الداخلية حول منح أحد الدعاة إقامة بالمملكة ليتمكن من مواصلة طلب العلم ومما ورد فيه: "تجدون برفقة الاستدعاء المقدم لنا من طالب العلم... السنغالي الجنسية، المتضمن أنه قدم إلى المملكة منذ سبع سنين، ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن وهو طالب للعلم بالمسجد الحرام، وطلب منا التوسط إلى سموكم بمنحه الإقامة حتى يتمكن من مواصلة طلب العلم، وقد ذيل استدعاءه بشهادة كل من الشيخين... و... المدرسين بالمسجد الحرام، بأن المذكور من طلبة العلم بالمسجد الحرام، لذلك فإني آمل من سموكم التكرم بمنح المذكور الإقامة مساعدة له وتشجيعا لطلبة العلم القادمين من الخارج الذين نرجو من الله أن يكونوا دعاة للحق في أكثر البلدان الإسلامية في المستقبل"(١).

---

(١) ينظر: جهود عبد الله ابن حميد في الدعوة (ص٥٥٧) للشيعاني

المبحث الرابع

رحلاته

المطلب الأول: رحلاته داخل المملكة العربية السعودية:

سافر سماحة الشيخ عدة أسفار داخل المملكة لما يقتضيه عمله؛ فمن ذلك أنه لما كان يوم السبت الثامن والعشرين من محرم عام ١٣٧٢هـ، ركب الطائرة من الرياض وحطَّ في رحاب جدة، ومنها إلى مكة المكرمة.

وتكررت زيارته لجدة وزار فيها البحر، وزار كذلك مدينة رسول الله ﷺ، ونظر في بعض القضايا فيها، وزارها كذلك مشاركًا في بعض النشاطات الدعوية[(١)].

وسافر كثيرا إلى مدينة الطائف وخاصة في فصل الصيف؛ حيث كانت عادة الدولة أن تنتقل إليها في الصيف، وخرج فيها إلى النزهات، وزار فيها المعالم، وزار ضواحي الطائف حتى وصل إلى الحوية، وكان غالبا ينزل كل أسبوع إلى مكة[(٢)].

المطلب الثاني: رحلاته إلى خارج المملكة العربية السعودية:

تحدث الشيخ صالح بن عبد العزيز الغصن عن سفر سماحة الشيخ إلى

(١) ينظر: تاج القضاة (ص١٨٢) لسليمان العثيم.
(٢) ينظر: مجلة الدارة العددان ٣و٤ سنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ ص ٥٧.

أمريكا قائلا: سافر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أمريكا مرتين لتلقي العلاج، وكنت معه في تلك الرحلتين وأخذنا معنا نماذج من الكتب في التفسير والفقه والأدب والتأريخ.

كان الكتاب رفيقه في الحضر والسفر وحتى في المستشفى وهو يعاني قسوة المرض لم يترك البحث والقراءة والتعليق.

وقرأت عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقدمة كتاب التسهيل في تفسير القرآن لابن جزي، ومرت علينا عبارة: (بحرمة النبي الأواه)، فأملى علي الشيخ تعليقا كتبت نصه على حاشية الكتاب قال: "هذه الألفاظ المبتدعة فإنه لا يسأل الله بحرمة أحد ولا بجاهه، وإنما بما شرع الله لعباده من الدعاء بأسمائه وصفاته، وفي موضع قال ابن جزي في المقدمة الأولى عن مصحف علي بن أبي طالب: (أنه لو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير)، فأملى علي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقا على هذه العبارة: إن العبارة فيها نظر، فإن الله حفظ القرآن وصانه عن الضياع ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

وذكر ابن جزي في المقدمة الثانية قوله: (والمؤمن في الشرع المصدق بهذه الأمور)، فكتبت تعليقا على هذه بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يكفي مجرد التصديق في الإيمان بل لا بد مع ذلك القول والعمل كما دل عليه أهل السنة والجماعة، وكما دل عليه القرآن".

وكان من جملة الكتب التي معنا في أمريكا رحلة ابن بطوطة قرأنا منها موضع كثيرة، وكان مما ذكره ابن بطوطة: (أنه رأى شيخ الإسلام ابن تيمية يعظ

الناس في المسجد الجامع، وأن من جملة كلامه أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا).

فعلق عليه سماحة الشيخ رحمه الله بقوله: "ليس هذا بصحيح ولا يصح نسبته إلى ابن تيمية، فإن تيمية من أشد الناس نفيا لمشابهة الله بخلقه، وكتبه موجودة مطبوعة في متناول كل أحد، كشرح حديث النزول، وقرر فيه وغيره أن الله ينزل إلى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر نزولا حقيقيا، لكن الله أعلم بكنهه وكيفيته، وإنما هو نزول يليق بجلاله كسائر الصفات"[(١)].

(١) ينظر: عبد الله ابن حميد حياته العلمية (ص٤٧٠) لمحمد أحمد سيد.

الفصل السادس

وفاته ومراثيه

المبحث الأول: مرضه ووفاته

المبحث الثاني: مراثي الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

مرضه ووفاته

من طبيعة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان جلدا لا يشتكي ولا يتأوه، ويتحمل من الصبر ما لا يتحمل غيره، حتى كان يعتل العلل الشديدة ولا يكاد يبدو ذلك عليه أو يثنيه عن أعماله ومهامه، وقد عاش الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاثة وسبعين عاما، وأصيب في منتصف عام ١٤٠١هـ بمرض السرطان، ورغب منه ولاة الأمر السفر إلى أمريكا مع أنه لم يخرج خارج البلاد طوال حياته قط، فنزل على رغبتهم فسافر مرتين في مدة متقاربة، وقد كان على درجة من التحمل والصبر وعدم الشكوى والأنين مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة، ولكنه كان صابرًا محتسبًا، بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة، وكان يتابع أعماله الرسمية والبيتية بشكل عجيب، بل كان يبتهل الفرص لإلقاء الكلمات التوجيهية والتذكيرية وبخاصة حينما يزوره كبار المسؤولين، فإنه يذكرهم بمسؤولياتهم ولا سيما فيما يتعلق بشأن الإسلام والتأكيد على الاستمساك بالعقيدة، وأن هذه البلاد لم تقم ولم يعزها الله إلا بالعقيدة، كل ذلك وهو يعاني ما يعاني من الآلام المبرحة، وحاله يقول: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله؛ حتى إن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده، حتى قال أحدهم وهو أمريكي: إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل، إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وبعد عيد الفطر عام ١٤٠٢هـ اشتد عليه المرض وهو صابر محتسب لا يظهر عليه شكوى ولا جزع، وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم ٢٠ ذي القعدة من عام اثنتين وأربعمائة وألف هجرية في مستشفى الهدا في الطائف.

وصُلِّيَ عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة وأخلفه في عقبه خيرًا، لقاء ما قدم لدينه وأمته وللعلم وأهله، وقد كانت جنازته مشهودة كان فيها الأمراء والعلماء والوزراء والمسؤولون وطلبة العلم ومحبو الشيخ من الخاصة والعامة، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[1].

---

(١) ينظر: مجلة الدارة العددان ٣و٤ سنة ٢٤ عام ١٤١٩هـ (ص٧٩).

المَبْحَثُ الثَّانِي

مراثي الشيخ عبد الله ابن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عالِما عامِلا، جلس مجالس الذِّكر في المساجد مُتعلِّمًا ومُعلِّمًا، يدعو إلى الله ويُعَلِّمُ الناس، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قاضيًا، فعدَلَ وحُمِدَت سيرتُه، وانتقل رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عدة بلدات فترك في كُلِّ بلدة كثيرًا من الأصحاب والتلامذة المُحِبِّين، ثم صار رَحِمَهُ اللَّهُ رجُلَ دولة، فلم يكن إلا متواضعًا حسن المعشر، ساعيًا في رعاية مصالح المسلمين، ولم يشغله ذلك عن الدعوة ومجالس العلم.

ولِما جمعه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من تلك المناقب، كانت وفاته مريرة على المسلمين فكُتِبتَ عشرات المقالات والتعازي وفاضت أشجانُ المُحِّبين بالقصائد والمراثي، فالشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ترك أثرا كبيرا وفراغا عظيما، وذلك بسبب غزارة علمه وكثرة فضله واهتمامه بأمور المسلمين، لقد تأثرت بوفاته كثيرا؛ لأنه من أخص أحبائي، ومن أميز أهل العلم الذين تعاونت معهم[(١)].

ونعاه الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة الجمعة، حيث قال: أيها المسلمون وفي آخر هذا الأسبوع فقدت هذه المملكة حبرا من أحبارها وعالما من علمائها، وصالحا -لا نزكيه على الله- من صلحائها، ألا وهو الشيخ عبد الله ابن

---

(١) ينظر: جريدة البلاد عدد (٧٢٢٢) في ١٣/ ٣/ ١٤٠٣هـ (ص١١).

حميد رحمه الله تعالى رحمة واسعة، اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا أن تغفر له(١).

وكتب إمام المسجد الحرام الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط رحمه الله مقالًا قال فيه: سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله بكته القلوب قبل العيون، كم كانت الخسارة بفقده عظيمة، رحم الله الشيخ عبد الله ابن حميد وأكرمه بمنازل الصالحين(٢).

وتكَلَّم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله عن شيخه الشيخ عبد الله ابن حميد فقال: وأما ثناء العلماء عليه فكثير أيضا؛ من تلاميذ وزملاء ومشايخ وغيرهم، وبذلك تعرف مكانته رحمه الله وما تميز به من الميزات الكاملة، والله أعلم)(٣).

والقصائد التي رثت الشيخ رحمه الله كثيرة، أجاد فيها الكاتبون، وتنوَّعت في معانيها ومفرداتها، ومن أبرز تلك المراثي:

مرثية معالي الشيخ محمد السبيل رحمه الله(٤):

"لقد كان والدنا سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد من أبرز علماء المملكة العربية السعودية، ومن أشهر قضاتها المحبين للخير الذين يحكمون بين الناس بالعدل، فقد كان حريصا على إلقاء الدروس في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية وغيرها من المواد الدينية التي استفاد منها كثير من الذين كانوا يحضرون دروسه.

---

(١) ينظر: الخطبة المسجلة التي ألقاها الشيخ في الجامع الكبير في مدينة عنيزة في ٢٢/ ١١/ ١٤٠٢هـ.

(٢) ينظر: جريدة الجزيرة عام ١٤٠٢هـ.

(٣) ينظر: الشيخ عبد الله ابن حميد في عيون تلامذته ومحبيه (ص ١٢٧).

(٤) الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وعضو هيئة كبار العلماء، وإمام وخطيب المسجد الحرام.

أما الصفات التي كان يتصف بها سماحته فهي صفات حميدة، فقد كان رحمه الله ذكيًا ذا فطنة ولباقة وحضور ذهني دائم، وبديهة فائقة، وذا قدرة على معرفة الشخص من صوته ولو مر عليه من قبل مرة واحدة قبل عشر سنوات.

يضاف إلى ذلك أنه يمتاز بالأناة والتروي، لا يندفع أبدًا، في أي مشكلة، إنما يعالجها بكل ترو لكيلا يظلم أحدا أبدا، ويضيف سماحة الشيخ السبيل: كان لسماحته منهجًا مميزًا في سماع أي سؤال من أي سائل حيث إنه قبل أن يشرع في إجابة هذا السؤال يتحقق من السائل ليستوضح منه الموضوع، والتأكد منه قبل أن يجيب.

وقد درستُ على يدي سماحته الفقه والحديث واللغة في مدينة بريدة واستفدت منه جدا، ومن أسلوبه في التدريس وإجابة أسئلة أي سائل، وأثناء ملازمتي له في مكة المكرمة بعد أن عُين رئيسًا عامًا للإشراف الديني على المسجد الحرام؛ استمررت[1] أطلب العلم في حلقات دروسه، واستفدت من فتاويه وتوجيهاته وتصرفاته الحكيمة"[2].

(١) في الأصل: استمريت والصواب كما ذكر.

(٢) ينظر: جريدة عكاظ العدد: ٩٠١١ في عام ١٤١١/١١/٥هـ

مرثية معالي الشيخ محمد السبيل رحمه الله

على مثل هذا الخطب تهمي النواظر ❁ وتذري دماء مقلة ومحاجر
ألا أيها الناعي لنا علم الهدى ❁ أصِدقًا تقول أم مصابا تحاذر
لئن كان هذا النعي حقا فإنما ❁ نعيت الذي يبكيه باد وحاضر
نعيت الذي يبكيه كهل ويافع ❁ ويبكيه شبان ويبكي الأكابر
نعيت الذي يبكيه محراب مسجد ❁ ويبكيه تذكير وتبكي المنابر
وتبكيه دورٌ للعلوم ينيرها ❁ بفهم دقيق يجتنيه المثابر
ويبكيه حلُّ المشكلات إذا عصت ❁ وأعيى رجالًا وردها والمصادر
ويبكيه فصل الحق بالعلم مدعما ❁ ويبكيه طلاب ويبكيه حائر
بكته ذوو الحاجات إذ كان ملجأ ❁ يدافع عن ملهوفهم ويناصر
هو الشيخ عبد الله نجل محمد ❁ به أمة الإسلام حقا تفاخر
هو الجبل الراسي على كل حالة ❁ إذا زعزعت أحلام قوم أعاصر
منار على درب التُّقى فوق لاحب ❁ به يهتدي الساري وينأى المخاطر

قوي بفض الحق قاض موفق به ❁ يرتضي خصم وتهدى ضمائر
هو الحبر كم طابت نفوس ومتعت ❁ قلوب وأبصار به وبصائر
له مجلس يرتاده كل عالم ❁ فكم غمر الجلّاس منه جواهر
نرى الناس هذا وارد متعطش ❁ وذا ناهل من بحر علم وصادر
تفرد في علم وفقه وفطنة ❁ تقاصر عنها باحث ومذاكر
فكم كشفت أبحاثه من غوامض ❁ ومن حِكم تجنى وهن نوادر
نوادر علم من فنون تنوعت ❁ ينمى بها عقل وتزكو سرائر
قد استخرجت من كنز عقل مؤيد ❁ ونقل صحيح أسندته عباقر
وما العلم إلا ما رواه أئمة ❁ مشافهة أو دونته دفاتر
سرى ذكره في الأرض شرقا ومغربا ❁ وقد أكبرته جلة وأكابر
وعم الأسى عربا وعجما لموته ❁ فيا حسرتا إذا ألحدوه وغادروا
يجاهد في ذات الإله بحكمة ❁ وبالقسط قوام وللحق ناصر
وفي الله لا تأخذه لومة لائم ❁ يناصر سرا تارة ويجاهر

فكم ردعت أقواله من معاند ✻ وأذعن من بعد العناد يساير
له في قلوب العالمين محبة ✻ محبة صدق قربة ومفاخر
محبة دين يرتجيها أولو التقى ✻ ويحرم منها جاهل ومكابر
سحابة علم روت الروض والربى ✻ فأخصب منها مربع ومحاجر
فيا أسفا قد صوح النبت بعده ✻ فأضحى هشيما وهو بالأمس ناضر
وإن انتزاع العلم في موت أهله ✻ كما جاء نص في الصحيحين ظاهر
فيا لك من خطب جليل وحادث ✻ به فقدت أنهار علم زواخر
كما فقدت في حندس الليل أنجم ✻ وقد سقطت في الأفق وهي زواهر
فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه ✻ ويالوعة الصادي إذا جف ماطر
فكم أسف يبكي بقلب مبرح ✻ وكم واجم أضناه حزن مخامر
لقد مزق الأحشاء هم بموته ✻ تكاد له صم الجبال تناثر
فلله كم حاولت صبرا فخانني ✻ أقلل حزني مرة فيكاثر
إله الورى ندعوك سرا وجهرة ✻ تخفف عنا ما حوته الضمائر

من الروع والأحزان يوم فراقه ❁ فيا سيدي رحماك إنك قادر
سيبقى له في قلب كل موحد ❁ سريرة حب يوم تبلى السرائر
سقى الله قبرا ضمه وابل الرضا ❁ يمن به رب رحيم وغافر
وبوأه دار السلام مع الألى ❁ همو نصروا حزب الإله وهاجروا
فآل حميد إنما الصبر عزمة ❁ فصبرا ينال الأجر من هو صابر
فإن مصاب المرء فقد ثوابه ❁ وأما الرزايا فالمهيمن جابر
ولستم ذويه وحدكم في مصابه ❁ شعوب به قد أفزعت وعشائر
وذي حالة الدنيا سرور ❁ وغبطة وأيام بؤس فرقة وفواقر
وقد خلق الإنسان في كبد فمن ❁ يروم صفاء العيش لا شك قاصر
وإن قضاء الله حكم منفذ ❁ علينا الرضا والأمر لله صائر
وليس يرد الموت حصن ممنَّع ❁ ولا شاهق أو قوة وعساكر
فما خالدا زيد وعمرو وخالد ❁ سيوف المنايا مصلتات بواتر
كفى زاجرا للمرء أيامه التي ❁ يمر عليها بالمواعظ زاجر

مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى ۞ فلله عمر بالفضائل زاخر

جليل أتت في النظم أعوام عمره ۞ وفي عام غيث غيبته المقابر

وصل إلهي ما بكى السحب أو هوت ۞ نجوم أو ناح في الدوح طائر

على المصطفى بدر الدجى سيد الورى ۞ وآل وصحب ما بكى العلم شاعر[1]

(١) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٤٢) لعبد الله البسام.

مرثية أحمد الغنام من دولة الكويت

عزاءً بني الإسلام قد عظم الأمر ❁ وليس لنا إلا التجلد والصبر
فشيخ المعالي غاب عنا مسافرًا ❁ إلى ربه قد ضمه اللحد والقبر
فيا قبر رفقا بالذي فيك راقدا ❁ هنيئا لقد خصصت بالفضل يا قبر
لقد أظلمت مذ غاب منا مرابع ❁ كما ذهبت مذ غاب أيامه الغر
لقد كان بدرا ضاء في الكون نوره ❁ ألا إنه الشيخ المبجل والحبر
قلوب من الخطب العظيم تصدعت ❁ وفل قواها الرزء واستوحش الصدر
لقد ثلمت في الدين يا صاح ثلمة ❁ بموت حميد السعي وانقصم الظهر
فسمعته في الناس فهي فريدة ❁ وسيرته بيضاء ما شابها غدر
فتاواه في البيت المحرم حجة ❁ بفتواه كل يهتدي البدو والحضر
وإن هو أعمى العين فالقلب مبصر ❁ يساعده في علمه العقل والفكر
فها هي تنعاه الجزيرة كلها ❁ لقد مسها من فقده الحزن والضر
فها نجد من منآه عنها حزينة ❁ مفتتة الأحشاء قد هالها الأمر
لقد فزت عبد الله بالبر والتقى ❁ فأنت الذي في الناس أضحى له قدر

فصوتك يدوي في البصيرة مرشدا ❁ به قام معروف وزال به نكر
بمذودك الداعي لكل فضيلة ❁ تصول على أهل الغواية يا بدر
فيا شيخ عبد الله هنئت بالذي ❁ فعلت من الخيرات وليهنك الأجر
توليت أحكام القضاء نزاهة ❁ وأهلية ما أنت عن سرها غر
سلكت لعمر الحق في الحكم منهجا ❁ صحيحا فلم يلحقك عار ولا وزر
فذكراك في كل القلوب مقيمة ❁ وذكراك مع طول المدى كلها عطر
فإن غبت عنا أنت في القلب حاضر ❁ مآثرك الجلى هي الطيب والذكر
قدمت إلى رب جزيل ثوابه ❁ ونعماه طول الدهر ليس لها حصر
يجازيك بالإحسان جودا ومنة ❁ ويوم قيام الناس فهو لنا ذخر
عليك سلام الله يا ابن محمد ❁ ورحمته تعداد ما أسفر الفجر
سحائب من عفو الكريم هواطل ❁ تسح على مثواك ما سحت القطر[1]

---

(١) ينظر: تاج القضاة (ص٣٣٧) لسليمان العثيم

مرثية إبراهيم المديفر: (يا من يعز على القلوب رحيله)

أمعلم الأجيال رسم خطاها ❁ ومبصر الألباب في تقواها
أنت الذي للعلم عشت مجاهدا ❁ حتى بذذت الصحب والأشباها
أوقفت نفسك للشريعة حافيا ❁ لم تخش في فتواك إلا الله
يا من يعز على القلوب رحيله ❁ ما أعظم البلوى وما أقساها
تبكيك مكة والمشاعر كلها ❁ وحمى المدينة راعه مبكاها
ومن القصيم مساجد ومنابر ❁ سمعت بفقدك فاستشاط بكاها
أما الرياض فقد نعاك عبيرها ❁ حيث الجوامع قد شكت بأساها
حمدا لمن جعل الرحيل ضريبة ❁ كل الخلائق دافع إياها
إن الذي خلفت فينا لم يزل ❁ صبحا يشع على النفوس هداها
نبع يفيض على الجزيرة كلها ❁ بل تستقي منه الدنى فتواها(١)

(١) ينظر: المبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر (٤/ ٢٩١).

مرثية الشيخ عبد العزيز بن محمد النقيدان:

(دمعة على فقيد العلم الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد)

يا ابن الكرام رأيت جرحك قاسيا ۞ لم يبر رغم تدخل النطاس
إن المنية حين جن عراكها ۞ وقف الجميع بحرقة ومآس
لو أنهم يفدون صاحبهم لما ۞ بخلوا وهان لذائذ الأنفاس
لم أنس أستاذي يجود بعلمه ۞ للناهلين بهمة وحماس
ورأيت منبرك الذي عودته ۞ صدق الحديث يضيء كالنبراس
وإلى يمينك سائل مستفسر ۞ وإلى شمالك من علومك حاس
ورأيتهم يجرون خلفك مثلما ۞ يجرون خلف مواكب الأعراس
البيت يملؤه الشداة وكلهم ۞ أمل بعلم فيه خير لباس
طب أيها الحبر الهمام فإن ما ۞ أنجبته للدين خير غراس
نيطت بعاتقك الجسام فما وهت ۞ منك العزائم بل زهت بحماس
قد عشت في الدنيا وأنت معلم ۞ متعلم متواضع للناس
وبقيت في الحرم الشريف معلما ۞ ترنو بعين الصدق للأقداس

إن الجهاد وقد عرفت سبيله ❁ ما سرت فيه بدافع الإحساس

الكيسون لهم من الله الرضا ❁ يسقيهم الرحمن أهنأ كاس

الله ينزل فوق قبرك رحمة ❁ غيثا يعم بقية الأرماس[1]

(١) الشيخ عبد الله ابن حميد كما عرفته (٢/ ٢١٢).

مرثية الدكتور رضا بن نعسان معطي

مصابك قد هز الحجا والمعاليا ❁ فهان من الأحداث ما كان طاغيا
مصابك للأخيار قد جاء صدمة ❁ فسالت دموع من مآق شواجيا
بُليتَ بأسقام فآثرت كتمها ❁ فما كنت ملحاحا وما كنت شاكيا
ولو كانت الأرواح يشفيك بذلها ❁ رأيت ألوفا تفتديك غواليا
فكم عاش ميت قد تغذى بعلمكم ❁ فليس عجيبا أن أكون مفاديا
وفاء يسير من محب لشيخه ❁ فهل من سبيل كي أبين وفائيا
دقائق فقه الدين يرجى بيانها ❁ فتصدرها للسائلين هواديا
وكنت مع الأفذاذ في كل مجلس ❁ تثير هوايات هجاعا غوافيا
وكنت بتبيان العقيدة مولعا ❁ فما خالف الأصحاب أبعدت نائيا
فمنهج خير الناس كنت مناصرا ❁ ومن شذ عنه كنت عنه مجافيا
وكنت ببذل المال غير مجاهر ❁ تعيد لقلب البائسين الأمانيا
فأوقفت في المعلاة قبل رحيلكم ❁ بيوتا لطلاب العلوم بواقيا
وفي ظل بيت الله كنت ابن حنبل ❁ فتعسف محتارا وتطرب ساليا

وقد كان فيك الحفظ طبعا وفطرة ❁ فما كنت مضياعا وما كنت ناسيا

فعفوك شيخي إن غلوت بآهة ❁ فما كنت مضياعا وما كنت غاليا

فقد حير الخطب الجليل قوافيا ❁ فعادت رياض الشعر قفرا خواليا(١)

(١) ينظر: تاج القضاة (ص٣٤٠) لسليمان العثيم.

مرثية الدكتور ناصر بن سعد الرشيد

ما عليكن يا ذوات الحجال ❁ أن ترقن الدموع في إجلال
أو فكفكفن من دموع العذارى ❁ ثم دعن البكاء للأبطال
فبكاء الرجال في محكم الخطب ❁ حريٌّ به مآقي الرجال
رحل الشيخ بعد طول جهاد ❁ أتعب الخيل والعدا في القتال
فقده لا أرى به فقد فرد ❁ إنه فقد أمة في النضال
إن فقد الشيوخ منا لرزء ❁ ليس فقد الرعاع والأذيال
كان في الحفظ والذكاء فريدا ❁ وهو في الفقه مضرب الأمثال
كان يفتي بما يراه اتباعا ❁ لفعال الرسول في كل حال
وإذا ما دعاة سوء أتونا ❁ بنعيق الضلال والضُّلال
قام يدعو الله في السر والجهر ❁ قويا بلومهم، لا يبالي
لا يداري بعلمه أو يماري ❁ نصرة الحق قصده لا التعالي
أنت فينا البصير في ظلمة الشك ❁ ونعم الخبير في الأهوال
نحن عُميٌ كم قدتنا بأمان ❁ لصوى النبع باردا كالزلال

وإذا مـا الهجير ألهب في النفس ✿ سمـوما أخـذتنا للظـلال

سوف أرثي بـك العلوم جميعا ✿ أنت منها الذرا أنت منهـا العوالي

موتـة الشيخ ثـغرة في حمـانـا ✿ وحمى الدين والدُّنـا والمعـالي

نحن في عالم يموج سعيرًا وظـلام ✿ الـشكوك مثـل الجبـال

فهنيئًـا بـشدِّك الرحـل عنـا ✿ سوف نعيا غـدا بـشد الرحـال[1]

---

(١) ينظر: جريدة المدينة عدد: ٥٦٨٨، في الثاني من المحرم عام ١٤٠٣هـ.

مرثية الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى [(١)]

على الشيخ عبد الله تجري مدامعي ❁ وحق لقلبي أن بدا بالتصدع
على العلم النحرير تبكي قلوبنا ❁ ومن مثله في العلم والفهم المعي
نعت أمة الإسلام شرقًا ومغربًا ❁ وعم الأسى في كل دان وشاسع
إمامًا له في القلب قدرٌ وهيبةٌ ❁ وفي العلم إدراك بعيد التطلع
يحل عويص المشكلات إذا التوت ❁ ولا يلتبس في الأمر عند التنازع
يخوض بحار العلم في كل لحظة ❁ ويجني ثمار الحق بالحزم والورع
نشا في رياض زادها الله عفةً ❁ وصدقا وإخلاصا بشتى المنافع
مشايخه من نخبة قلَّ مثلها ❁ شعارهم الإخلاص في كل موضع
لقد طلبوا علم الشريعة والهدى ❁ على أسس التقوى بخير المواقع
تلامذة الأخيار أقطاب ديننا ❁ ونالوا الهدى بالصدق لا بالتصنَّع
لقد ورثوا التحقيق من كل جهبذٍ ❁ على المنهج الأسنى ختام الشرائع

(١) مدير عام هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القصيم.

نتيجة هذا أصبح العلم نافعا ✲ وفي ضده حض الفتى بالتميع
تولى القضا في عفة وفراسة ✲ وبالرأي والإنصاف لا بالتسرع
ويدرك مقصود الخصوم إذا أتوا ✲ ولا يغتر لو طاب قول المخادع
له أثر عم القصيم انطباعه ✲ فأصبح في شيخ الهدى خير مرتع
لرواد علم ينهلون مناهلا ✲ من الفقه والتوحيد نهل التضلع
فعاشت به أم القصيم سعيدة ✲ فأكرم به من جهبذي ومرجع
ومن بعد ذا الإشراف في خير بقعة ✲ فقام به فعل الهمام المشجع
وعاد إلى سلك القضاء موجها ✲ لمجلسه الأعلى فأكرم به سعي
علامة نقص الأرض موت خيارنا ✲ إذا مات أهل العلم فالخير قد نعي
وما هذه الدنيا بدار إقامة ✲ ولو كنت في قصر رفيع ممنع
فموت الفتى حق من الله نافذ ✲ وكل إلى دار القيامة قد دع
وضعناه تحت الترب والقلب حائر ✲ وأعيننا تبكيه من غير مجزع
نعزي جميع المسلمين بفقده ✲ ونرجو له الغفران من خير من دع

وأن يحسن الإخلاف فينا بفضله ❁ فيا مالك الأملاك هذا تضرع

فصل إله العرش دوما مسلما ❁ على المصطفى ما لاح نور السواطع[1]

(١) ينظر: تاج القضاة (ص٣٤١) لسليمان العثيم

مرثية الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سبيل(١)

بعنوان: إلى رحمة الله

رزئ العالم الإسلامي بفقد علم من أعلامه ذلكم هو سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد، رئيس المجلس الأعلى للقضاء والمدرس الأول في المسجد الحرام، كان سماحته النبع الصافي الذي ترتوي منه الأمة الإسلامية سنة خير البرية محمد ﷺ، خصوصا أيام المواسم المباركة كشهر رمضان وأشهر الحج، كما أن الاستفتاءات ترد على سماحته طوال العام من داخل وخارج المملكة العربية السعودية، وكان سماحته يجيب عن كل ذلك كما عهد عن سماحته من غزارة علم وسعة اطلاع مع تحقيق ذلك كله، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

لقد ذهلت عندما سمعت نعي سماحته، ومكثت برهة من الزمن، كنت خلالها في شبه ذهول كمن لا يريد أن يصدق هذا النبأ العظيم الذي هز مشاعر المسلمين، وبلغ بهم التأثر مبلغه، لقد تأثرت تأثرا لم أعهده من نفسي من قبل، ولعل ذلك يرجع إلى أن الأسرة كانت على صلة بسماحته عن كثب منذ أن تشرفت منطقة القصيم بالانضواء تحت دعوته المحمدية وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمن أو تزيد، وحتى الأيام الأخيرة لسماحته.

---

(١) هو أحد أبناء الشيخ الفقيه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل رحمه الله المتوفى عام ١٤١٢هـ، والشيخ عبد العزيز بن سبيل رحمه الله له علاقة وطيدة وصداقة متينة مع الشيخ عبد الله ابن حميد رحمهما الله تعالى.

لقد كان نعم الموجه والمرشد لعموم أبناء المملكة وغيرهم ممن يقصده للاستفتاء والاستنارة بعلمه وتوجيهه وإرشاده، لقد كان يجيب ويوضح ما خفي من المسائل الفرعية عن سعة اطلاع وحسن توجيه، من منهل السنة المحمدية العذب الذي تشرف بحمل رسالته مدة تزيد عن ستين عاما، قضاها في نشر العلم وتعليمه لمن يطلبه، لقد أفضى إلى ما قدم وهو خير كثير بإذن الله تعالى، يرحمك الله يا شيخ الجيل؛ بل يا شيخ الأجيال، وأسكنك الفردوس من جناته جزاء ما قدمت.

لقد كان سماحته دائما بالمرصاد لقمع البدع، وكانت لا تأخذه في ذلك لومة لائم حتى عرف عنه ذلك البعيد قبل القريب فيما يكتبه ويلقيه من دروس على رؤوس الأشهاد في المسجد الحرام.

لقد كان لسماحته مواقف مشرفة للذود عن الإسلام وجوهره التوحيد، لقد عزت بمواقفه السنة بما يدفع عنها من غوائل الشرك والإلحاد، لقد اقتفى أثر مشايخه من أئمة الدعوة الأعلام، ابتداء من شيخ الإسلام ابن تيمية وخلفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده الكرام، ولقد كان سماحته شديد الشبه بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لأخذه بطرق من العلوم العصرية لاستخدامها سلاحا في وجوه أصحابها عند اللزوم، ولهذا صار له موقف فذ بشهادة الجميع من المؤيدين والمعارضين له على السواء.

نعم لقد كان سماحته دعامة وصرحا من صروح الإسلام، نرجو من الله العلي القدير أن يهيأ لهذه الأمة من يخلفه فيها بمثل مقامه كما وعد بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

لقد عرف سماحته بالصراحة وقول الحق دونما أي اعتبار بصرف النظر عما يترتب على موقفه من نتائج، لقد عرف هذا عن سماحته ولاة الأمر وفقهم الله وسدد خطاهم، فعهدوا إلى سماحته بأخطر المناصب الحساسة، وهو رئاسة أعلى هيئة قضائية ترعى شؤون المسلمين في قبلة المسلمين، فكان لهذا الاختيار وقعه الحميد لدى الجميع، وباركوه لعلمهم أن قد أعطيت القوس باريها.

لقد كان سماحته قمة في جهاده وتوجيهه فغفر الله لك يا أبا محمد وأنزلك منازل الأبرار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين جزاء ما قدمت لأمة الإسلام من نصح وإرشاد إنه سميع مجيب[1].

---

(١) ينظر: جريدة الجزيرة ٢/ ١٢/ ١٤٠٣هـ العدد (٣٦٥٩).

مرثية الشيخ سعد بن عبد العزيز الرويشد[1]

بعنوان: إلى رحمة الله يا شيخنا عبد الله

سمعت من الإذاعة السعودية وأنا في القاهرة نبأ وفاة سماحة العالم الفاضل الجليل الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد، الرئيس العام لمجلس القضاء الأعلى في عموم المملكة العربية السعودية والمدرس بالحرم المكي الشريف، وعند هذا النبأ أصبت بالذهول والأسى، بالنظر لمكانة سماحته الكبيرة في مجتمعنا، ولما بيني وبينه من الصداقة والمحبة.

ولكوني خارج المملكة بادرت بتحرير برقية عاجلة من القاهرة تحمل العزاء مني لأبنائه الكرام، ثم سافرت بعد ذلك إلى جنيف وصار لي شرف صلاة الغائب على سماحته بعد صلاة الجمعة بالجامع الإسلامي الكبير هناك، والذي كان غاصا بالمصلين من المسلمين العرب وغير العرب، فرحمك الله يا شيخ عبد الله رحمة واسعة.

لقد عرفت سماحته منذ عام ١٣٤٨هـ وأنا طالب صغير في مسجد الشيخ المعروف بحي دخنة بالرياض، وسماحته آنذاك من أبرز طلاب العلم الذين يدرسون على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضائها رحمه الله، وكان الشيخ عبد الله قد درس على مشايخ آخرين

(١) مؤرخ وأديب، من مواليد الرياض عام ١٣٣٠هـ.

بالرياض، إنما معظم دروسه وجلها على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ولازمه ملازمه الظل للإنسان.

وكنت أطالع لسماحته الدروس التي يتوجب عليه حفظها عن ظهر قلب لكونه فاقد البصر، الذي أرجو منه جلت قدرته أن يعوضه عنه بجنات تجري أنهارها بغير حدود، هذا بالإضافة إلى ما كان يعانيه آنذاك من عدم ويتم، فلقد عوضه الله سبحانه وتعالى عن العدم واليتم وفقدان البصر، عوضه بالبصيرة الثاقبة والعقل النير والإدراك السريع والفهم الواسع والذكاء وبعد النظر، بالإضافة إلى الحلم وعدم التسرع.

فمن هذه المنطلقات ومن هذه المواهب استوعب جميع الدروس العلمية، وهضمها فصار آية في معرفة التوحيد والعقائد السلفية واللغة العربية والفقه والحديث والتاريخ.

ثم تولى مناصب هامة أولها القضاء في الرياض ثم قاضيًا في المجمعة وقرى سدير ثم قاضيًا في منطقة القصيم لمدة خمسة عشر عاما.

وقد قال لي رحمه الله في العام الماضي ونحن بالطائف: إن الملك عبد العزيز انتدبني في حياته للنظر في جميع القضايا المختلفة في جميع محاكم الحجاز، فحضرت في مكة المكرمة واستعرضنا جميع هذه القضايا على نحو ما يقضي به الكتاب والسنة واجتهاد العلماء، ومكثنا مدة طويلة، ولأنها حقوق ومصلحة عامة، وامتثال لأمر ولي الأمر الذي لم يقصد من ذلك إلا الخير والعدل، فقد تم النظر فيها كلها وأعطي كل ذي حق حقه.

ثم تقلد سماحته الرئاسة العامة للإشراف الديني بالحرم الشريف بمكة المكرمة والتدريس والإفتاء فيه وفي مواسم الحج، ثم رئيسًا عامًا للمجلس الأعلى للقضاء، وعضوا في هيئة كبار العلماء ورئيسًا للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وعضوا في المجلس التأسيسي للرابطة إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

وله رحمه الله مؤلفات وفتاوى قيمة ممتازة عبر برنامج (نور على الدرب)، وعبر حلقات بالإذاعة، وجميعها محفوظة، فأرجو من أبناء سماحته الكرام الدكاترة: أحمد وصالح أن يسعيا في جمعها وطبعها بواسطة دار الإفتاء أو رابطة العالم الإسلامي؛ لكي يستنير منها الحاضرون والأجيال القادمة.

والجدير بالذكر أن سماحته عندما كان يزاول القضاء وغيره، استثمر وقته في تدريس الطلاب في المساجد وفي داره حتى استفاد منه خلق كثير، وبجانب المواهب التي منحه الله إياها في شتى المعارف والعلوم، له معرفة واسعة في السياسة الدولية، وفي أخبار الساعة وما تنشره الإذاعات، وما يحرر في الصحف والمجلات في الداخل والخارج، فعندما يتحدث في هذه المجالات ويعلق عليها يظنه السامع الذي لا يعرفه أنه متخصص في السياسة وعلومها.

وعلى العموم، فلو ذهبت أسرد وأعدد ما له من الفضل العلمي على هذه البلاد من وعظ وإرشاد وإفتاء وقضاء وتدريس لطال بي المقام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لسماحته رحمه الله مقاما كبيرا لدى جلالة الملك عبد العزيز والملوك أبنائه: سعود وفيصل وخالد، رحم الله الجميع، ولدى

صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز رحمه الله، وذلك تعزيز وتكريم للعلم وأهله، ولقد حررت هذه الكلمة وأنا أعتبر نفسي كاتبا صغيرا، أما دافعي لتحريرها فهو التقدير لفضله ومكانته العلمية وكل وادٍ يسيل بقدره.

وأنا عاتب على محبيه وعارفي فضله من العلماء والأدباء حيث لم يكتب عنه بعد وفاته إلا القليل وذلك وفاء لمكانته العلمية، وبما أن الشاعر الكبير محمد بن عبد الله بن عثيمين قد رثى العالم الجليل الشيخ سعد بن حمد ابن عتيق، المتوفى بالرياض في عام ١٣٤٩هـ، فإنني هنا أورد بعضا من أبيات رثائه والتي تناسب مقام ومكانة فقيدنا الغالي الشيخ عبد الله ابن حميد:

ونح على العلم نوح الثاكلات وقل ✽ والهف على أهل له قبروا

الثابتين على الإيمان جهدهم ✽ والصادقين فما ماتوا وما ختروا

الصادعين بأمر الله لو سخطوا ✽ أهل البسيطة ما بالوا ولو كثروا

والسالكين على نهج الرسول على ✽ ما قررت محكم الآيات والسور

فحي أهلا بهم أهلا بذكرهم ✽ الطيبين ثناء أينما ذكروا

أشخاصهم تحت أطباق الثرى وهم ✽ كأنهم بين أهل العلم قد نشروا

وابك على العَلَم الفرد الذي حسنت ✽ بذكر أفعاله الأخبار والسير

من لم يبال بحق الله -لائمة ✽ ولا يحابي امْرَأً في خده صعر

بحر من العلم قد فاضت جداوله ❁ أضحى وقد ضمه في بطنه المدر

فليت شعري من للمشكلات إذا ❁ حارت بغامضها الأفهام والفكر

هذي رسوم علوم الدين تندبه ❁ ثكلى عليه ولكن عزها القدر

إن كان شخصك قد واراه ملحده ❁ فعلمك الجم في الآفاق منتشر

والأسوة المصطفى نفسي الفداء له ❁ بموته يتأسى البدو والحضر

هذا وأسأل الله أن يغفر لفقيدنا، ويرحمه ويسكنه فسيح جناته ويجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ويورث أبناءه التوفيق والصلاح والسير على منهج والدهم الجليل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

(١) ينظر: جريدة الجزيرة ٤/ ١٢/ ١٤٠٢هـ العدد (٣٦٦٢).

مرثية الشيخ حمد بن محمد بن فريان:

بعنوان: إلى رحمة الله

مما لا شك فيه أن ما يفقده الناس ويأسون على فراقه ويحزنون أشد الحزن لفرط تأثرهم بفادح خسارتهم فيه، يتفاوت بين فقيد وفقيد آخر كما يتفاوت الناس أنفسهم في تقديرهم ومدى عمق تفكيرهم وإحساسهم بما ينطوي عليه الأمر في حقيقته، وأكثر الناس فهما وتصورًا لعواقب الأمور يكون الأشد كربا والأكثر تأثرًا والأعمق أسىً وحزنًا حينما يكون قدَره أن يعيش تصرم الآجال بعظماء الرجال وعباقرة الفكر ووجوه القوم وحملة العلم والحكمة وذوي المواهب الفذة، والذين قرنوا العلم بالعمل ونصحوا وناصحوا، وأحبوا الناس وأحبهم الناس، وكانت حياتهم مثلًا مشرفًا لرجال العلم، وسجلًا حافلًا بمكارم الأخلاق وعظيم المزايا وكريم السجايا.

ولقد كان فقيدنا سماحة العلامة عبد الله بن محمد ابن حميد أحد أولئك الأفذاذ، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ عَلَمًا بارزًا، وطودًا شامخا، وركنا ثابتا، وأكرمه الله بالفقه في دينه، ونفع الله الأمة بعلمه وبارك الله له في وقته، وكان التوفيق حليفه في أموره.

وكان رَحِمَهُ اللهُ من ذوي الهمم العالية وقوة التحمل والجَلَد، وكان قدوة في سلوكه، عميق التفكير، دقيق الملاحظة، موجهًا من الطراز الأول، وناصحًا أمينًا مخلصًا، يتمتع بصفاء ذهني، وحس مرهف، وذاكرة نادرة، وإذا كان العلم لا ينتزع انتزاعًا من صدور الرجال، فإن فقد حملته وموت العلماء انتزاع له لا

محالة، من هنا كان الخطب جللًا، والمصاب فادحًا، والحيّز الذي تركه والفراغ الناتج عن وفاته، والصوت الذي صمت، والشعلة التي انطفأت بسبب فقيد العلم والعلماء سماحة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد، كل ذلك كان محركًا للمشاعر، ومؤثرًا على النفوس، وباعثًا على التدبر والتفكر.

فقد جبلت النفوس على الرغبة في بقاء من تحبه، وتطمئن عليه، والحزن على فقد من هو عزيز وغال، مع العلم المتيقن بأن قضاء الله نافذ، وأن الآجال بيد الله، وأن كل نفس ذائقة الموت، وإذا كان الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ يمثل حلقة في سلسلة مشرقة من العلماء الأفاضل الذين أبلوا بلاءً حسنًا في خدمة دينهم وأمتهم ووطنهم، وفي مقدمة الجميع إمام الدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن جاء بعده خلفًا عن سلف، حتى سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ ومن سيلحق بهم بإحسان..

نقول: إن لهؤلاء حقوقًا ونحن مدينون لهم بما تركوه من مآثر علمية، وما وضعوه من قواعد، وما ألفوه من كتب، وما نُقل عنهم من فتاوى.

ولا شك أن من أولى الناس بتقديرهم وتخليد ذكرهم، من لهم علاقة بالجامعات وبالعلم والتعليم، فيا حبذا لو سميت قاعات الاجتماعات وقاعات المناقشة للرسائل في كليتي الشريعة وأصول الدين، وكليات الحديث وعلوم القرآن، ومعاهد الدعوة معهد القضاء وغيرها، بأسماء أكابر العلماء تخليدًا لذكراهم وتقديرًا ممن جاء بعدهم لجهودهم في خدمة العلم والتعليم والقضاء

والإفتاء والدعوة والإرشاد، أننا نأمل أن نسمع بذلك في القريب العاجل...

وختامًا نتوجه إلى الله العلي القدير بالدعاء أن يتغمد الفقيد برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء..

"إنا لله وإنا إليه راجعون" (١).

---

(١) ينظر: جريدة الجزيرة ٢٢/ ١١/ ١٤٠٢هـ العدد (٣٦٥٠).

مرثية الأستاذ حمد بن صالح الفهاد

بعنوان: فقيد العلم والإسلام

أمن الصدود وطوله تتأرق ❁ وإلى الوصال تظل عينك ترمق
يا طائرًا شغل الفؤاد بشدوه ❁ ما بال صوتك في الفضاء يلقلق
أيقضت مني ساكنًا ومدلهًا ❁ قد كاد من طول الأسى يتحرق
كم كنت من قبل الصبابة ساليًا ❁ ما شاب مني عارض أو مفرق
إن كنت تصدح في زمانك لاهيًا ❁ فاعلم بأن الموت فيك محدق
واعلم بأن العمر لذة ساعة ❁ فاقصر عليك اللهو لا تتشدق
واقطع بصدك من أردت وصاله ❁ لو حرّ قلبك للوصال تشوق
واعلم وغيرك لو علمت معلم ❁ أن المنية بالخواتم ترفق
فإذا المنية أخطأتك نبالها ❁ تلقى حبائلها لبابك تطرق
حكم الإله على الخلائق بالفنى ❁ فهو السبيل فخاسر وموفق
كل ابن أنثى لو تأخر عمره ❁ يومًا ستوثقه المنون وتخنق
يا طائرًا لو في عطارد ساكن ❁ فله المنية نابها سيمزق

إن كنت من ريب المنون محاذرًا ❁ فـاعلم بـأن مكـان رجلـك مزلـق
لـو أن عينًـا بالـسعـادة نُعّمـت ❁ فعلى القذى أجفـانها ستطبـق
لـو أن جفنًـا مـا تعـور طرفـه ❁ فلـه الزمـان بإصبعيه سيبخـق
لـو أن نفسًـا مـا تكـدر صفوهـا ❁ فغـدًا ستمتـاح الركـاك وتطفـق
لـو أن بيتًـا مـا تهـدم ركنـه ❁ فلـه الحـوادث بالنبال سترشـق
لـو لـمّ قـوم بـالتجمع شملـهم ❁ أضحى الغراب على التفرق ينعـق
مثـل الـذي دهـم الجزيـرة فجـأة ❁ فأصـابهـا بعـد المسير تعـوق
فَجَع الجزيرة صوت ناعٍ في الضحى ❁ سمل الجفـون بجمـرة تتحـرق
والأرض أصبـح لونهـا متغيـرًا ❁ منهـا جـوانبها بـدت تتشقق
تبكـي الـديار على الـذين ترحلـوا ❁ فكأنمـا هـي بالـصـواعق تـصعق
تبكـي لـشيخ قـد تعجلـه الـردى ❁ وبهـا عليـه تلهـف وتـشوق
تبكـي فقيهًـا بالحجـاز مكانـه ❁ في عـدل مكـة قبـره يتألــق
تبكـي علـى ابـن حميـدها وفقيهها ❁ شيـخ الحنـابلـة الـذي لا يـسبق
تبكـي عليـه بلـوعـةٍ وتفـجعٍ ❁ وبعبـرة فـوق الخـدود تـدفق

يــا طــائرًا أمّ الحجاز محلقًـا ❁ عِرني جنـــاحك علّني بك الحق
عـــرني جناحك علّني أعلو بـه ❁ أو مـدّلي حبـــلًا بـــه أتـسلق
مـــا فُقتنـــي حريـــة وطلاقــة ❁ إلا بـــأجنحة وأنـــك مطلــق
فـإذا الخـوافي والقـوادم أصبحت ❁ مني مكسرة فكيـــف أحلــق
يـا طـائرًا قـصد الحجـاز لحجة ❁ إني أتوق إلـى الحجـــاز وأعـشق
سلّم على الحـــرم الشريف وبيته ❁ واسـأل نجـوم الليل أيـن ستخفق
سل أهـل مكـة والجزيـرة كلهـــا ❁ عـن عـــالمٍ بـالحنبلية يفلــق
سلهم عـن ابن حميـدهم وفقيههم ❁ تلقى القلوب لدى الحنـاجر تخنق
وامرر عــلى آل الحميد وقـل لهـم ❁ أيـــن الغضنفر والفقيـه الأحـذق
أيـــن الهُــــمام دفنتمـوه بـربكم ❁ أحـــواه لحـد وسـط مكـة مـشرق
ياليل بـدرك كيـف غـــاب مبكـرًا ❁ مــــا بــاله بعـد العـشية يـدنق
يـــا من رأى بالبيت سيفًا مغمدًا ❁ صـــــلى عليـه مقـصر ومحلـق
يـــا مــن رأى يمـشي بمكـة موكـب ❁ تبـدو عليـه كـــآبـــة وتمـزق
يـــا من رأى بالعدل يدفن كوكـب ❁ حينًـا يـضيء وتـــارة هـو يبـرق

عقمت ليال زمـــــانه عن مثلـه ❁ إنجـاب من هـو بالحقيقـة ينطق

فــــإذا النساء تعطلت أرحامهـا ❁ عــن مثلـه فمجـال ذلـك ضيق

وإذا الرجـال تعـذرت أصـــلابها ❁ عــن مثلـه فــلأن ذاك محقـق

وإذا الغصون تنوعـت أشجارهــا ❁ ظنـي بـأن غـصونهـا لا تـــورق

ما مثـل عبد الله أنـت بـــواجـد ❁ يرفــو الفتـوق وللعدالــة يعشق

لا تطلـــبن كمثلـــه لقـــضية ❁ مـن بعـد مـا أفتـاك فيهـا الـسودق

لا تطلـــبن كمثلـــه مـــن بعـده ❁ إني أراك تجـــارِ مـــن لا يلحـــق

لا تطلـبن كمثلــه يجلــو الـصدى ❁ يومـــا ويمـسح دمعـة تترقـرق

فلشدّ مـــا جزع الفــؤاد لفقـده ❁ فبدت مــن الحزن الأكـف تـصفق

يــا قـــاضيًا أحيا العقيدة عدلـه ❁ كيـف الحقيقـة إن تغلـب منطـق

مــن للضعيف إذا تغمط حـقــه ❁ وبــدت حبـائل عزمـه تتطلـق

والحق أصبح بـــاطلا ومطاردا ❁ وعـن القـوي كـذاك يوضـع مرفـق

إلا التـأوه والتـضجر سلـــوة ❁ وبقـــاء هـم للـسعادة يـدحق

أنت المهند عـــن تغطرس جاهل ❁ فـصل الخطـاب وللمهنـد رونـق

أنت الفقيه وفي القضاء شُريحنا ❁ في الخافقين بريق علمك مشرق

أما ابن سيرينٍ فأنت مكانه ❁ منك العلوم أصولها تتدفق

حقا لأنك في الذكاء إياسنا ❁ فطن الفؤاد وفصل عدلك أصدق

لو كان في الأفلاك مثلك فرقدا ❁ ظلت نجوم سمائنا تتألق

لو كان في المليون مثلك واحدا ❁ كنا جميعا في الفضاء نحلق

الله أكبر يا فقيه زماننا ❁ أمر الإله إذا قضي يتحقق

فلئن رحلت فإن ذكرك خالد ❁ وسط القلوب مغلف وملصق

لم تحظ من إعلامنا في وقفة ❁ غير الإشارة مات أمس الفيلق

كتبوا ثلاثة أسطر لا غيرها ❁ ليؤكدوا أن العزاء موثق

كتبوا ثلاثة أسطر بتأفف ❁ خسئوا وما كتبوا فلم يتوفقوا

بخلت عليك بوقفة أقلامهم ❁ لم يذكروا علما ولم يتطرقوا

شحوا عليك بصفحة من جهلهم ❁ تبا لكل بهيمة لا تنطق

ما كان أجهل ما نرى إعلامنا ❁ ما فيهمُ إلا السفيه الأحمق

أقوالهم تربوا على أفعالهم ❁ لؤم قبيح للمروءة يسحق

إن مـــات منهم مطرب وممثل ❁ ألفيتهم مثل البغـــاث يزعـق
شغلـــوا الإذاعة بالعـويل تحسرًا ❁ ملؤوا الجرائد بالهراء وأغدقـــوا
ضربـــوا لـه عند الـوداع تحية ❁ مثل الغراب إذا يـصيـح وينعـق
وإذا تهـدم للعقيـدة جـانب ❁ لـم يعنهم شيئا ولـم يتأرقـــوا
وإذا أصيب المسلمـون بعـالم ❁ فكـأنهم لم يـسمعـوا أو يخلقوا
مـــاذا تظـن بهـؤلاء ومثلهم ❁ غير الجحود وخلف من لا يصدق
هـــون عليك فتلك عـادة مكرهم ❁ في خـيط أم العنكبـوت تعلقـــوا
فاضرب بطرفك لا أبا لـك عنهم ❁ وادع الإلـــه لهم كـذلك يمحـق

مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط[1] بعنوان:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

عندما تجدب الأرض ويضربها المحل نتيجة لانقطاع الوابل الصيب عنها يصوح النبت وتذوي الزروع، ويكون وراء ذلك الكساد وتدهور الوضع في المجتمع، هذا مثل نضربه للعلماء في المجتمع إذ هم في الواقع كالوابل الصيب في تتابع هطوله وكثرة انصبابه، فإذا حُرم المجتمع منه واقفرت الأرض من عدم تعاهدها بسقيهم، وامتداد إروائها بغيثهم، ساد الجهل وامتد رواقه، ومشى الناس في ظلام دامس، وتخبط دون الوصول إلى المهيع، ودون الحصول على ركيزة يتخذونها رصيدًا للسعادة، وعدة لقطع أشواط الحياة على هدى وبصيرة.

وهذه المقدمة نكتبها لموت العلماء والحِرمان بسبب ذلك من ميراث الأنبياء، ثم اتخاذ خلف لا يرتقي إلى مثل ما ارتقى إليه العلماء الموهوبون والهادون بهداية الله إلى سبيل الله السوي، ومن ثم كان في موت العلماء خسارة، وبُعدهم نكبة لا تعدلها أية نكبة؛ مصداق ذلك الحديث النبوي الشريف الذي رواه الشيخان والترمذي مرفوعا عن ابن عمر: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا اتخذ الناس رؤساء جهّالًا، فسئلوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وأي خسارة أعظم من الضلال، أي مصيبة تقع في حساب المجتمع لا

---

(١) إمام وخطيب المسجد الحرام.

يجد لها عزاء، ولعلنا في الكثير من الأحيان نجد هذا الحديث الشريف يصور الواقع المؤلم المرير وذلك حين يمشي السائل باحثا عن مسألة من مسائل العلم فلا يجد من يُظفره بطلبه أو يسعفه بحاجته؛ بل قد يجد العكس، يجد من يفتيه بغير علم ودراية، فيعمل بفتواه وهي لا توصله إلى الله بل تبعده عن الحق الذي يتوخاه.

وإن من النُذر التي تطالع كل من يتلو كتاب الله الإشارة إلى موت العلماء، حيث يقول رب العزة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد:٤١] وجاء في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه في رواية: "خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منهم"، وكذلك قال مجاهد أيضا: "هو موت العلماء".

قال أحد الشعراء في هذا المعنى:

الأرض تحيـا إذا ما عـاش عالمهـا ✻ متى يمت عـالم منهـا يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حلّ بهـا ✻ وإن أبـى عـاد في أكنافهـا التلـف

أجل.. كيف يهنأ بالاستقرار من انتُقص من أرضه، وبقي في وجل من هذا الانتقاص الذي لا يقف عند حال، فكلما ظن الناس أنهم أمنوا من خطر الانتقاص عادوا فرأوا إعادة الكرة المرة بعد المرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بالأمس القريب كان بيننا عالم من أبرز العلماء وأكثرهم اطلاعًا، يعيش بهمة العالم الموجه الهادي بهداية الله، والداعي إلى سبيل الله.. إنه سماحة

الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد، فبكته القلوب قبل العيون، وشيعه إلى مثواه الأخير العارفون بقدره المقدرون لعلمه، الواقفون على مواهبه، الذين قضوا أمدًا في ظلال توجيهاته سواء ما كان منها حلق الدروس يتصدرها، أو موجات الأثير، أو في المواعظ العامة والكتب، ووسائل الإعلام.

وكم كانت الخسارة بفقده عظيمة، وكان لطلاب العلم صدمة عنيفة بل للمجتمع أجمع، ذلك لأن الفراغ الذي تركه فراغ كبير، وعزاء الجميع يكون بالصبر، فالصبر عدة المسلم في كل شدة أملًا فيما أعده الله للصابرين من حسن الجزاء، يصوره قول رب العزة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

لقد ضمَّتْني بسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ اجتماعاتٌ -وإن كانت محدودةً- إلا أنَّه من خلالها سبرت غور سماحته، وقدرت سعة علمه، وأكبرت فيه سماحة نفسه، وعظيم تواضعه وكريم خلقه، وانتصاراته للحق، وانتفاضاته نحو ردع الباطل بكل ما يملك.

وشخصية كهذه من الواجب التنويه بفضلها والإشادة بأعمالها الهادفة الموفقة، وعلينا وقد التحق الشيخ بربه أن نأخذ بالتوجيه الكريم: «اذكروا محاسن موتاكم»(١) فلا نترك مزية من مزاياه إلا وأشعناها، فذلك حق واجب في عنق كل من عرف سماحته وعاصره وأفاد من علمه أو لمس كريم خُلُقه ونبل مقاصده.

(١) أخرجه: أبو داود والترمذي في سننهما، وفي سنده غرابة، وانظر: كشف الخفاء (١/ ١١٤) للعجلوني.

رحم الله الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد وأكرمه بمنازل الصالحين، وجبر مصاب الأمة جمعاء بفقده ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

---

(١) ينظر: جريدة الجزيرة ١٤٠٢هـ.

مرثية الأستاذ إبراهيم بن محمد السيف

بعنوان: عالم فقدناه

المصائب التي تحل بالأمم والشعوب أفرادا وجماعات، تختلف باختلاف أنواعها وباختلاف وقعها على النفوس، واستمرارها أو استمرار تأثيرها في المجتمعات، توجد القلق، وتذهب الاطمئنان من نفوس البشر، وتذهب السرور لتحل محله، فالمصائب في المال وفي الولد، وفي المراكز المرموقة ذات الطابع المادي، كل هذه تبدو كبيرة ثم تخف حدتها من الأنفس شيئا فشيئا حتى تتلاشى منها، وتنساها قليلا قليلا.

أما المصيبة بأعلام الهدى، بمن يضيئون الأرض نورا، وبمن هم سرج الأرض، فإنها مصائب لا تعدلها مصائب.

فبالأمس فقدنا سماحة شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد، هذا العالم الجليل الذي عرفناه منذ عشرات السنين عالما عاملا بعلمه، معلما لأبناء أمته، لا تأخذه لومة لائم في قول الحق والذود عنه، وكان رحمه الله وغفر له وجعل البركة في البقية الباقية من علماء هذه الأمة، وكان رحمه الله يدافع عن حياض الدين الإسلامي بما أوتي من علم غزير؛ يؤلف الكتب في الرد على الخارجين عن الحدود، وتُقرأ عليه المؤلفات والرسائل، والمقالات التي تنشر في المجلات الأسبوعية واليومية، فيملي على كاتبه ما يراه مناسبا على ما قد يرد فيها من افتراءات وشطحات مخالفة للدين أو فيها ضرر على المجتمع الإسلامي في مختلف المواضيع، في الحدود والقصاص، والربا، والحج، والعمرة، والصلاة،

والزكاة وغيرها، سواء أكانت أصولا أو فروعا، ويرسلها إلى الصحيفة أو المجلة الناشرة للموضوع المردود عليه، وكانت تلك الصحيفة تنشره فورا، فيقرأه أفراد المجتمع، فيجدون فيه -لا سيما طلبة العلم- إشراف العلم، والقول الفصل، والرد المستنير، والرد الهادئ الذي لا يخرج عن الموضوع، بل يوضح الحق، فما يلبث صاحب الشأن أن يقتنع ويرجع عن قوله غير السليم إلى الطريق المستقيم، وهكذا كان رحمه الله سنوات طويلة منافحا، ومدافعا عن دين الله القويم، إلى جانب المؤلفات والرسائل والفتاوى العديدة في مختلف المسائل الفقهية والعقائد.

وكان رحمه الله يجمع بين حفظه الغزير من العلم القديم، والكثير من العلم الحديث، وكان يلقي المحاضرات، فإذا علم طلاب العلم وسواد الأمة أن سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد سيلقي محاضرة في أي جهة هرعوا إليها، وحرصوا على حضورها، ولا برحوا مكان إلقائها حتى نهايتها، وكانت محاضراته طويلة، وذات علم غزير، وأسلوب مقبول، يود سامعها لو طالت أكثر من طولها.

وكان سماحته رحمه الله وهو يلقي المحاضرة أو الدرس كأنه يقرأ من كتاب، سليم النطق، يركز على المواضيع الهامة، ولا يلحن، ولا يأتي بالغريب الذي لا يفهم، وكان يستشهد بأقوال علماء الغرب إذا ما تعرض للرد على المستشرقين وغيرهم الذين يحاولون النيل من الرسول ﷺ أومن دين الإسلام، ويحفظ العديد من أسمائهم وأقوالهم لصالح الإسلام، وكان رحمه الله حاد الذكاء يعرف اسم

صاحب الصوت الذي يسلم عليه من أول وهلة بالرغم من غيابه عنه مدة طويلة، له جلسة يجلسها منذ مدة طويلة، وبالتحديد منذ تولى رئاسة الشئون الدينية بالمسجد الحرام حتى العام الماضي ١٤٠١هـ، يجلسها بعد صلاة التراويح يلقي فيها محاضرة قيمة في مختلف الشئون الإسلامية، ويحضرها جمع غفير من المصلين، وبعدها يجيب على عشرات الأسئلة المقدمة من الحاضرين المتعلقة بالصيام والزكاة والحج وغير ذلك.

ثم بعد ذلك يتوجه إلى غرفته بالحرم الشريف فيتوافد عليه الناس للسلام والاستفتاء، ومنهم الفقير الذي تعود المساعدة من الشيخ، وكانت ترد على سماحته الصدقات فرضا ونفلا فيقوم بتوزيعها احتسابا لوجه الله، وكانت ترد عليه الرسائل الكثيرة للاستفتاء والاستشارة فيجيب عليها إجابة وافية شافية.

دخل عليه رحمه الله أحد المشايخ للسلام عليه، وكان معه أحد الإخوان من بلد الشيخ المسلِّم، فتكلم أحد الحضور بأن هذا الأخ يحمل الشهادة المسماة "الدكتوراه" فسأله سماحة الشيخ عن موضوع شهادته فذكر له أنها عن "شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" وقد منحت له من إحدى جامعات بريطانيا، فضحك سماحته مستغربا أن تمنح إحدى الجامعات الغربية شهادة الدكتوراه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا شك أن استغراب سماحته ذلك في محله، والأسباب لا تخفى على الجميع.

إن في فقدنا لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد لمصابا جللا على البعيد والقريب على الملايين من المسلمين الذين فجعوا بوفاته، وستفقد

صوت سماحته الأسماع التي كانت تستفيد من أجوبته على أسئلة مستمعي برنامج "نور على الدرب" الذي تقدمه الإذاعة السعودية، آسفين على ذلك وداعين لسماحته بالرحمة والغفران، وسيفقد أبا محمد طلاب العلم والفقراء والمساكين وكل عارفي سماحة الشيخ علما وأخلاقا وفضلا.

وإنني لأقدم العزاء للأمة الإسلامية عامة ولأمتنا خاصة، لا سيما صاحب الجلالة الملك المعظم، وصاحب السمو الملكي ولي عهده، وسمو النائب الثاني، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وسائر المشايخ وأبناء سماحته. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

(١) ينظر: مجلة الدعوة، العدد (٨٨٢)، ٣/ ١٢/ ١٤٠٢هـ.

مرثية الأستاذ عبد العزيز بن محمد بن حمد الفارس

(فليرحمك الله يا أبا محمد)

بالأمس القريب ودعت المملكة عالما جليلا من علمائها، وهو بلا شك خسارة عظمى ليس بالنسبة لها فحسب وإنما لأمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

إن رحيل سماحة الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد عنا لهو مصيبة كبرى نشعر بها، وكأنها ستترك فراغا قل أن يملأ، وهذا مصداق لقول الهادي البشير محمد ﷺ حينما قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء لهم جهلا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

إن الراحل- عليه رحمة الله ورضوانه- ملأ هذه البلاد علما ونورا بما آتاه الله من العلم والحكمة، وبما فتح الله عليه من البصيرة التي تجلت في تلك الندوات التي كان يلقيها في بيت الله الحرام منذ أن عهد إليه بالإشراف عليه، وهو رحمه الله له مساهمات عديدة الكل منا يدركها ويسمع عنها، ومهما يقال فيه رحمه الله من عبارات التأبين والرثاء فهو قليل في حقه، ولكن هناك ما هو أعظم وأدعى من هذا كله ألا وهو الدعاء له، وذكر مناقبه الحميدة التي تجلت عبر هذه الحقبة من الزمن. يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "تعلموا قبل أن يرفع العلم، ورفع العلم ذهاب العلماء".

أجل أيها الإخوة في الله ليس هو مجرد فقد إنسان فحسب بل ما هو كامن

في هذا الإنسان من صنوف العلم والمعرفة التي قل أن يوجد من يملأ فراغها.

منذ أيام فجعت هذه البلاد بوفاة إمام المسلمين: خالد بن عبد العزيز رحمه الله، الذي كرس حياته ووقته لمعالجة قضايا أمته وما يتتابها من محن كقطع الليل، وها نحن بعدها بوقت ليس بالطويل نفقد هذا العالم الذي أفل نجمه وحزن على موته كل من يقدر العلم ويجل العلماء عرفانا بما حملوه وأفنوا عمرهم من أجله ابتغاء ما عند الله، وليحظوا بالأجر العظيم في الدارين.

وصدق المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حينما قال: «إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1].

فما أعظمه من وصف وما أدقه من تعبير، نعم أيها الإخوة ما أحرانا أن نجد ونجتهد في طلب العلم ونتواصى به، ونعضد من قام به ونقدم له كل ما من شأنه رفعته لكي يؤتى ثماره اليانعة...

فليرحمك الله يا أبا محمد، فلقد كان رحيلك عن هذه الدنيا الفانية خسارة وأي خسارة، يا من كرست وقتك وانطلقت بقلبك ولسانك تعلم العلم وتنشره وتبصر به وتجيب من استفتاك، وترد على من خالف الطريق السوي المستقيم،

(١) أخرجه أبو داود في سننه (ح: ٣٦٤٣).

وتلقنه الحجة التي غابت عليه حينما أبدى مقالته وغاب عنه الدليل عليها، وإن كان لنا عزاء فليس لنا إلا قول من مدحهم في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

ولا ريب أن المؤمن الجدير هو من يتعظ بغيره، ويعتبر بتقلبات الأيام والسنين ويدرك ما بقي من عمره، ويجعلها في الصالحات الباقيات، ولا يغتر ببريق هذه الحياة الزائفة وليقم كل منا بوصل رحمه ولا يقطع ذلك، حيث إن الصلة في هذا الزمان بدأت إلى الجفاء بسبب شغل الناس بمتاع الحياة وزخرفها، بل هذا -والعياذ بالله- من الحسرات على القلوب.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يكرم نزله ويوسع مدخله ويسكنه فسيح جناته هو وإخوانه المسلمين، وأجزل لهم المثوبة، وبارك الله في أئمتنا وولاة أمورنا، وحفظهم من كل شر، إنه ولي ذلك والقادر. عليه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١).

---

(١) ينظر: جريدة الجزيرة، العدد (٣٦٦٦)، ١٦/ ١٢/ ١٤٠٢هـ.

مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام(١)

قال في سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو كبير في أشياء كثيرة؛ كبير في شخصيته، وعلمه الغزير الذي يندر أن يتصف به رجال العلم والعلماء في عهده، وكان يمتاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالذكاء والدهاء والعقل الحكيم وقوة الرزانة، فإذا أردنا أن نذكر ونعدد صفاته وأعماله الجليلة لاحتجنا لعدة مؤلفات.

وكان سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المشايخ الذين قاموا بدور فعال في مجال نشر الدعوة الإسلامية، وله بصمات في هذا المضمار(٢).

(١) رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، ورئيس اللجنة الشرعية بالهيئة.

(٢) ينظر: عبد الله ابن حميد وجهوده الدعوية (ص٥٩٣) لمحمد أحمد سيد.

مرثية الشيخ محمد بن أحمد سيد

إن موت العلماء الربّانيين، والهداة الصادقين المخلصين، رزيّة عظيمة، ومصابٌ جلل، وخسارةٌ للأمة فادحة، ولكن العلماء إذا ذهبوا بذواتهم وأشخاصهم، فعلومهم ومعارفهم موجودة فيما كتبوه وألفوه وسجلوه.

عاش الشيخ ابن حميد رحمه الله ثلاثًا وسبعين عامًا، وأصيب في منتصف عام ١٤٠١هـ بمرض السرطان، ورغب إليه ولاة الأمر - حفظهم الله - في السفر إلى أمريكا مع أنه لم يخرج خارج البلاد طوال حياته قط، فنزل على رغبتهم، فسافر مرتين في مدة متقاربة.

لقد كان الشيخ رحمه الله على درجة عظيمة من التحمل والصبر وعدم الشكوى والأنين، مع أن هذا المرض ذو آلام شديدة، ولكنه كان صابرًا متحسبًا، بل كان يستقبل زواره ويتحدث إليهم في كل شأن في أمورهم الخاصة والعامة.

وكان لسان حاله يقول: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ)، حتى إن الأطباء المعالجين كانوا يتعجبون من شدة تحمله وتجلده، حتى قال أحدهم -وهو أمريكي-: إني لم أر في حياتي مثل هذا الرجل! إذا دخلت عليه كأنه لا يشكو من أي مرض مع أني أعرف نوع المرض ومدى تأثيره النفسي والعضوي على صاحبه.

وبعد عيد الفطر عام ١٤٠٢هـ اشتد عليه المرض، وهو صابر متحسب لا يظهر عليه شكوى ولا جزع.

وفي يوم السبت ١٦ ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ دخل في غيبوبة إلى أن وافاه

الأجل يوم الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يوم عشرين ذي القعدة من عام اثنتين وأربعمائة وألف ٢٠/ ١١/ ١٤٠٢هـ في مستشفى الهدا في الطائف، وصلي عليه يوم الخميس في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة.

رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة، وأخلفه في عقبه خيرا؛ لقاء ما قدم لدينه وأمته، وللعلم وأهله، وقد كان يوم تشييعه يومًا مشهودًا، ينطبق عليه قول الإمام أحمد رحمه الله: (موعدكم يوم الجنائز).

كان فيه الأمراء والعلماء والوزراء والمسئولون وطلبة العلم ومحبو الشيخ من الخاصة والعامة.

وبوفاته طويت صفحة بيضاء ناصعة إلى الأبد، وفقدت الأمة علمًا من أعلامها، ومنارًا من مناراتها، ومركز إشعاع، لطالما أنار لها الطريق، وهدى السبيل، وشفى العليل، وأروى الغليل، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى مع عباده الأخيار، جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب[(١)].

هذا؛ وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) **ينظر**: عبد الله ابن حميد وجهوده الدعوية (ص٥٨٠) لمحمد أحمد سيد.

الفهرس

تقديم معالي الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس .. ٦
تقديم معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله ابن حميد.................... ٥
مقدمة مركز البحث العلمي ٣٦
توطئة.. ٤١
الفصل الأول: الحالة السياسية والفكرية في عصره ٥٥
مقدمة.. ٥٧
المبحث الأول: الحالة السياسية في عصره.................... ٦٠
المبحث الثاني: الحالة الفكرية في عصره...................... ٦٦
المبحث الثالث: أثر الحالة السياسية والحالة الفكرية في شخصيته ٧٣
الفصل الثاني: اسمه ومولده ونشأته وأسرته وصفاته ٧٩
المبحث الأول: مولده واسمه ونشأته وأسرته..................... ٨١
المبحث الثاني: صفاته الخَلقية والخُلقية....................... ٨٦
الفصل الثالث: حياته العلمية................................. ١١٥
المبحث الأول: نبوغه المبكر ١١٧
المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه ١١٩
المبحث الثالث: عنايته بالتوحيد والعقيدة الصحيحة ١٣٥

المبحث الرابع: اطلاعه على التيارات الفكرية الوافدة وردوده عليها وتحذيره منها.......................... ١٤١
المبحث الخامس: قوته في الحوار والمناظرة ١٥٦
المبحث السادس: تجرده من العصبية المذهبية.......................... ١٦٢
المبحث السابع: منهجه مع النص ورده على من يخالفه ١٦٦
المبحث الثامن: مكانته العلمية.......................... ١٨٩
الفصل الرابع: مؤلفاته وآثاره العلمية ٢١٧
المبحث الأول: منهجه في مؤلفاته ٢١٩
المبحث الثاني: منهج دروسه العلمية ٢٢٢
الفصل الخامس: وظائفه الرسمية وجهوده الدعوية وأعماله الخيرية ورحلاته العلمية.......................... ٢٢٧
المبحث الأول: الوظائف الرسمية التي تقلدها ٢٣١
المبحث الثاني: جهوده الدعوية ٢٤٧
المبحث الثالث: أعماله الخيرية وسعيه في قضاء حوائج الناس ٣٠٩
المبحث الرابع: رحلاته.......................... ٣٢٠
الفصل السادس: وفاته ومراثيه.......................... ٣٢٣
المبحث الأول: مرضه ووفاته.......................... ٣٢٥
المبحث الثاني: مراثي الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله ٣٢٧
مرثية معالي الشيخ محمد السبيل رحمه الله.......................... ٣٣٠

مرثية أحمد الغنام من دولة الكويت ٣٣٥
مرثية إبراهيم المديفر سماها: يا من يعز على القلوب رحليه ٣٣٧
مرثية الشيخ عبد العزيز بن محمد النقيدان بعنوان: دمعة على فقيد العلم الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد ٣٣٨
مرثية الدكتور رضا بن نعسان معطي ٣٤٠
مرثية الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ٣٤٢
مرثية الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى ٣٤٤
مرثية الأستاذ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سبيل بعنوان: إلى رحمة الله ٣٤٧
مرثية الشيخ سعد بن عبد العزيز الرويشد بعنوان: إلى رحمة الله يا شيخنا عبد الله ٣٥٠
مرثية الشيخ حمد بن محمد بن فريان: بعنوان: إلى رحمة الله ٣٥٥
مرثية الأستاذ حمد بن صالح الفهاد: بعنوان: فقيد العلم والإسلام ٣٥٨
مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط بعنوان: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ٣٦٤
مرثية الأستاذ إبراهيم بن محمد السيف بعنوان: عالم فقدناه ٣٦٨
مرثية الأستاذ عبد العزيز بن محمد بن حمد الفارس بعنوان: فليرحمك الله يا أبا محمد ٣٧٢
مرثية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ٣٧٥
مرثية الشيخ محمد بن أحمد سيد ٣٧٦
الفهرس ٣٧٩